بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية مُحكمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٣ ، ع٤ ، ٢٠٠٠

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

المحتويات

تقديم

هـذا هو العدد الثانى عشر من «علوم اللغة» ، يصـدر فى موعده المحدد فى خريـف سنة ألفين وبهـذا انتظمت هـذه السلسلة طبقا للخطة المعلنة منذ صدور العدد الأول فى بداية عام ١٩٩٨ ، وكان استقبال المتخصصين لها ، ثم ظهور دوريـة شقيقـة فى المملكـة العربية السعودية خير تحية للنشر العلمى المتخصص فى علوم اللغة . ويسعدنا أن نتلقى دائما من الباحثين من كل الدول العربية والأجنبية أعمالهم الجادة للنشر فى كل مجالات علوم اللغة .

إن بحوث هذا العدد تـدخل فى الإطار العام ولا تقتصر عـلى مجال دون آخر ، ولكـنها تلـتزم بمواصفـات البحث الجـاد ، وعلى النـحو الذى ينـهض بدراسات اللغـة العربية انطلاقا من التراث إلـى التناول الجديـد والموضوعات المبتكـرة . وهى بحوث متنوعـة من حيث بحثها الـقضايا فـى التـراث اللغوى وطرحها لمناهج واتجاهات معاصرة .

كتب فى هـذا العدد متخصـصون فى علوم اللـغة من جامعات متعددة ، ولهم تخصصاتهم الدقيقة واهتماماتهم الجادة المتنوعة والمتكاملة .

ونود بهـذه المناسبـة أن نعبر لـكل الأصدقاء والـزملاء الكرام عـن خالص الشكر والاعتزاز بآرائهم ومشاركتهم .

والله ولى التوفيق

١/١٢/ ٢٠٠٠ — أ.د. محمود فهمى حجازى

شواهد امرئ القيس فى التراث النحوى
توثيق ودراسة

د . مأمون عبد الحليم وجيه

مقدمة

هذا بحث يعالج شعر امرئ القيس المستشهد به فى بطون أمهات كتب التراث النحوى ، فى محاولة لتحقيق عدة أهداف أهمها :

١-جمع شواهد امرئ القيس المتناثرة فى كتب التراث النحوى

٢-توثيق هذه الشواهد من حيث النسبة والرواية

٣-تحديد ودراسة القضايا النحوية المتعلقة بهذه الشواهد

٤-تحديد الدور الذى ساهمت به هذه الشواهد فى تقعيد النحو العربى.

٥-عرض رواية النحويين للشواهد على الروايات الموجودة بالديوان وبالمصادر الأدبية الأخرى ورصد مواطن الاختلاف فى الرواية لمعرفة أثر تعدد الروايات على الصناعة النحوية .

٦-تتبع ودراسة التوجيهات المختلفة التى قد يحتملها الشاهد وبيان أثر ذلك على الأحكام النحوية .

وقد اعتمدت مادة هذا البحث على كتب التراث النحوى ابتداء من سيبويه وانتهاء بالسيوطى،واعتمدت كذلك على كتب التراث الشعرى المتمثلة فى المجموعات الأدبية كالمفضليات والأصمعيات وأمهات كتب الأدب مثل شروح المعلقات وخزانة الأدب وشرح أبيات المغنى للبغدادى واعتمدت كذلك على الكتب الحديثة التى اهتمت بدراسة الشعر الجاهلى وقضاياه مثل تاريخ الأدب العربى للدكتور شوقى ضيف ومصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد وغير ذلك من المصادر والمراجع المذكورة فى نهاية البحث هذا بالإضافة إلى الاعتماد على الدواوين الشعرية وخاصة ديوان امرئ القيس حيث اعتمدت على طبعته التى أخرجتها دار المعارف المصرية بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم،وهى طبعة محققة منقحة تعد نشرة علمية لهذا الديوان

وقد عنى هذا البحث بجمع ودراسة الشواهد المتعلقة بالقضايا والمسائل النحوية ليس غير ، ومن ثم فلا علاقة له بالشواهد المتعلقة بقضايا الصرف ومسائله وكذلك لم يعرض البحث للشواهد المتعلقة بالضرورة الشعرية .

وقد جاءت الدراسة فى هذا البحث متضمنة لما يلى :

أولاً : شعر امرئ القيس بين الرد والقبول .

ثانياً : الشواهد المتفق على نسبتها وروايتها .

ثالثاً:الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً لا يؤثرعلى الاستشهاد

رابعاً:الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً يؤثر على الاستشهاد

خامساً : الشواهد التى اختلفت نسبتها واتفقت روايتها .

سادساً : الشواهد التى اختلفت نسبتها وروايتها اختلافاً يؤثر على الاستشهاد .

سابعاً : الشواهد التى اختلفت نسبتها واختلفت كذلك روايتها اختلافاً لا يؤثر على الاستشهاد .

ثامناً : الملاحق .

تاسعاً : الخاتمة

أولاً : شعر امرئ القيس بين القبول والرد

كان وما يزال شعر امرئ القيس بن حجر الكندى محل جدل وخلاف طويل بين مؤرخى الأدب ونقاده من قدماء ومحدثين عرباً كانوا أو مستشرقين ، فمن شاك في وجوده ، راد لشعره جملة وتفصيلاً كما فعل المستشرق الإنجليزى مارجليوث والدكتور طه حسين ، ومن مقر بوجوده مستدل بأشعاره معترف بوقوع النحل فيها ودخول الوضع عليها ، وقد أدرك القدماء ذلك ، وأشار نُقَّادُهم المُتَقَدِّمُونَ إلى وقوع النحل فى الشعر الجاهلى [1] وكم عكف علماؤهم الرواة ، ونقاد الشعر المدقّقون من أمثال المفضل الضبى وعبد الملك بن قريب الأصمعى على دراسة الشعر ونقده رغبة فى تمييز صحيحه من زائفه ، وقد كرس كثير من النقاد ومؤرخى الأدب المحدثين جهودهم لدراسة قضية الانتحال وللرد على أدلة المستشرق مرجليوث ، وعلى شكوك الدكتور طه حسين منتهين إلى أن رفض الشعر الجاهلى والحكم عليه بالوضع والانتحال حكم جائر لا يمكن قبوله ؛ إذ ترده الرواية الصحيحة والتدوين الموثق [2] ومن ثم يؤكد نقاد الأدب قديماً وحديثاً وجود الشعر الجاهلى ويؤكدون وجود امرئ القيس ، ويستدلون بأشعاره ، ويعترفون بوقوع النحل فيها ، ومن ثم لا يردون شعره جملة وتفصيلا وإنما يخضعونه للدراسة والنقد والتحليل حيث يقرر هؤلاء أن تمييز الصحيح من المنحول فى الشعر الجاهلى أمر ممكن لرواة الشعر المتقنين ونقاده العالمين بطبيعته وخصائصه ،

---

(١) انظر : طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر مطبعة المدنى – السفر الأول ص ٤-٨ ، ٢٣-٢٦ ، ٤٦-٥٠

(٢) انظر : تاريخ الأدب العربى . العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف طبعة دار المعارف المصرية الطبعة الثالثة ص ١٦٤ – ١٧٥ ، ومصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد ط . دار المعارف المصرية – الطبعة الخامسة ص ٣٥٢- ٤٧٨

والفيصل في ذلك هو دراسة رواية الشعر ، والحكم على رواته ، ودراسة صفات القصيدة وروحها التي قد توحي بزمانها بل وبقائلها ، وفي معرض ذلك يقول د . شوقي ضيف " والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير ، غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة ، وصيغه وألفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، فكان ينبغي ألا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه ، وإنما نشك حقا فيما يشك فيه القدماء ونرفضه ، أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي وأبي زيد فحري أن نقبله ، ما داموا قد أجمعوا على صحته ، ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للامتحان وأن نرفض بعض ما رووه على أسس علمية منهجية لا لمجرد الظن " (١) .

وقد انتهى د . شوقي ضيف بعد دراسته ونقده لديوان امرئ القيس برواية الأصمعي إلى أنه " لا يبقى صحيحا من رواية الأصمعي سوى القصيدتين الأوليين ، وهما مطولتان ، ومثلهما في الصحة والثقة القصيدة الحادية عشرة ، والمقطوعة السابعة والعشرون ؛ لأنهما رويتا عن أبي عمرو بن العلاء ، وتظل بعد ذلك المقطوعات ٦ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ قابلة لأن تكون صحيحة على أن كثرتها الكثيرة نظمت إن صحت بعد مقتل أبيه يتوجه فيها لمن أجاروه ، ومن ردوه ، وقد رويت طائفة منها على لسان ابن الكلبي .... وكأنما الثابت الصحيح له إنما هو المعلقة ، أو القصيدة الأولى في ديوانه ، وتاليتها ثم ما أنشده أبو عمرو بن العلاء أو بعبارة أخرى

---

(١) تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ص ١٧٥

القصيدة الحادية عشرة ، والمقطوعة السابعة والعشرون " [1] .

فالدكتور شوقي ضيف يتخير من هذه الرواية ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة منتهياً إلى أن أربعاً من هذه القصائد صحيح قطعاً ، وأن تسعاً منها قابلة لأن تكون صحيحة ، فتصحيحها من وجهة نظره احتمالي لا قطعي .

وقام الدكتور ناصر الدين الأسد بدراسة مصادر الشعر الجاهلي وقد وجد من خلال دراسته وتتبعه لروايات ديوان امرئ القيس أن للديوان ست عشرة رواية يمكن ردها إلى ثلاثة أقسام [2] :

القسم الأول :يمثل الأصول البصرية والكوفية لرواية الديوان وهي ممثلة في رواية الأصمعي البصري ، والمفضل الضبي الكوفي.

القسم الثاني:وهو روايات التلاميذ وهي روايات بصرية وكوفية روى أصحابهاعن الأصمعي أو المفضل فقد روى أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي،وقد احتفظ الأعلم الشنتمري بهذه الرواية،وروى أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي عن المفضل الكوفي .

القسم الثالث : وهو الروايات المجموعة ويُقصَدُ بها نسخ الديوان المجموعة، وقد جاء بعض هذه النسخ جامعاً لقصائد روايات مختلفة ومن ثم جمعت فيه القصائد جمعاً مختلطاً مثل نسخة السكري (ت ٢٧٥ هـ) ونسخة "ابن النحاس"، وبعض النسخ جاء جامعاً لقصائد رواية واحدة في نسق متتابع يُنَص فيه على أول الرواية وعلى نهايتها مثل نسخة الطوسي (ت ٢٥٠هـ) وهي تشمل في قسمها الأول رواية المفضل ، وفي قسمها الثاني مختارات من غير رواية المفضل . ومن قبيل ذلك نسخة الوزير عاصم بن أيوب البطليوسي النحوي (ت٤٦٤هـ) وكذلك نسخة الأعلم وهو يوسف بن سليمان الشنتمري

---

(١) تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٢٤٧

(٢) مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٤٨٥ – ٥٠٦

(ت ٤٧٦ هـ) وهى رواية متصلة السند إلى الأصمعى نفسه .

والخلاصة أن كل روايات شعر امرئ القيس مأخوذة فى الأغلب الأعم عن مصدرين رئيسين هما الأصمعى البصرى ، والمفضل الضبى الكوفى وهما من هما ثقة وعلما رواية ودراية ولكل منهما منهجه في الرواية وطريقته المحكمة فى النقد والتحرى مما جعلهما مؤهلين للحكم على الشعر الجاهلى وتمييز صحيحه من منحوله ومن ثم يصبح ما اتفقا على روايته ونسبته فى حكم الصحيح المؤكد الذى يجب قبوله والعمل بمقتضاه .

وقد انتهى د . الأسد من دراسته لروايات ديوان امرئ القيس إلى " أن رواية هؤلاء العلماء فى مجموعها رواية صحيحة أو قريبة من الصحة - وأن هؤلاء العلماء الرواة قد أفرغوا جهدهم وبذلوا أقصى طاقتهم فى النقد والتمحيص حتى استقام لهم ما استقام من شعر اطمأنوا إلى صحته وفقا لمنهجهم العلمى فرووه ؛ ورواه عنهم تلاميذهم حتى وصل إلينا منسوبا إليهم .... الأصمعى وتلميذه أبو حاتم السجستانى البصريان من جانب ، والمفضل وتلميذاه أبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى الكوفيون من جانب آخر ثقات أثبات مأمونون مختصون فى موضوعهم لهم منهجهم فى النقد والتحقيق والتمحيص ، وروايته لديوان امرئ القيس من أجل ذلك رواية لها قيمتها العلمية والتاريخية "[١] .

ويقرر الدكتور ناصر الدين الأسد أن المنهج العلمى يحتم علينا ضرورة التسليم بصحة القصائد التى اتفق الأصمعى والمفضل الضبى على روايتها وأن نتخذها أصلا للديوان ، وجملتها عشرون قصيدة ومقطوعة ، خاصة وأن هذه القصائد " التى اتفق على روايتها المفضل الأصمعى قد برئت من طعن الرواة الآخرين ، وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها ، ومن هنا جاز لنا أن

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ناصر الدين الأسد ص ٥١٣

نتخذها أصلاً صحيحاً - أو أقرب ما يكون إلى الصحة لديوان امرئ القيس ".

وبناء على ما قرره د . الأسد فرواية الأصمعي لشعر امرئ القيس صحيحة مقبولة ما عدا ثماني قصائد لم يتفق المفضل مع الأصمعي على روايتها ، ومن ثم فهذه القصائد التي انفرد بروايتها الأصمعي تحتاج إلى دراسة ونقد وتمحيص للحكم عليها بخلاف ما اتفقا عليه ، ويمكن الإشارة إلى أرقام هذه القصائد التي رواها الأصمعي ولم يروها المفضل حسب ورودها في الديوان الذي أخرجته دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وهي القصائد رقم ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨ .

ثانياً : الشواهد المتفق على نسبتها وروايتها

كثيراً ما يستشهد النحويون بشعر امرئ القيس بن حجر الكندي ، وقد تتبعت هذه الشواهد في بطون كتب التراث النحوي وكذلك تتبعتها في بطون الكتب والمصادر الأدبية دارساً وموثقاً فوجدت أن النحويين والأدباء قد اتفقت كلمتهم على رواية مجموعة من الأبيات وكذلك اتفقوا على نسبتها لامرئ القيس بن حجر الكندي وجميع هذه الأبيات المستشهد بها والمتفقة النسبة والرواية يدخل معظمها ضمن شعر امرئ القيس الذي رواه الأصمعي والموجود في نسخة الأعلم الشنتمري ويمكن الإبانة عن هذه الشواهد وقضاياها فيما يلي :

(١) كفّ " لكن " بـ " ما " الزائدة :

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

استشهد ابن يعيش والشيخ خالد والسيوطي بصدر هذا البيت على أن ما في قوله لكنما " حرفية " زائدة لحقت بـ " لكن " فكفتها عن العمل وهيأتها للدخول على الجملة الفعلية بعدها[1]

---

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش جـ ٨ ص ٥٧ وشرح التصريح جـ ١ ص ٢٢٥، همع الهوامع جـ ١ ص ١٤٣

وقد نسب ابن يعيش هذا البيت لامرئ القيس [1] ولم ينسبه الشيخ خالد والسيوطي [2] والبيت موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس بن حجر الكندي برواية الأصمعي [3]

(٢) تجريد " كأنّ " الداخلة على ياء المتكلم من نون الوقاية :

كَأنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جواداً لِلَذَّةٍ ... ولم أَتَبَطَّنْ كَاعِياً ذَاتَ خَلْخَالِ

أنشد الشيخ خالد صدر هذا البيت،ونسبه لامرئ القيس ، مستشهداً به على جواز دخول "كأن" مجردة من نون الوقاية على ياء المتكلم بدليل قوله "كأني" بتجريد " كأنّ " من نون الوقاية ، ولو لم يجرّدها لقال " كأنني " [4] ، ومعلوم أن حذف نون الوقاية وإثباتها مع " كأنّ " سواء . والبيت المستشهد به موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي [5] من نسخة الأعلم .

(٣) دخول الباء الزائدة على الفاعل :

ألا هل أتاها والحوادِثُ جَمَّةٌ ... بأنّ امرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا

استشهد الفراء،وابن عصفور،وابن الأنباري ، والزمخشري ، وابن يعيش والرضي بهذا البيت على أنّ "الباء" في قوله "بأنّ" زائدة دخلت على الفاعل [6] المرفوع المحل ، وذلك لأن أنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع لأنه فاعل الفعل " أتى " .

---

(١) انظر : شرح المفصل جـ ٨ ص ٥٧

(٢) انظر : شرح التصريح جـ ١ ص ٢٢٥ ، همع الهوامع جـ ١ ص ١٤٢

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٩

(٤) انظر : شرح التصريح جـ١ ص ١١٢

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٥

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء جـ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ والضرائر لابن عصفور ص ٦٣ ، والإنصاف لابن الأنباري جـ١ ص ١٧١ ، والمفصل للزمخشري ص ٢٨٥ ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ٨ ص ٢٣ ، ٢٤ ، وشرح الكافية للرضي جـ٢ ص ٣٢٨ .

(٤) الفصل بين الفعل وفاعله بالجملة الاعتراضية :

استشهد الفارسي وابن جنى بالبيت السابق على أن جملة " والحوادث جمة " معترضة بين الفعل " أتى " وفاعله المنسبك من أن وما دخلت عليه [١] .

والشاهد المذكور متفق على روايته، ونسبته ، حيث نسبه لامرئ القيس كل من الفراء [٢] وأبو بكر الأنبارى[٣] ، ابن جنى[٤] وابن عصفور[٥] والزمخشرى [٦] وابن يعيش[٧] والبغدادى [٨] .

وأنشده بنفس الرواية دون نسبة لأحد كل من الفارسى[٩] ، وأبو البركات الأنبارى [١٠] ، والرضى[١١] .

والبيت المستشهد به غير موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى ضمن القصيدة التى مطلعها :

سَمَا لك شَوقٌ بعد ما كان أقصرا   وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرا[١٢]

وقد ذكر محقق الديوان أن البيت من زيادات الطوسى والسكرى وابن

---

(١) انظر : المسائل الحلبيات للفارسى ص ١٤٥ ، ١٤٦ والخصائص لابن جنى جـ ١ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦

(٢)انظر : معانى القرآن للفراء جـ٢ ص ٢٢٢

(٣) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٥٩

(٤)انظر : الخصائص جـ١ ص ٣٣٥ ، والمنصف جـ ١ ص ٨٤

(٥) انظر : الضرائر ص ٦٣

(٦) المفصل ص ٢٨٥

(٧) شرح المفصل جـ٨ ص ٢٤

(٨) انظر : خزانة الأدب جـ٤ ص ١٦١ ، وقد أورده البغدادى أيضاً فى شرح شواهد المغنى جـ٦ ص ٢١٦ بدون نسبه

(٩) انظر : المسائل الحلبيات ص ١٤٥ ، ٢٥٧

(١٠) انظر : الإنصاف جـ١ ص ١٧١

(١١) انظر : شرح الكافية جـ٢ ص ٣٢٨

(١٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٥٦

النحاس وأبى سهل على هذه القصيدة [1].

(٥) إعمال الفعل الأول فى باب التنازع على مذهب الكوفيين :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى مَعيشَةٍ كفانى ولم أطْلبْ قليلٌ من المال

برفع " قليلُ " وتنوينه ، وقد نقل ابن الأنبارى أن الكوفيين يستشهدون بهذا البيت على إعمال الفعل الأول فى باب التنازع [2] ، لأن " كفى " و " أطلب " تنازعا لفظ قليل فأعمل الشاعر الفعل الأول لغير الضرورة ، ولو أعمل الثانى لقال " قليلاً " ، ولم تأت الرواية بذلك .

وقد استشهد سيبويه بهذا البيت مبيناً أنه ليس من باب التنازع وأن قوله " قليل " فاعل لقوله " كفانى " ، ولا يصح أن يكون معمولاً للفعل الثانى لما يترتب على ذلك من فساد المعنى ، ومعمول الفعل الثانى مفعول به محذوف لدلالة المعنى عليه ومن ثم فالبيت يمكن أن يكون شاهداً على حذف المفعول ، وليس من باب التنازع خلافاً للكوفيين .

وقد علق سيبويه على رفع " قليل " قائلاً " فإنما رفع ، لأنه لم يجعل القليل مطلوباً ، وإنما كان المطلوب عنده الملك ، وجعل القليل كافياً ، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى "[3]، وقد تابع سيبويه على هذا التوجيه كثير من النحويين منهم المبرد[4]، والزمخشرى[5]، وابن يعيش[6] ، وابن الحاجب [7] ،

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٩٢

(٢)انظر : الإنصاف حـ١ ص ٨٣ – ٨٥

(٣) الكتاب حـ ١ص ٧٩

(٤) المقتضب حـ٤ ص ٧٦

(٥) انظر : المفصل ص ٢١

(٦)شرح المفصل حـ ١ ص ٧٩

(٧)شرح الكافية للرضى حـ ١ ص ٨١

والرضى [١]، وابن هشام [٢] ، والأشمونى [٣]

وقد أكد ابن هشام ما ذهب إليه سيبويه ودلل على صحته قائلاً " وليس من التنازع قول امرئ القيس : ولو أن ما أسعى ..... وذلك لأنّ شرط هذا الباب أن يكون العاملان موجهين إلى شئ واحد كما قدمنا ، ولو وجه هنا " كفانى " و " أطلب " إلى " قليل " فسد المعنى ؛ لأنّ " لو " تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، فإذا كان ما بعدها مثبتاً كان منفياً ، نحو : لو جائنى أكرمته ، وإذا كان منفياً كان مثبتاً نحو لو لم يسئ لم أعاقبه وعلى هذا فقوله " أن ما أسعى لأدنىَ معيشة " منفى لكونه فى نفسه مثبتاً ، وقد دخل عليه حرف الامتناع ، وكل شئ امتنع لعلة ثبت نقيضه ، ونقيض السعى لأدنى معيشة عدم السعى لأدنى معيشة عدم السعى لأدنى معيشة، وقوله " ولم أطلب " مثبت لكونه منفياً بـ " لم "،وقد دخل عليه حرف الامتناع ، فلو وجه إلى" قليل " وجب فيه إثبات طلب القليل ، وهو عين ما نفاه أولاً وإذا بطل ذلك تعين أن يكون مفعول أطلب محذوفاً ، وتقديره : ولم أطلب الملك ، ومقتضى ذلك أنه طالب للملك وهو المراد " [٤] .

وقد استشهد المبرد بهذا البيت ولم ينسبه لأحد [٥]،وكذلك صنع ابن جنى [٦]، وابن عصفور [٧] ، والأشمونى [٨] ، وأما سيبويه فنسبه لامرئ

---

(١)شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٨٢ ، وخزانة الأدب جـ ١ ص ١٥٨ ، ١٥٩

(٢) انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٥٠٨

(٣)انظر : شرح الأشمونى جـ ٢ ص ٩٨ ، ٩٩

(٤) قطر الندى وبل الصدى ص ١٩٩ ، ٢٠٠

(٥)انظر : المقتضب جـ ٤ ص ٧٦

(٦)انظر : الخصائص جـ ٢ ص ٣٨٧

(٧) انظر : المقرب ص ١٧٨

(٨) انظر : الأشمونى جـ ٢ ص ٩٨ ، جـ ٤ص ٤٠

القيس [1] وكذلك صنع الزمخشرى [2] وابن الأنبارى[3] وابن يعيش [4] وابن هشام [5] ، وشرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى [6] وكذلك صنع البغدادى [7] والبيت موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى[8]

(٦) إعراب الظرف " عل "

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

استشهد سيبويه وابن جنى وابن عصفور وابن هشام والسيوطى على أن " عل " ظرف مكان معرب ، وأن الشاعر جره بحرف الجر " من " ، لأنه أراد به النكرة ولذا أعربه [9] .

وقد ذكر ابن عصفور أن الشاعر أعرب الظرف " عل " فى البيت لأنه حذف المضاف إليه بعده ، وهو نكرة .

ونصَّ ابن جنى على أن هذا البيت لا حذف فيه ، وعلل الإعراب بالتنكير ، وعلق على البيت ذاكراً أنه " لا حذف فيه ؛ لأنه نكرة ، ولذا أعربه ، فكأنه قال : حطّه السيل من مكان عالٍ[10] .

(١)انظر : الكتاب جـ ١ ص ٧٩

(٢)انظر : المفصل ص ٢١

(٣)انظر : الإنصاف جـ ١ ص ٨٤

(٤)انظر : شرح المفصل جـ ١ ص ٧٩

(٥) انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، جـ ٢ ص ٥٠٨ وشذور الذهب ص ٢٨٥ ، وقطر الندى ص ١٩٩

(٦)انظر : المقاصد النحوية جـ ٣ ص ٣٥

(٧) انظر : خزانة الأدب جـ ١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٥ ص ٣٥ ، جـ ٧ ص ٩٧

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٩

(٩) انظر : الكتاب جـ ٤ ص ٢٨٨ ، والخصائص جـ ٢ ص ٣٦٣ ، والمقرب ص ٢٣٦ ، ومغنى اللبيب جـ ١ ص ١٥٤ والشذور ص ١٤٧ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص ٢١٠

(١٠)الخصائص جـ٢ ص ٣٦٣

يقول ابن هشام" لو أردت بـ"عل"علوا مجهولاً غير معروف تعين الإعراب"[1].
وقد نسب سيبويه هذا البيت لامرئ القيس[2] ، وقد استشهد بعجزه كل من ابن جني وابن عصفور، وابن هشام والسيوطي،ولم ينسبه أحد منهم[3]، وشرحه العيني ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندي[4]، كذلك صنع البغدادي [5] ، والبيت بديوان امرئ القيس ضمن معلقته الشهيرة[6] .

(٧) جرّ المفعول لأجله باللام إن لم تتحقق شروط نصبه

فَجِئْتُ وقد نَضَتْ لنَوْمٍ ثيابَهَا   لَدَى السِّتْرِ إلا لِبْسَةَ المُتَفَضّلِ

استشهد ابن عصفور ، وابن هشام ، والسيوطي والأشموني بهذا البيت على أن الشاعر جر المصدر " نوم " باللام ولم ينصبه على أنه مفعول لأجله ، لأنه وإن كان علة للفعل نضت ، وفاعلهما واحد ، إلا أنهما اختلفا في الزمن إذ وقت التنضية متقدم على وقت النوم ، فلما فُقِد شرط الاتحاد في الزمن وجب جر المصدر بحرف التعليل [7] وهو اللام .

(٨) دخول " قد " وجوبا على الجملة الحالية

استشهد ابن أم قاسم والسيوطي بنفس البيت السابق على أن جملة "وقد نضت " جملة حالية ، دخلت عليها " قد " وجوبا ؛ لأنها جملة ماضية مثبتة

---

(١) شذور الذهب ص ١٤٧

(٢)انظر : الكتاب جـ٤ ص ٢٢٨

(٣) انظر : الخصائص جـ٢ ص ٣٦٣ ، والمقرب جـ ٢٣٦ ، والمغنى جـ١ ص ١٥٤ ، والشذور ص ١٤٧ والهمع جـ١ ص ٢١٠

(٤)انظر : المقاصد النحوية جـ٣ ص ٤٤٩

(٥)انظر : شرح أبيات المغنى جـ ٣ ص ٣٧٣ ، ٣٧٥

(٦)ديوان امرئ القيس ص ١٩

(٧) انظر : المقرب ص ١٧٨ ، وشذور الذهب ص ٢٨٦ ، وأوضح المسالك جـ٢ ص ٢٢٦ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص ١٩٤ ، والأشموني جـ ٢ ص ١٢٤.

مصدرة بالواو [1].

ولم ينسب ابن عصفور هذا البيت إلى قائل معين [2] ،واستشهد به ابن هشام مرتين مرة به كاملاً ، مرة بصدره ولم ينسبه في الموضعين [3]، وكذلك استشهد به السيوطى بصدره ولم ينسبه [4] ، واستشهد به الأشمونى بصدره بدون نسبة أيضاً [5] ، وشرحه الشيخ خالد ونسبه لامرئ القيس [6] ، ونصّ العينى على أنه لامرئ القيس بن حجر الكندى [7] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى [8] برواية الأصمعى .

(٩) وقوع الجملة الابتدائية حالاً :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنَّها ... مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

استشهد السيوطى بهذا البيت ولم ينسبه ، واستدل به على وقوع الجملة الابتدائية حالاً [9] ، كما فى قوله : " والنجوم كأنها مصابيح رهبان : إذ الواو واو الحال ، والنجوم مبتدأ ، وكأنّ واسمها وخبرها فى محل رفع خبر ، والجملة الابتدائية فى محل نصب حال .

والبيت موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية

---

(١)انظر : المقاصد النحوية جـ٣ ص ٣٢٥ ، وهمع الهوامع جـ١ ص ٢٤٧

(٢) انظر : المقرب ص ١٧٨

(٣)شذور الذهب ص ٢٨٦ ، وأوضح المسالك جـ ٢ ص ٢٢٦

(٤)انظر : همع الهوامع جـ١ ص ٢٤٧

(٥)انظر : الأشمونى جـ ٢ ص ١٢٤

(٦) انظر : شرح التوضيح جـ ١ ص ٣٣٦

(٧) انظر : المقاصد النحوية جـ ٣ ص ٦٦ ، ٣٢٥

(٨) ديوان امرئ القيس ص ١٤

(٩) انظر : همع الهوامع جـ ١ ص ٢٤٦

الأصمعي [1] .

(١٠) تأخر الحال عن عاملها وجوباً

كَأنّ قُلُوبَ الطيرِ رَطْباً ويابِساً ... لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

استشهد ابن هشام بهذا البيت على وجوب تأخر الحال عن عاملها ، إذا كان العامل لفظاً مضمناً معنى الفعل ، حيث ذهب إلى أن " رطباً "، و " يابساً " حالان ، والعامل فيهما هو حرف التشبيه " كأنّ " لما فيه من معنى الفعل دون حروفه ، إذ أنّ كأن قد ضُمِّنَ معنى " أشبه " ، ولذا جاز أن يعمل في الحال ، وإذا كان العامل لفظاً مضمناً معنى الفعل وجب تأخر الحال عن عاملها كما هو الشأن في البيت .

وقد استشهد ابن هشام بهذا البيت ثلاث مرات في المغني ، ومرة في أوضحه، ولم ينسبه في المواقع كلها [2] ، وشرحه العيني ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندي[3] ، وكذلك صنع الشيخ خالد [4] والبغدادي [5] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس بنفس الرواية ، وهي رواية الأصمعي [6].

(١١) نعت النكرة بمضاف إلى ما فيه " أل "

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ لاَحَهُ ... طِرَادُ الهَوادِي كُلُّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ

استشهد سيبويه بهذا البيت ، ونسبه لامرئ القيس ، واستدل به على أن الشاعر وصف " منجرد " وهو نكرة - بـ " قيد " وهو مضاف إلى " الأوابد "

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣١

(٢)انظر : مغني اللبيب حـ ١ ص ٢١٨ ، وحـ ٢ ص ٣٩٢ ، ٣٣٩ ، وأوضح المسالك حـ ٢ ص ٣٢٩

(٣)انظر : المقاصد النحوية حـ ٢ ص ٢١٦

(٤)انظر : شرح التصريح حـ ١ ص ٣٨٢

(٥)شرح أبيات المغني حـ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣

(٦)انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٨

أى أنه مضاف إلى ما فيه " أل "، وإنما ساغ ذلك لكون الإضافة فى " قيد الأوابد " لفظية [1] ومن ثم فهى لا تفيد المضاف تعريفاً لذا وصفت به النكرة ، وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن هذا البيت " حجةٌ بأن " قيد الأوابد " نكرة وكأنه أراد قيدٍ الأوابد فحذف التنوين " [2] .

وقد شرح أبو جعفر النحاس هذا البيت ولم ينسبه[3]،وهو موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى من نسخة الأعلم [4] .

(١٢) بدل كلّ من بعض

كَأَنّى غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

استشهد ابن أم قاسم بصدر هذا البيت على أن " يوم تحملوا " بدل من " غداة البين " ومن ثم فهو بدل كلٌ من بعض [5] ، وقد شرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى [6] ، وهو موجود بديوانه برواية الأصمعى بنفس الألفاظ والرواية [7] .

(١٣) حذف واو العطف مع معطوفها

كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ رِجْلُهَا خَذْفُ أَعْسَرَا

استشهد ابن الناظم بهذا البيت ونسبه لامرئ القيس ، واستدل به على أن المراد : إذا نجلته رجلها ويدها، ثم حذفت واو العطف مع معطوفها اكتفاء

---

(١)انظر : الكتاب جـ ١ ص ٤٢٤

(٢) انظر : شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ١٦٥

(٣) انظر : شرح أبيات سيبويه ص ١٦٥

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٦

(٥)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٢٠١، ٢٠٢

(٦)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٢٠١

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٩

بدلالة السياق على المحذوف[1]، وقد شرح العينى هذا البيت ونسبه لامرئ القيس بن حجر[2]، وهو بديوانه برواية الأصمعى [3] بنفس الرواية المذكورة .

(١٤) بطلان مذهب أبى الحسن الأخفش فى بناء أفعل التفضيل من الثلاثى المزيد

ذهب أبو الحسن الأخفش إلى جواز بناء أفعل التفضيل أو التعجب من كل فعل ثلاثى دخلت عليه الزوائد سواء أقلت زوائده أم كثرت قياساً على قولهم : ما أعطاه للمال،وهو أعطاهم للدراهم،فأتوا بـ" أفعل" التفضيل والتعجب من الفعل " أعطى" وهو ثلاثى مزيد بالهمزة،وقد ردّ ابن يعيش مذهب أبى الحسن الأخفش[4] مستدلاً على ذلك بأن الفعل "أعطى" لا يصح القياس عليه،لأن الهمزة دخلت عليه للنقل،وقد يستعمل الفعل بدونها،فيقولون:عطا يعطو،فكأنهم لما قالوا هو أعطاهم جاءوا بـ " أفعل " من الفعل " عطا " أو من " أعطى " على نية طرح الهمزة ، واستشهد على استعمال الأصل عطا يَعطو بقول امرئ القيس :

وتَعطُو برَخصٍ غَيرِ شَثْنٍ كأنَّهُ أساريعُ ظَبْيٍ أوْ مَساويكُ إسْحِلِ

حيث استعمل الفعل بغير الهمزة قائلاً " تعطو " ومن ثم فماضيه " عطا " ، ولو جاء به من أعطى لقال " تُعْطِى " " وإذا كان أصله أن يستعمل بغير الهمزة ، وإنما الهمزة داخلة عليه ، فجاز أن يعتقد عدم دخولها ، وتقدر الهمزة محذوفة غير موجودة وليس كذلك استخرج وانطلق ، فإن الكلمة فيهما صيغت على هذا

---

(١) انظر : شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٤٨

(٢)انظر : المقاصد النحوية جـ٤ ص ١٦٩ – ١٧١

(٣)انظر : ديوان امرئ القيس ص ٦٤

(٤)انظر : شرح المفصل جـ ٦ ص ٩٢ ، ٩٣ ، جـ ٧ ص ١٤٤ ، ١٤٥

البناء فلم يجز أن يقاس على أعطى وأولى وبابه " [1]

وقد أنشد ابن جنى هذا البيت بنفس الرواية ونسبه لامرئ القيس [2] وكذلك صنع ابن يعيش [3] ورواه الأنبارى ضمن معلقة امرئ القيس بنفس الرواية المذكورة [4]، والبيت موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى[5].

(١٥) حذف المتعجب منه

أرى أمَّ عمْرٍو دمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرا   بُكَاءً على عَمْرٍو ومَا كَانَ أصْبَرا

استشهد ابن عقيل بهذا البيت على أن الأصل " وما كان أصبرها " فحذف المتعجب منه [6] ، وهو الضمير المنصوب الواقع مفعولاً لفعل التعجب ، وسوّغ الحذفَ دلالة السياق على المحذوف .

(١٦) زيادة " كان "

استشهد ابن عصفور بالبيت السابق على أن "كان " فيه زائدة للدلالة على الزمن الماضى ، وعدَ ذلك من قبيل ضرائر الزيادة وقد نسب ابن عصفور هذا البيت لامرئ القيس [7] ، ولم ينسبه ابن عقيل[8] ، وشرحه العينى ونسبه لامرئ

---

(١)شرح المفصل لابن يعيش جـ ٦ ص ٩٣

(٢)انظر : المنصف جـ ٣ ص ٥٨

(٣)انظر : شرح المفصل جـ ٦ ص ٩٢ ، ٩٣ ، جـ٧ ص ١٤٤ ، ١٤٥

(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٦٦

(٥) ديوان امرئ القيس ص ١٧

(٦)شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ١٥١

(٧) الضرائر ص ٧٨

(٨)شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ١٥١

القيس[1] والبيت موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي[2].

(١٧) الإضافة غير المحضة لا تكسب المضاف تعريفاً

مِنَ القاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرِّ فَوقَ الإتْبِ منها لأثَّرَا

استشهد أبو جعفر النحاس بهذا البيت ولم ينسبه ، واستدل به على أن المضاف إلى معرفة إذا كانت إضافته غير محضة كقوله " قاصرات الطرف " يبقى المضاف منكراً ولا يكتسب التعريف من المضاف إليه ، والدليل على ذلك أن الشاعر لمّا أراد تعريف " قاصرات الطرف"عرفها بـ " أل" فقال "القاصرات الطرف " [3] ، فعرفها بـ " أل " رغم أنها مضافة إلى ما فيه أل نظراً لأن الإضافة لا تكسب المضاف تعريفاً .

وهذا البيت موجود بنفس الرواية بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعي [4] .

(١٨) عمل " رُبَّ " المحذوفة

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البحر أرخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بأنواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

استشهد ابن هشام والأشموني بهذا البيت على أن المراد : ورُبَّ ليلٍ ثم حذفت " ربَّ " وبقي عملها [5] ولذا ظلَّ " ليل " مجروراً ، وقد ذكر ابن هشام أن حذف رب بعد الواو ، وبقاء عملها كثير . وقد استشهد ابن هشام بهذا البيت مرتين حيث أنشده كاملاً في شذوره ، واستشهد بعجزه في المغنى ولم ينسبه

(١)انظر : المقاصد النحوية جـ ٣ ص ٦٦٨

(٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٦٩

(٣)انظر : إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس جـ ٣ ص ٤٦٨

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٦٨

(٥)انظر : شذور الذهب ص ٣٨٩ ، والمغنى جـ ١ ص ٣٦١ ، وشرح الأشمونى جـ ٢ ص ٢٣٣

في الموضعين [١] وكذلك استشهد الأشموني بصدره بغير نسبه [٢] ، وشرحه البغدادي ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندي[٣] ، وكذلك صنع الشيخ خالد [٤] وقد أنشد ابن الأنباري هذا البيت بنفس الرواية ونسبه لامرئ القيس [٥] والبيت موجود بديوان امرئ القيس بنفس الرواية وهي رواية الأصمعي [٦] .

(١٩) دلالة " لو " على الامتناع

فَلَوْ أنَّ ما أسْعَى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطْلبْ قليلٌ من المال

استشهد ابن هشام بهذا البيت على أن " لو " تدل على الامتناع وعليه فالتركيب " لو فعل " يفهم منه عدم وقوع الفعل ، ولهذا يصح أن تعقبه بحرف الاستدراك " لكن " داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً أو معنى[٧] وقد مضى تخريج هذا البيت فيما سبق[٨]

(٢٠) دخول " لو " على " أنَّ "

استشهد ابن هشام والأشموني بالبيت السابق على وقوع " أنَّ " بعد " لو " وذكر ابن هشام أنّ ذلك يقع بكثرة [٩] ، و " أنَّ " في هذه الحالة في موضع رفع على الابتداء ، ولا تحتاج إلى خبر ، لاشتمال صلتها المسند ، والمسند إليه ،

---

(١)انظر : شذور الذهب ص ٣٨٩ ، ومغني اللبيب جـ ١ ص ٣٦١

(٢)انظر : شرح الأشموني جـ ٢ ص ٢٣٣

(٣)انظر : شرح أبيات المغني جـ٦ ص ١١٤

(٤)انظر : شرح التصريح جـ ٢ ص ٢٢

(٥) انظر : شرح القصائد السبع الجاهليات ص ٧٤

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٨

(٧) سبق تخريج هذا البيت ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(٨) سبق تخريج هذا البيت ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(٩)انظر : مغني اللبيب جـ ١ ص ٢٦٩ ، وشرح الأشموني جـ ٤ ص ٤٠

وهذا مذهب سيبويه [1]. بينما ذهب الكوفيـــون وتبعـــهم المـــبرد ، والزجـــاج والزمخشرى ، وجماعة إلى أنَّ " أنْ " ومعموليها في البيت فى موضـــع رفـــع فاعل والتقدير : لو ثبت أن ما أسعى [2]

ثالثاً : الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً لا يؤثر على الاستشهاد

(١) أحكام تتعلق بالمعارف

(أ) الإضمار قبل الذكر

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

استشهد أبو على الفارسى بهذا البيت على أن " فـــاعل " نســـجت ضمـــير مستتر تقديره " هى " عائد على الريح التى لم يسبق لها ذكر ، وبناء على ذلـــك فقد أضمر الفاعل قبل ذكره لدلالة الكلام عليه [3]

وقد أيد ابن هشام هذا التوجيه [4] حيث ذكر أنَّ " مِن جنوب " بيان وتفســير للضمير المستتر فى نسجت . وأجاز " الأخفش " كون " مِنْ " فى قولـــه " مـــن جنوب " زائدة ، وبناء على ذلك فـــ " جنوب " مجرورة لفظاً إلا أنها فى محـــل رفع " فاعل " الفعل نسجت [5] ، وكأن الأصل : لما نسجتها جنـــوب وشـــمأل ، وبناء على هذا التوجيه فلا شاهد فى البيت .

---

(١) انظر : الكتاب جـــ ٣ ص ١٢١ ، وارتشاف الضرب جـــ ٢ ص ٥٧٣ ، ومغنى اللبيب جـــ ١ ص ٢٦٩

(٢) انظر : ارتشاف الضرب جـــ ٢ ص ٥٧٣ ، ومغنى اللبيب جـــ ١ ص ٣٦٩

(٣) انظر : إيضاح الشعر ص ٥٠٥

(٤) انظر : المغنى جـــ ١ ص ٣٣١ ، وشرح أبيات المغنى جـــ ٥ ص ٣٤٩.

(٥) انظر : إيضاح الشعر ص ٥٠٦

وقد استشهد أبو جعفر النحاس بهذا البيت ورواه " لما نسجته " ولم ينسبه [1] ورواه الفارسي " لما نسجتها " ولم ينسبه [2] .

واستشهد به " ابن جني " بنفس الرواية وذكر أنه " يروى " " وشمأل " ونسبه لامرئ القيس [3] ، واستشهد ابن هشام بعجزه ولم ينسبه [4] ، واستشهد السيوطي بعجزه ونسبه لامرئ القيس [5] ، وشرحه البغدادي ونسبه لامرئ القيس [6] ، والبيت بديوان امرئ القيس [7] ضمن معلقته الشهيرة وهي رواية الأصمعي .

(ب) استعمال الاسم الموصول " مَنْ " مع غير العاقل

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البالي وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخَالِي

استشهد ابن هشام والأشموني بهذا البيت على أن " مَنْ " فيه اسم موصول استعمل لغير العاقل [8]،وهو الطلل،وعليه فقد أنزل الشاعر الطلل منزلة العقلاء ولذا خاطبه،واستعمل معه "مَنْ" الموصولة التي تستعمل أصالة مع العاقل .

وقد استشهد سيبويه بعجز هذا البيت ورواه " وهل ينعمن " ولم ينسبه [9] ،

---

(1)انظر : إعراب القرآن للنحاس جـ ١ ص ٣٣٧

(2) إيضاح الشعر ص ٥٠٥

(3)انظر : المنصف جـ ٣ ص ٢٤ ، ٢٥

(4)انظر : المغني جـ ١ ص ٣٣١

(5)انظر : همع الهوامع جـ ١ ص ٨٧

(6)انظر : شرح أبيات المغني جـ ٥ ص ٣٤٩

(7) انظر : الديوان ص ٨

(8) انظر : أوضح المسالك جـ ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وشرح التصريح جـ ١ ص ١٣٣ ، والأشموني جـ ١ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، والمقاصد النحوية جـ ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٦

(9)انظر : الكتاب جـ ٤ ص ٣٨

وكذلك صنع الفارسي إلا أنه نسبه لامرئ القيس [1] ، ورواه أبو بكر الأنباري ألا انعم صباحاً .... وهل تنعمنْ ، ونسبه لامرئ القيس [2] ، وأورده ابن يعيش بنفس رواية سيبويه ولم ينسبه [3] ، وروى ابن هشام عجزه " وهل يعمن من " ولم ينسبه [4] ، وشرحه العيني والشيخ خالد ونسباه لامرئ القيس [5] ، واستشهد السيوطي بعجزه ورواه " وهل يعمن " ولم ينسبه [6] ، والبيت بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي وروايته "" وهل يعمن " [7] ، وذكر المحقق أنه يروى في غير الأعلم والبطليوسي " وهل ينعمن " [8] .

(جـ) التعريف بالإضافة

فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ   يَمُرّ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ المثَقَّبِ

أنشد ابن هشام هذا البيت بالرواية المذكورة مستدلاً على أن قوله : كخذروف الوليد المثقب " فيه دليل على أن المضاف إلى معرفة يكتسب التعريف منها ويكون في رتبتها [9] يؤكد ذلك أن " المثقب " نعت لـ " خذروف " و" المثقب " محلى بـ " أل " ولا يجوز أن يكون النعت أعرف من المنعوت ، وإنما سوّغ النعتَ هنا كون " خذروف " مضافاً إلى ما فيه " أل " فاكتسب بهذه الإضافة رتبة المعرف بـ " أل " ومن هنا ساغ نعته بما فيه " أل " .

---

(١) انظر : المسائل الحلبيات ص ١٢٤

(٢) انظر : المذكر والمؤنث ص ٣٢٦ ، ٣٢٧

(٣)انظر : شرح المفصل جـ ٧ ص ١٥٣

(٤)انظر : أوضح المسالك جـ ١ ص ١٤٨

(٥)انظر : المقاصد النحوية جـ ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وشرح التصريح جـ ١ ص ١٢٣

(٦)انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٨٣

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٧

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٧ تعليقة ١

(٩) انظر : شذور الذهب ص ٢٠٢

والبيت موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي بالرواية المذكورة [١] بيد أن السكرى وابن النحاس وأبا سهل يروون صدره [٢] .

فأدرك لم يعرق مناط إزاره ....

(٢) نواسخ الابتداء

(أ) دخول الباء الزائدة على خبر إنّ :

فَإِنْ تَنْأَ عَنْهَا حِقْبَةً لا تُلاَقِهَا فَإِنَّكَ مَهْمَا أَحْدَثْتَ بِالمُجَرِّبِ

استشهد ابن الناظم وابن هشام والسيوطى بهذا البيت على أن الشاعر أدخل " الباء " الزائدة على خبر " إن " [٣] فى قوله : فإنك .... بالمجّرب والأصل فإنك : المجّرب .

وقد ذهب من لا يرتضى زيادة الباء مع خبر" إنّ "إلى أن "الباء" فى بالمجرّب حرف جر أصلى،وذكر أبو على الجرجانى أن "بالمجّرب" يروى بفتح الراء المشددة، وهو اسم مكان،والباء ظرفية،فهى حرف جر أصلى لا زائد[٤] وعليه فالجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر،وذكر بعضهم أن "المجّرب" اسم فاعل والباء داخلة عليه أصلية للتشبيه،والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر"إن" .

وقد روى ابن الناظم عجز هذا البيت فإنك ممّا...... ونسبه لامرئ القيس [٥] .

واستشهد ابن هشام بعجزه فى أوضحه ولم ينسبه [٦] وأنشده كاملاً فى التلخيص ورواه " فإنك ممّا أحدثت .... ونسبه لامرئ القيس [٧] وذكر أن " المجّرب

---

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٥١

(٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٨٧

(٣)انظر : شرح الألفية لابن الناظم ص ١٤٩،١٥٠ ، وأوضح المسالك جـ١ ص ٢٩١ ،والهمع جـ١ ص ١٢٧

(٤) انظر : تخليص الشواهد ص ٢٩٢

(٥) انظر : شرح الألفية لابن الناظم ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٦)انظر : أوضح المسالك جـ ١ ص ٢٩٧

(٧) انظر : تخليص الشواهد ص ٢٨٦ ، ٢٩٢

" يروى بفتح الراء المشددة وكسرها ، واستشهد السيوطى بعجزه ورواه " فإنك مهما..... ولم ينسبه[1] وشرحه العينى والبغدادى ونسباه لامرئ القيس[2] وهو بديوانه[3] بالرواية التى أثبتها أولاً ، وهى رواية الأصمعى .

(ب) حذف خبر ليت وجوباً

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى كيفَ جَادَتْ بِوَصْلِهَا ... وكَيْفَ تُراعى وُصلَةَ المتَغيِّبِ

استشهد السيوطى بصدر هذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه ، وقد استدل به على أن الشاعر حذف خبر ليت ، وهو حذف ملتزم حالة كون " ليت " مردفة بجملة استفهامية كما هو الشأن فى البيت [4] وعليه فـ " شعرى " اسم ليت ، وخبرها محذوف وجوباً ، وجملة كيف جادت بوصلها فى محل نصب بالمصدر ، وقد سدّت مسدّ الخبر المحذوف .

ولم يرتض بعض النحويين التوجيه السابق حيث ذهب المبرد والزجاج إلى أن الجملة الاستفهامية " كيف جادت بوصلها " فى موضع رفع خبر " ليت "[5].

وقد ذكر أبو حيان أن ذلك هو ظاهر قول سيبويه [6] . وبناء على هذا التوجيه فليس فى البيت شاهد على حذف خبر ليت .

والبيت موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى[7] وروايته" كيف حادث وصلها... "وذكر المحقق أن عجزه يروى أيضاً "وكيف تظن بالإخاء المغيب"[8]

---

(١)انظر : همع الهوامع جـ١ ص ١٢٧

(٢)انظر : المقاصد النحوية جـ٢ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، وشرح أبيات المغنى جـ٧ ص ١١٤

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٢

(٤)انظر : همع الهوامع جـ١ ص ١٣٦

(٥)انظر : ارتشاف الضرب جـ٢ ص ١٣٦ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص ١٣٦

(٦)انظر : ارتشاف الضرب جـ ٢ ص ١٣٦

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٢

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٨٢ تعليقة رقم ٥

(٣) الفعل المتعدى وما يعمل عمله

(أ) تضمين " أَبْدَى " معنى كَشَفَ

تَصُدُّ وتُبْدِى عن أسيلٍ وتَتَّقِى بناظرةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

استشهد الرضى بجزء من صدر هذا البيت على أن الشاعر قد ضمن الفعل " تبدى " معنى " تكشف" ولذا عداه إلى المفعول الثانى " أسيل "بـ"عن" (١) والمفعول الأول محذوف والتقدير : وتبدى الغطاء عن أسيل .

ولم ينسب الرضى هذا الشاهد (٢) ، شرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس وذكر أنه يروى عن " شتيت " بدلاً من " عن أسيل " (٣) ، والبيت بديوان امرئ القيس بنفس الرواية المستشهد بها (٤) وهى رواية الأصمعى، وذكر المحقق أن رواية عن " شتيت " هى رواية الطوسى وأبى جعفر النحاس وابن الأنبارى (٥)

(ب) إعمال اسم الفاعل المقترن بـ " أل " عمل فعله

القاتلين المَلِكَ الحُلاَحِلا خَيْرَ مَعَدٍّ حَسَباً ونَائِلا

واستشهد ابن هشام والسيوطى بهذا الرجز على أن اسم الفاعل المحلى بـ" أل " الموصولة يعمل عمل فعله مطلقاً ماضياً كان أو حاضراً أو مستقبلاً (٦)،ومما يؤكد عمله حالة كونه ماضياً قوله " القاتلين " الملكَ حيث نُصِبَ " الملك " باسم الفاعل" القاتلين " رغم دلالته على المعنى،لأن زمن القتل سابق على زمن القول،والمسوغ لإعمال اسم الفاعل رغم مضيه هو اقترانه بـ" أل " الموصولة

---

(١)انظر : شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣٤٢ ، وخزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٤٤

(٢)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٤٢

(٣)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧١ تعليقه رقم ٣٣

(٦)انظر : شذور الذهب ص ٤٦٢ ، وقطر الندى ص ٢٧٠ ، وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٩٦

لأنه حالٌ فى هذه الحالة محل الفعل ومن ثم يعمل عمله بالنيابة .

وقد أنشد ابن هشام هذين البيتين بنفس الرواية المذكورة ونسبها لامرئ القيس[1] ، واستشهد السيوطى بالبيت الأول بنفس الرواية ولم ينسبه[2]، والبيتان بديوان امرئ القيس بنفس الرواية وهى رواية الأصمعى [3] ، وأما البيت الثانى فقد رواه " الطوسى وابن النحاس وأبو سهل يا خير شيخ حسبا [4] .

(جـ)إلحاق " بَعُدَ " بفعل المدح " نِعْم "

قَعَدْتُ له وَصُحْبَتِى بَيْنَ ضَارِجٍ وبَيْن العُذَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمّلى

استشهد الرضى بهذا البيت على أن " بَعْدَ " فيه فعل قصد به المدح والتعجب فهو ملحق بـ" نعم" فى الدلالة والعمل[5]،وذكر البغدادى أن بعْد " أصله" بَعُدَ " بفتح الباء وضم العين أصالة ، ألحق بفعل المدح ، ويجوز فى بائه وجهان فتحها وتسكين عينها بحذف حركتها ، وضمها بنقل حركة عينها إليها كما يجوز فى كل فعل المراد به المدح " [6] . وبناء على ذلك فـ " بَعْد " فعل قصد به المدح ، وقد حذفت ضمة عينه تخفيفاً ، و" ما " زائدة ، و " متأملى " فاعل المدح أى فاعل " بَعْد " ، والمخصوص بالمدح محذوف ، ويجوز كون " ما " اسم نكرة فى محل نصب تمييز للضمير المستتر فى " بَعْد " و " متأملى " هو المخصوص بالمدح . وقد استشهد الرضى فى شرح الكافية بقطعة من هذا البيت [7] .

---

(١) انظر : شذور الذهب ص ٤٦٢ ، وقطر الندى ص ٢٧٩

(٢)انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٩٦

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٣٤

(٤) ديوان امرئ القيس ص ٤١٨

(٥)انظر : شرح الكافية جـ٢ ص ٣١٨ ، وشرح الشافية جـ١ ص ٧٧

(٦)خزانة الأدب جـ٤ ص ١٢١

(٧)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣١٨

وأنشده كاملاً فى شرح الشافية [1] ولم ينسبه فى الموضعين ، وشرحه البغدادى وذكر أن الأصمعى يرويه " بُعْد " بضم الباء وسكون العين ، بينما يرويه أبو حاتم " بَعْد " بفتح الباء وسكون العين ، ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى [2] وهو بديوانه برواية الأصمعى [3] وروايته :

قعدت له وصحبتى بين حامرٍ   وبين إكام بُعْدَ ما متأملِ

وذكر المحقق[4] أن رواية القرشى هى :

قعدت وأصحابى له بين ضارج   وبين العذيب بُعْد ما متأمَّلِ

(٤) المفعول المطلق

(أ) انتصاب المفعول المطلق بفعل مضمر

وَيَوْماً على ظَهْرِ الكَثِيْبِ تَعذَّرَتْ   عَلَيَّ وآلتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ

أنشد السيوطى عجز هذا البيت ولم ينسبه ، واستشهد به على أن " حلفةً " مفعول مطلق وناصبه فعل مضمر من لفظه [5] والتقدير : حلفت حلفة ، وليس منصوباً بالفعل " آلت " مع أنه بمعناه ، وذلك لأن للمصدر " حلفة " فعلاً من لفظه ، ولو لم يوضع له فعل لانتصب بالظاهر. والبيت لامرئ القيس ، وهو بديوانه بنفس الرواية المذكورة [6] ، وهى رواية الأصمعى وقد أنشده ابن الأنبارى بنفس الرواية وذكر أنه يروى " ويومٍ على ... " [7] وليس لتعدد الرواية

---

(1)انظر : شرح الشافية جـ ١ ص ٧٧

(٢)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، وشرح شواهد الشافية ص ٣٩

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٤

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٥ تعليقة ٦٩

(٥)انظر : همع الهوامع جـ ١ ص ١٨٧

(٦) : انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٢

(٧) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢

أثرعلى الاستشهاد ومن قبيل نصب المفعول المطلق بالفعل المضمر قول امرئ القيس أيضاً :

وَيَمْنَحُها بَنُو شَمَجَى بِنِ جَرْمٍ   مَعِيزَهُم حَنَانَكَ ذا الحَنَانِ

حيث استشهد المبرد بهذا البيت بغير نسبة على أن"حنانك" مصدر استعمله الشاعر مفرداً،ونصبه بفعل مضمر[1]والغالب فى هذه الكلمة أن تستعمل مثناة فتقول:"حنانك"وتنصبها على إضمار الفعل،فإذا أفردت فأنت مخير إن شئت نصبت وإن شئت رفعت على الابتداء،والبيت شاهد على النصب فى حالة الإفراد. وقد استشهد أبو جعفر النحاس بهذا البيت ونسبه لامرئ القيس[2] ، وروي ابن منظور صدور"ويمنعها"ونسبه لامرئ القيس[3] وذكر أن الأصمعى يرويه "ويمنحها" والبيت بديوان امرئ القيس بالرواية المستشهد بها[4] وهى رواية الأصمعى .

(ب) انتصاب المفعول المطلق بفعل من معناه -

وَصِرْنَا إلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلاَمُنَا   وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أىَّ إذْلَالِ

أنشد المبرد عجز هذا البيت ونسبه لامرئ القيس مستدلاً به على جواز نصب المفعول المطلق بفعل من معناه يؤكد ذلك نصب " أىَّ إذلال " - وهى نائبة عن مفعول مطلق - بالفعل " رضت " لأنه بمعنى " أذللت " [5] ومن ثم انتصب به المصدر أو على الأصح ما ينوب عنه ، ولا يصلح كون " ذلت " عاملاً فى " أىَّ " لأنه لو كان الأمر كذلك لقال " أى ذلٍ " .

---

(١)انظر : المقتضب جـ ٣ ص ٢٢٤

(٢)انظر: إعراب القرآن جـ٢ صـ١٠٣

(٣)لسان العرب مادة "حنن" جـ١٦ صـ٢٨٦

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٤٣

(٥) انظر : المقتضب جـ ١ ص ٢١١ ، ٢١٢

وقد ذكر ابن يعيش أن جواز انتصاب المصدر بفعل من معناه هو مذهب المبرد والسيرافى (١) .

وجدير بالذكر أن لابن جنى توجيهاً آخر لهذا البيت حيث استشهد بعجزه بغير نسبة على نصب "أىّ إذلال" بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، لأنه بمعناه، وعليه فـ"أىّ إذلال" منصوب بـ"أذللت" مضمر دل عليه قوله "رضت" (٢)، وبناء على هذا التوجيه فلا شاهد فى البيت على نصب المصدر بفعل ظاهرمن معناه.

وقد استشهد الرضى بهذا البيت ولم ينسبه (٣) ، وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس (٤) وهو بديوانه بنفس الرواية المستشهد بها (٥) ، وهى رواية الأصمعى ، وذكر المحقق أن له عدة روايات أخرى حيث رواه " السكرى وابن النحاس وأبو سهل فصرنا إلى الحسنى ، وفى ابن النحاس عن الأصمعى أيضاً فذلت صعبةٌ بالرفع " (٦) .

(حـ) حذف المفعول المطلق وصفته

إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسكُ مِنهُمَا نسيمَ الصَّبَا جَاءَت بِرَيَّا القَرَنفُلِ

استشهد ابن هشام بهذا البيت بالرواية المذكورة على أن به عدة كلمات محذوفة يقتضيها السياق إذ التقدير تضوع المسك منها تضوعاً مثل تضوع نسيم الصبا فحذف المفعول المطلق "تضوعاً" ثم حذفت صفته "مثل" ثم حذف المضاف إليه "تضوع" . وقد ذكر ابن هشام أن هذه الكلمات المحذوفة لم تحذف جملة واحدة

(١)انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ١ ص ١١٢

(٢)انظر : المحتسب لابن جنى جـ ٢ ص ٢٦٠

(٣)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٢٩١

(٤)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٥

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٢

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٨ تعليقة رقم ٢٥

وإنما حذفت بالتدريج [١]. وقد أنشد ابن جنى هذا البيت بنفس الرواية ونسبه لامرئ القيس [٢] وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس وذكر أن " تضوع " يروى بفتح العين وضمها [٣] ورواه ابن عصفور "إذا التفتت نحوى تضوع ريحها" ولم ينسبه [٤] وأورده ابن الأنبارى ضمن معلقة امرئ القيس ورواه " إذا قامتا "[٥] وهو موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى وروايته إذا التفتت نحوى ...... " [٦] .

(٥) ملازمة " أحوالى " للظرفية

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللهُ إنَّكَ فَاضِحِى　　ألَيس تَرَى السَّمَارَ والنَّاسَ أحْوَالِى

استشهد السيوطى بعجز هذا البيت ولم ينسبه مستدلاً به على أن "أحوالى " ظرف مكان ملازم للظرفية ولا يخرج عنها فهو ظرف غير متصرف [٧] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى وفيها " ألست " و " أحوالى " بغير ياء [٨] .

(٦) الحال

(أ) مجىء الحال جملة اسمية مصدرة بالواو

فألحقه بالهادِيَاتِ ودُونَه　　جواحِرُهَا فى صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

استشهد الرضى بهذا البيت على أن قوله " ودونه جواحرها " جملة اسميه فـ " دون " ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و " جواحرها " مبتدأ مؤخر ،

---

(١)انظر : المغنى حـ ٢ ص ٦١٦ ، ٦١٧ ، وشرح أبيات المغنى حـ ٧ ص ٢٩٠

(٢)انظر : المنصف حـ ٣ ص ٢١ ، ٧٥

(٣)انظر : شرح أبيات المغنى حـ ٧ ص ٢٩٠

(٤)انظر : الممتع فى التصريف حـ ٢ ص ٥٧٢

(٥) انظر : شرح القصائد السبع ص ٢٩

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٥

(٧)انظر : همع الهوامع حـ ١ ص ٢٠١

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣١

والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب حال [١] وذلك خلافاً لمن زعم أن الظرف " دون " هو الحال ، و" جواحرها " فاعل الظرف ، لأنه لو كانت الحال مفردة لامتنع مجيء الواو معها فلما ذُكِرَتْ " الواو " عُلِمَ أنَّ " الحال " جملة لا مفرد ، وصاحبها " الهاء " في قوله فألحقه . ولم ينسب الرضى هذا البيت [٢] وشرحه البغدادي ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندي [٣] وهو بديوانه [٤] برواية الأصمعي وروايته" فألحقنا بالهاديات "

(ب) تعيّن ارتباط جملة الحال بالضمير

خالى ابنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتُ مَكَانهُ ... وأَبُوْ يَزِيْدَ وَرَهْطُهُ أعْمامِي

أنشد السيوطي صدر هذا البيت ولم ينسبه مستدلاً به على أن الجملة الحالية إذا كانت مؤكدة تعين أن يكون الرابط فيها ضمير يعود على صاحب الحال كما في قوله " قد علمت مكانه " [٥] حيث ارتبطت هذه الجملة الحالية بصاحب الحال " خالي " بالضمير العائد عليه وهو الهاء في " مكانه " والبيت موجود بتمامه بديوان امرئ القيس وابن حجر الكندي [٦] برواية الأصمعي وذكر المحقق أن رواية الطوسي والسكري " قد عرفت مكانه " [٧].

٧- التمييز

(أ) تمييز المفرد

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُوْمَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

---

(١) انظر : شرح الكافية جـ ١ ص ٢١٢ وخزانة الأدب للبغدادي جـ ١ ص ٥٤٦

(٢) انظر : شرح الكافية جـ ١ ص ٢١٢

(٣) انظر : خزانة الأدب جـ ١ ص ٥٤٦

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٢

(٥) انظر : همع الهوامع جـ ١ ص ٢٤٦

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١١٨

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤١١ تعليقة رقم ١٩

أورد الرضى هذا البيت مستدلاً به على أن " ليل " تمييز ، وهو من قبيل تمييز المفرد ؛ لأنه تمييز للضمير المبهم فى " لك "[1] وعليه فالكاف عند الرضى ضمير مبهم لا يعلم المقصود منه ولم يرتض ذلك البغدادى ، وتَعَقَّب الرضيَّ ذاكراً أن " من ليل " فى البيت ليست من قبيل تمييز المفرد ، وإنما هى من قبيل تمييز النسبة ، والكاف فى لك ليست ضميراً مبهماً بل هو عائد على مرجعه المعلوم فى البيت السابق عليه ، ويقول البغدادى معلقاً على هذا البيت " وفيه أن الضمير غير مبهم لتقدم مرجعه فى البيت قبله ، وهو قوله " ألا أيها الليل الطويل " كما يأتى فالتمييز فيه عن النسبة لا عن المفرد " [2] .

وقد أنشد الرَّضِيُّ هذا البيتَ بالرواية المذكورة ونسبه لامرئ القيس[3]،واستشهد به ابن هشام والسيوطى بنفس الرواية،ولم ينسباه[4]،وشرحه العينى[5] ونسبه لامرئ القيس ابن حجر الكندى،وكذلك صنع البغدادى [6] والبيت بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى[7] وهى نفس الرواية المستشهد بها ،وهى نفس رواية ابن الأنبارى[8]،وأمّا الزوزنى فروى عجزه ... بأمراس كتان إلى صم جندل[9] وهو تلفيق،حيث لفق صدر البيت مع عجز البيت الذى يليه،كما ورد فى الديوان برواية الأصمعى والبيت التالى للشاهد هو :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

---

(١) انظر : شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٢١٨ ، وخزانة الأدب جـ ١ ص ٥٥٩

(٢) انظر : خزانة الأدب جـ١ ص ٥٥٩

(٣) انظر : شرح الكافية جـ ١ ص ٢١٨

(٤) انظر : مغنى اللبيب جـ١ ص ٢١٥ ، وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٣٢

(٥)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٢٦٩

(٦)انظر : خزانة الأدب جـ ١ ص ٥٥٩ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٤ ص ٣٠١

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٩

(٨) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٧٩

(٩) انظر : شرح المعلقات للزوزنى ص ٣٦

(ب) تمييز النسبة

فَلَوْ أنها نَفْــسٌ تَمُوتُ سَــوِيَّةً ولكنَّهَا نَفْسٌ تَسَــاقَطُ أنفُسَــا

استشهد أبو جعفر النحاس بهذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه ، وقد استشهد به على أن " أنفسا " منصوبة على " البيان " [١] يقصد بذلك " التمييز " وقد استشهد أبو بكر الأنبارى بهذا البيت بنفس الرواية ، ونسبه لامرئ القيس[٢] ، واستشهد به ابن يعيش ورواه " تموت جميعة " ونسبه لامرئ القيس [٣] ، ورواه البغدادى " تموت سوية " ونسبه لامرئ القيس [٤] والبيت بديوان امرئ القيس ابن حجر الكندى برواية " يموت جميعة "[٥] ، وذكر المحقق أن للبيت عدة روايات أخرى إذ رواه " الطوسى والسكرى فلو أنها نفس تجئ جميعة ، وفى ابن النحاس " تموت سوية " وفى أبى سهل تجئ سوية ، وفى شرح ابن النحاس عن أبى عبيدة تجئ سريحة " [٦] .

٨ – الإضافة

(أ) مجئ الإضافة بمعنى " من "

كَأنَّ عَلَى الكِتْفَيْنِ مِنْهُ إذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ أوْ صَرَايَةَ حَنْظَلِ

نقل السيوطى أنَّ ابن كيسان ، والسيرافى قد استشهدا بصدر البيت على أن الإضافة تكون بمعنى " مِنْ " إذا كان الأول بعضَ الثانى [٧] ، بدليل ظهورها فى قوله :... الكتفين منه .... فجاءت " مِنْ " فاصلة بين المضاف، والمضاف

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس جـ ٣ ص ١٢ ، ١٣

(٢) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٣

(٣)انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ ٩ ص ٨

(٤)انظر : شرح أبيات المغنى جـ٥ ص ١٧٨

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٠٧

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس جـ ٢ ص ٤٠٦

(٧) انظر : همع الهوامع للسيوطى جـ ٢ ص ٤٦

إليه ولو حذفها ، وأضاف لقال " كتفيه " ومن ثم فظهورها يؤكد أن الإضافة في هذا النوع بمعنى " مِنْ " .

وقد أورد السيوطي صدر هذا البيت ولم ينسبه[1] وهو موجود بتمامه في ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي برواية الأصمعي[2]، وذكر المحقق أنّ للبيت روايات أخر[3]، حيث رواه الطوسي: كأن سراته لدى البيت قائما ... ... ورواه السكري وابن الأنباري وأبو جعفر النحاس والتبريزي والقرشي بنفس الرواية عدا "الواو" في أوله ، ورواه أبو سعيد الضرير" كأن على المتنين منه إذا انتحى .....

ب- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

تَنَوَّرْتُهَا من أذْرِعاتٍ وأهْلُهَا   بيَثْرِبَ أدنَى دارِها نَظَرٌ عالى

استشهد الفارسي بهذا البيت على أن قوله " أدنى دارها نظر عالى " هو من قبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، لأن " أدنى " ينبغي أن يرتفع بالابتداء ، ومن ثم فالبيت يحتمل توجيهين ليس غير [4] :

الأول : أن يكون الأصل " نظرُ أدنى دارها نظر عالى" ثم حذف المضاف من الأدنى وأقيم مقامه المضاف إليه .

الثاني : أن يكون الأصل :"أدنى دارها ذو نظر عالى" ثم حذف المضاف من النظر وأقيم المضاف إليه مقامه،وقد اسْتُشْهِدَ بهذا البيت في أكثر من موضع في كتب النحو وقد سبق لنا تخريجه و دراسته في بحث سابق[5].

---

(١) انظر : همع الهوامع للسيوطي جـ٢ ص ٤٦

(٢) انظر ديوان امرئ القيس ص ٢١

(٣) انظر ديوان امرئ القيس ص ٣٧٣ تعليقة رقم ٥٧،وانظر شرح القصائد السبع الطوال للأنباري ص٩٠،٩١

(٤) انظر : إيضاح الشعر للفارسي ص ٢٤٩

(٥) انظر : علوم اللغة المجلد الثاني العدد الرابع ١٩٩٩م ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

٩- الجر على الجوار

كَأنَّ أَبَاناً فى أفَانِينِ وَدْقِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فى بِجَادٍ مُزَمَّلِ

نقل ابن جنى أن بعض النحويين قد استدل بهذا البيت على أن " مزملِ " مخفوض على الجوار " [١] .

أقول : وممن صرح بذلك أبو بكر بن الأنبارى [٢] ، والزوزنى [٣] ، وابن هشام حيث ذكر أن " مزمل " حقه الرفع ؛ لأنه صفة لـ " كبير " إلا أنه خُفِضَ لمجاورته للمخفوض " بجاد " [٤] .

وذهب" الرضى" إلى أن "مزمل " مجرور لمجاورته لأناس تقديراً ، لا لبجاد [٥] ؛ لتأخره عن " مزمل " فى المرتبة ، فإن قوله :" فى بجاد " متعلق بمزمل ، والتقدير : كبير أناس مزمّل في بجاد ، فالوصف " مزمل " واقع على المضاف إليه " أناس " من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فهو وصف للمضاف كبير .

وجه أبو على الفارسى هذا البيت توجيهاً آخر ، فلم يجعله " من باب الجر على الجوار بل جعل مزملا صفة حقيقية لبجاد ، قال لأنه أراد مزمل فيه ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير واستتر فى اسم المفعول " [٦]

وقد أشار ابن جنى إلى رأى أبى على وتابعه عليه ، حيث نقل عن بعض النحويين أن " مزمل " مخفوض على الجوار ثم عقب على ذلك قائلاً : " فأما عندنا نحن فإنه أراد : مزمّل فيه ، فحذف حرف الجر ، فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول " [٧] .

---

(١) انظر : الخصائص جـ ٣ ص ٢٢١

(٢) انظر : شرح القصائد السبع ص ١٠٧

(٣) انظر : شرح المعلقات للزوزنى ص ٥٤

(٤) انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٥١٥ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، وشرح أبيات المغنى للبغدادى جـ ٧ ص ١١١

(٥) انظر:شرح الكافية للرضى جـ١ ص ٣١٨ بالهامش،وشرح أبيات المغنى جـ ٧ ص ١٢١،وخزانة الأدب جـ ٢ ص ٣٢٧

(٦)خزانة الأدب جـ ٢ ص ٣٢٧

(٧)الخصائص لابن جنى جـ ٣ ص ٢٢١

وجدير بالذكر أن الخفض على الجوار مسموع لا يقاس عليه ولذا قال الفراء : " لا يخفض بالجوار إلا ما استعملته العرب كذلك " [١] .

وقد ذكر ابن هشام أنه لا يرد إلا فى باب النعت والتوكيد حيث يقول " والذى عليه المحققون أن خفض الجوار يكون فى النعت قليلاً كما مثلنا ، وفى التوكيد نادراً ... ولا يكون فى النسق لأن العاطف يمنع من التجاور " [٢] .

وقد استشهد ابن جنى بعجز هذا البيت مرتين ولم ينسبه [٣] ، وكذلك استشهد الرضى بعجزه ولم ينسبه [٤] ، وأورده ابن هشام مرتين كاملاً [٥] وروى صدره بالرواية المذكورة ونسبه لامرئ القيس ، ومرة بعجزه [٦] ، وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس [٧] ابن حجر الكندى وذكر أن صدره يروى : كأن أبانا .... ، ويروى : كأن ثبيراً فى عرانين وبله ....

والبيت من معلقة امرئ القيس وقد رواه ابن الأنبارى والزوزنى : كأن ثبيراً فى عرانين وبله "[٨] وهو موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى[٩] وروايته : كأن أبانا ... وذكر المحقق أن رواية " الطوسى وكان ثبيراً فى غرانين وفى غير الأعلم والطوسى والبطليوسى كأن ثبيراً فى عرانين وبله " [١٠]

---

(١)خزانة الأدب جـ ٢ ص ٣٢٤

(٢)مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٦٨٣

(٣)انظر : الخصائص جـ ١ ص ١٩٢ ، جـ ٣ ص ٢٢١

(٤)انظر : شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٣١٨

(٥)انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٥١٥

(٦)انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٦٨٣

(٧) انظر : خزانة الأدب جـ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٧ ص ١١١ ، ١١٢

(٨) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ص ١٠٦ ، وشرح المعلقات للزوزنى ص ٥٤

(٩) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٥

(١٠) ديوان امرئ القيس ص ٣٧٦

١٠ – النـــــداء

أ- نداء ما لا يعقل :

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِى بِصُبْحٍ وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

استشهد ابن هشام بصدر هذا البيت ولم ينسبه،مستدلاً به على أن قوله"أيها الليل "نداء وخطاب لما لا يعقل،وليس اسم صوت لأنه ليس شبيهاً باسم الفعل [١]،واسم الصوت إن كان مما خوطب به ما لا يعقل يشترط فيه أن يكون شبيهاً باسم الفعل ، فالاستشهاد احتراز من أن يظن أحد أن كل خطاب لما لا يعقل يعد اسم صوت .

وقد شرح العينى هذا البيت [٢] وروى عجزه " وما الإصباح فيك " ونسبه لامرئ القيس الكندى ، وكذلك صنع الشيخ خالد إلا أنه روى العجز " وما الإصباح منك " [٣] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس الكندى برواية الأصمعى وروايته " وما الإصباح فيك " [٤] وذكر المحقق أن رواية الزوزنى والقرشى " وما الإصباح منك " [٥].

ب- ترخيم المختوم بتاء التأنيث

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَّدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِى فَأَجْمِلِى

أورد ابن هشام بصدر هذا البيت ولم ينسبه ، مستدلاً به على أن " فاطم " منادى مرخم أصله فاطمة ، فرخم بحذف التاء ، وذكر أن المنادى المؤنث يرخم فى الأكثر على لغة الانتظار - كما فى البيت - لئلا يلتبس بالمذكر [٦] .

---

(١) انظر : أوضح المسالك لابن هشام جـ ٤ ص ٩٢،٩٣، والمقاصد النحوية جـ ٤ ص ٣١٧ ، وشرح التصريح جـ ٢ ص ٢٠٢

(٢)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٣١٧

(٣)انظر : شرح التصريح جـ ٢ ص ٢٠٢

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٨

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧١ تعليقه ٤٦

(٦) انظر : أوضح المسالك جـ ٤ ص ٦٦، ٦٧

وقد استدل السيوطى بصدر هذا البيت ولم ينسبه [1] ، وشرحه الشيخ خالد ونسبه لامرئ القيس [2] ، وكذلك صنع العينى وذكر أنه لامرئ القيس بن حجر الكندى[3] والبيت بديوانه بهذه الرواية وهى رواية الأصمعى[4] وذكر المحقق أن رواية ابن النحاس والتبريزى عن أبى عبيدة " وإن كنت قد أزمعت قتلى "[5]

جـ - دخول " يا " على " رُبَّ "

فَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيارُبَّ قَيْنَةٍ   مُنَعَّمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكِرَانِ

أورد السيوطى صدر هذا البيت ولم ينسبه مستدلاً به على أن " رب " تسبق غالباً بـ " يا " إذا وقعت صدراً لجواب شرط كما فى البيت [6] والبيت موجود بديوان امرئ القيس ابن حجر الكندى برواية الأصمعى ، وروايته"وإن أمس"[7] وذكر المحقق أن غير الأعلم والبطليوسى يروى عجزه " مقاسمة أيامها " [8] .

١١- نواصب المضارع وجوازمه

أ- نصب المضارع بـ " أن " مضمرة بعد " أو "

فَقُلْتُ لَهُ لاَ تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا   نُحَاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

استشهد سيبويه ، والمبرد ، وابن يعيش بهذا البيت بالرواية المذكورة ، ونسبوه لامرئ القيس ، وقد استدلوا به على أنَّ " أو " فيه بمعنى " إلا أنّ " ومن ثم نصب المضارع بعدها بـ " أن " مضمرة وجوباً ، والمعنى نحاول

---

(١)انظر : همع الهوامع جـ ١ ص ١٧٢

(٢)انظر : شرح التصريح جـ ٢ ص ١٨٩

(٣)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٢٨٩

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٢

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٦٩

(٦)انظر : همع الهوامع جـ٢ ص ٢٨

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٨٦

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٩٦ تعليقة رقم ٥

ملكا إلا أن نموت "[1]. وذهب الزمخشرى إلى أن " أو " فى البيت بمعنى " إلى " وما بعدها غاية لما قبلها ، والمعنى نحاول ملكا إلى أن نموت " [2] .

ولسيبويه توجيه آخر لهذا البيت حيث أجاز رفع " نموت " من وجهين هما[3] :

١- أن يكون معطوفاً على " نحاول "

٢- أن يكون الكلام مستأنفاً والتقديم : أو نحن مِمَّنْ يموت .

وقد استشهد الرضى بقطعة من هذا البيت ولم ينسبه[4] وشرحه البغدادى وذكر أنه يروى فَنُعْذَرَا ، وفَتُعْذَرُ ، وفَنُعْذَرُ، وفَنَعْذِرُ بكسر الذال ، ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[5]، واستشهد الأشمونى بهذا البيت ، ولم ينسبه[6] والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى ، وهى الرواية التى أثبتها[7] .

ب- جزم المضارع الواقع جواباً للأمر

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

استشهد الأشمونى بصدر هذا البيت ولم ينسبه ، واستدل به على جزم " نبك " لوقوعه جواباً للأمر " قفا " وقد جزم الفعل مع خلوه من الفاء لأن الشاعر قصد معنى الجزاء [8].

---

(١) انظر : الكتاب جـ ٣ ص ٤٧ ،والمقتضب للمبرد جـ ٢ ص ٢٧،وشرح المفصل لابن يعيش جـ ٧ ص٢٢

(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ ٧ ص ٢٢

(٣) انظر : الكتاب جـ ٣ ص ٤٧، وشرح المفصل جـ ٧ ص ٢٣،وشرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٢٤٨،وخزانة الأدب جـ ٣ ص ٦٠٩

(٤)انظر : شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٢٤٨

(٥)انظر : خزانة الأدب جـ ٣ ص ٦٠٩ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٢ ص ٦٨

(٦)انظر : شرح الأشمونى جـ ٣ ص ٢٩٥

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٦٦

(٨)انظر : شرح الأشمونى جـ ٣ ص ٣٠٦

وقد استشهد سيبويه بصدره ورواه " ومنزلى " ونسبه لامرئ القيس [1] ، ورواه أبو البركات الأنبارى " ومنزلٍ .... فحومل بالتنوين ولم ينسبه [2] ، واستشهد ابن يعيش بأجزاء منه فى خمسة مواضع من كتابه نسبه فى ثلاثة منها لامرئ القيس [3] وأنشده الرضى برواية " ومنزلى " ولم ينسبه [4] واستشهد ابن هشام بقوله " بين الدخول فحومل " مرتين ولم ينسبه [5] ، وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس ، وذكر أن الأصمعى ينكر رواية " فحومل " بالفاء ، ويرويه " وحومل " بالواو [6] والبيت بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى وروايته " وحومل " بالواو [7] ، وذكر المحقق أن أبا عبيدة يرويه سِقْط بكسر السين ، والأصمعى يفتحها [8] .

ومن قبيل هذا البيت قوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَبْعٍ عَفَتْ آثَارُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

حيث استشهد أبو جعفر النحاس بصدره ولم ينسبه ، واستدل به على جزم " نبك " لوقوعه جواباً للأمر " قفا " [9] وقد استشهد ابن هشام والسيوطى والأشمونى بعجزه بغير نسبة [10] وشرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن حجر

---

(١)انظر الكتاب جـ ٤ ص ٢٠٥

(٢)انظر : الإنصاف جـ ٢ ص ٦٥٦

(٣)انظر : شرح المفصل جـ ٤ ص ١٥ ، جـ ٩ ص ٣٣ ، ٧٨ ، ٨٩ ، جـ ١٠ ص ٢٠

(٤)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٦٦ ، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤٢

(٥)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٨٦١

(٦)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٣٩٧ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٤ ص ٢١

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٨

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٦٧

(٩)انظر : إعراب القرآن للنحاس جـ ٢ ص ٢٣٣

(١٠) انظر : أوضح المسالك جـ ٣ ص ٤٩ ، والمغنى جـ ١ ص٣٣٥ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص٢١٧ ، وشرح الأشمونى جـ ٢ ص ٢٩٩

الكندى [1] وكذلك صنع الشيخ خالد والبغدادى [2] ، والبيت بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى ، وروايته ورسم عفت آياته [3] وذكر المحقق أن رواية أبى سهل وربع عفت آياته [4] .

١٢ - الشرط والقسم

(أ) حذف جواب " لو " الشرطية

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا

استشهد به ابن الأنبارى وابن يعيش على حذف جواب " لو " الشرطية [5] والتقدير : لو أنها نفس تموت جَميعة لاستراحت قال الأصمعى " معناه لو أننى أموت بدفعة واحدة لاسترحت ، ولكن نفسى تتقطع قليلاً قليلاً " [6] .

وحذف جواب " لو " كثير فى القرآن والشعر ، وقد علل ابن يعيش هذا الحذف قائلاً : " قال أصحابنا : إن حذف الجواب فى هذه الأشياء أبلغ فى المعنى من إظهاره ، ألا ترى أنك إذا قلت لعبدك ، والله لئن قمت إليك وسكتُ عن الجواب ذهب فكره إلى أشياء من أنواع المكروه لم يدر أيها يتقى ولو قلت : لأضربنك فأتيت بالجواب لم يتبق شيئاً غير الضرب " [7]

وقد روى البيت: " تموت سوية " وروى " تموت جميعة " وروى " تجئ جميعة " وروى " تجئ سوية " وروى " تجئ سريحة " ، وقد سبق تخريجه ص ٤٢ وبناء على ما سبق فليس لاختلاف الرواية هنا أى أثر على الاستشهاد .

---

(١) انظر : المقاصد النحوية جـ ٣ ص ٣١٩

(٢) انظر : شرح التصريح جـ ٢ ص ١٧ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٦ ص ٢٢

(٣) الديوان ص ٨٩

(٤) انظر : الديوان ص ٤٠١ تعليقه رقم ١

(٥) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٣ ، شرح المفصل جـ ٩ ص ٨، ٩

(٦) أبيات المغنى جـ ٥ ص ١٧٩

(٧) شرح المفصل جـ ٩ ص ٩

أ- دخول اللام غير المتلوة بـ " قد " على جواب القسم الماضى

حَلَفتُ لَهَا باللهِ حَلْفَةَ فاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولا صَالِى

استشهد ابن عصفور ، والزمخشرى ، وابن يعيش بقوله " لناموا " على أن الشاعر أدخل " اللام " وحدها على جواب القسم الماضى المتصرف مما يدل على جواز ذلك (١) .

وذهب ابن هشام إلى أن الأصل " لقد ناموا فحذف الشاعر " قد " وذلك جائز (٢) وذكر الرضى أن حذف " قد " بعد اللام الداخلة على جواب القسم الماضى لا يكون إلا لضرورة الشعر ، ولذا أعدّ هذا البيت من قبيل الضرائر (٣) ، ومال السيوطى إلى ذلك حيث ذكر أن حذف " قد " بعد اللام فى البيت شاذ (٤)

والحق أن دعوى الضرورة التى ذكرها الرضى مخالفة للواقع اللغوى الناطق بكثرة مثل هذا الأسلوب فى كلام العرب الفصحاء ولذلك تعقبه البغدادى واتهمه بالتناقض قائلاً " كيف يصح دعوى الضرورة مع قوله قيل فإن كان الفعل الماضى مثبتاً فالأولى الجمع بين اللام وقد ، وهل فيه إلا ترك الأولى ؟ ولم يقل أحد إنه ضرورة على أنه قد جاء فى أفصح الكلام ، قال الله تعالى : " ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون " وقال النبى صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده لوددت أن أقاتل فى سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل " أخرجه البخارى ، وفى الحديث عن امرأة من غفار أنها قالت " والله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فأناخ ، وفى حديث سعيد بن زيد ، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من

---

(١) انظر : المقرب ص ٢٦٦ ، والمفصل ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ ٩ ص ٢٠ ، ٢١

(٢) انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ص ٦٣٦ ، ٦٣٧

(٣)شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وخزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٢١

(٤) انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٤٢

أخذ شبراً من الأرض ظلماً .... الحديث " [1] .

وقد استشهد كل من ابن عصفور ، والزمخشرى ، والرضى ، وابن هشام بهذا البيت بالرواية المذكورة ، ونسبه الزمخشرى لامرئ القيس [2] وروى ابن يعيش صدره " حلفت لها والله " [3] ، واستشهد السيوطى بعجزه ولم ينسبه [4] ونسبه البغدادى لامرئ القيس بن حجر الكندى [5] وهو بديوانه برواية الأصمعى بنفس الرواية المستشهد بها [6] .

١٣- حروف المعانى

(١) دلالة " الواو " على مطلق الجمع

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أورد ابن الناظم هذا البيت بهذه الرواية ولم ينسبه مستدلاً به على أن واو العطف لا تدل على الترتيب وإنما هى لمطلق الجمع ليس غير [7] لأنها لو لكانت دالة على الترتيب لوجب عليه أن يقول :

فقلت له لما ناء بكلكل ، وتمطى بصلبه وأردف أعجازاً ، وذلك لأن البعير إذا أراد أن ينهض بدأ بكلكله ثم بجوزه أى وسطه ثم بأردافه ومن ثم فقوله " تمطى بجوزه وأردف أعجازاً وناء بكلكله دليلاً على أن الواو لا تفيد ترتيباً وإنما هى لمطلق الجمع .

---

(١)خزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٢١

(٢)انظر : المقرب ص ٢٦٦ ، والمفصل ص ٣٢٧ ، وشرح المفصل جـ ٩ ص ٢٠ ، ٢١

(٣)انظر : شرح المفصل جـ ٩ ص ٢١

(٤)انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٤٢

(٥)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٤ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٦) انظر : الديوان ص ٣٢

(٧) انظر : شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٢١ ، ٥٢٣

وقد شرح العينى هذا البيت ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى وذكر أنه يروى لما تمطى بصلبه" [1] ، وكذلك أورد ابن الأنبارى برواية " لا تمطى بصلبه " ضمن معلقة امرئ القيس [2] ، وهو بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي بنفس الرواية المستشهد بها [3] ، وذكر المحقق أنه يروى " في غير الأعلم والبطليوسي وابن النحاس والقرشي بصلبه " [4].

٢- زيادة الواو العاطفة :

فَلَمَّا أجزَنا ساحَةَ الحَىِّ وانتَحى   بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذى قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

استشهد الكوفيون بهذا البيت على أن الأصل : فلما أجزنا ..... انتحى ، و " الواو " العاطفة في قوله " وانتحى " زائدة،والفعل " انتحى " جواب " لمّا" [5]

وقد وافق الكوفيين على زيادة الواو العاطفة كل من أبى الحسن والأخفش والمبرد وابن برهان من البصريين [6] ولجمهور النحويين توجيه آخر للبيت حيث ذهبوا إلى أن الواو العاطفة في قوله " وانتحى " ليست زائدة بل أساسية ، وتأولوا البيت على أن خبر " لمّا " محذوف للعلم به ، والتقدير فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل خلونا ونعمنا [7] .

وقد استشهد الفراء بالرواية المذكورة ونسبها لامرئ القيس [8] ، وكذلك استشهد بها أبو جعفر النحاس بغير نسبه [9] ، ونسبها ابن جنى لامرئ

---

(١)انظر : المقاصد النحوية للعيني جـ ٤ ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) انظر : شرح القصائد السبع الطوال ص ٧٥

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٨

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧١ تعليقه رقم ٤٥

(٥) انظر : معانى القرآن للفراء جـ ٢ ص ٢١١ ، إعراب القرآن للنحاس جـ ٣ ص ٨٠، والإنصاف جـ ٢ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، وشرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣٦٨ ، وخزانة الأدب جـ ٤ ص ٤١٣

(٦)انظر : الإنصاف جـ ٢ ص ٤٥٦

(٧) انظر : الإنصاف جـ ٢ ص ٤٥٦ ، ٤٦٦ ، والخزانة جـ ٤ ص ٤١٣

(٨)انظر : معانى القرآن جـ ٢ ص ٢١١

(٩)انظر : إعراب القرآن للنحاس جـ ٣ ص ٨٠

القيس[1] ورواه ابن الأنبارى" بطن حقف ذى قفاف"،ولم ينسبه[2] واستشهد الرضى بصدره بغير نسبة[3]،وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس[4] وهو بديوانه برواية الأصمعى وروايته...... بطن حقف ذى ركام عقنقل"[5]،وذكر المحقق أن البيت متعدد الرواية إذ رواه"القرشي وانتحت،والزوزنى بطن خبت ذى حقاف،وفى غير الأعلم والبطليوسى والزوزنى والقرشى بطن خبت ذى قفاف"[6]

٣- مجيء أو بمعنى الواو

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ ... صَفِيفَ شِوَاءٍ أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

استشهد ابن الناظم والأشمونى بهذا البيت على أن" أو" فيه بمعنى الواو[7] والتقدير من بين منضج ضعيف شواء ومتخذ قدير ...وقد استشهد كل من الفراء والفارسى وابن الناظم بالرواية المذكورة ونسبوه لامرئ القيس[8]،واستشهد به ابن هشام ولم ينسبه[9]، وشرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[10]، وكذلك صنع البغدادى[11] وروى الأشمونى صدره"ما بين منضج" [12]

---

(١)انظر : المنصف لابن جنى جـ ٣ ص ٤١ -

(٢)انظر : الإنصاف جـ ٢ ص ٤٥٧ ، ٤٦٠

(٣)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٦٨

(٤)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٤١٣

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٥

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٠

(٧) انظر : شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، وشرح الألفية للأشمونى جـ ٣ ص ١٠٧

(٨) انظر:معانى القرآن جـ ١ ص ٣٤٦ ،وإيضاح الشعر للفارسى ص ٣٨٢،شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٣٥

(٩) انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٤٦٠ ، ٤٧٤

(١٠)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧

(١١)انظر : شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ ٧ ص ١٣ ، ١٥

(١٢)انظر : شرح الأشمونى جـ ٣ ص ١٠٧

والبيت بديوانِ امرئ القيس برواية الأصمعي وفيها وظل " بالواو "[1] .

٤- عطف المجرور على المنصوب باسم الفاعل :

استشهد الفراء والبغداديون بالبيت السابق ذكره وتخريجه على جواز إتباع المنصوب باسم الفاعل بمجرور[2] أى جواز العطف على مفعول اسم الفاعل بالجر فتقول : هذا ضاربٌ زيداً وعمروٍ بجر عمرو على اعتبار أنّ " ضاربٌ زيداً " في معنى " ضاربُ زيدٍ " لذا جاز العطف عليه بالجر في قول امرئ القيس " منضجٍ صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ " حيث عطف قدير بالجر على صفيفَ بالنصب .

وقد وجه الفارسي البيت توجيهاً آخر حيث ذهب إلى أن " قديرٍ " بالجر ليس معطوفاً على" صفيفَ " ، وإنما هو معطوف على " منضج " وهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والأصل : أو متخذ قدير ، وعلى هذا التوجيه فلا شاهد فيه على عطف المجرور على المنصوب باسم الفاعل وقد علق الفارسي على هذا البيت قائلاً : " القول فيه على أنه على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كأنه من بين منضج أو متخذِ قدير ألا ترى أن " بين " هاهنا تقتضي الإضافة إلى اثنين متجانسين من حيث كان تبيناً للطهاة ، فإذا كان كذلك علمت أنه مثل " وسل القرية " وعلمت أيضاً أنه لا حجة فيه لمن أجاز " هذا ضارب زيداً وعمروٍ إذ القدير ليس بمعطوف على الصفيف إنما هو معطوف على الاسم المشارك في"بين" وإنما حذف اسم الفاعل ، وأقام المضاف إليه مقامه لأن " بين " تقتضيه وفي الكلام دلالة على حذفه من حيث ذكرنا "[3]

(١ انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٢

(٢ انظر : معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٣٤٦ ، والمغنى جـ ٢ ص ٤٦٠ ، ٤٧٤ ، وشرح أبيات المغنى للبغدادى جـ ٧ ص ٤١

(٣) إيضاح الشعر ص ٣٨٢ ، ٣٨٣

٥- العطف بـ " لا " على معمول الفعل الماضى

كَأَنَّ دِثَاراً حلَّقتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ تَنُوفَى لا عُقَابُ القَوَاعِلِ

استشهد ابن الناظم والرضى وابن هشام والأشمونى بهذا البيت على جواز العطف بـ " لا " على معمول الفعل الماضى [١] خلافاً للزجاج الذى منع ذلك وهو محجوج بالبيت حيث عطف الشاعر " عقاب القواعل " بـ " لا " على " عقاب تنوفى " وهو فاعل الفعل الماضى حلقت .

وقد استشهد ابن جنى بهذا البيت بالرواية المذكورة وذكر أن السكرى انفرد بها وأسندها لامرئ القيس ، ثم ذكر أنه يروى عجزه عن أحمد ابن يحيى " عقاب تنوفى لا عقاب القواعل " [٢] واستشهد ابن الناظم والرضى وابن هشام برواية " تنوفى " ونسب كل منهم البيت لامرئ القيس [٣] وقد شرحه العينى والشيخ خالد والبغدادى ونسبوه لامرئ القيس بن حجر الكندى وذكر البغدادى أن البيت يروى تنوفَى ، وينوفَى ، وتنوفَ ، وينوفَ [٤] وقد استشهد الأشمونى بهذا البيت ولم ينسبه [٥] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى بنفس الرواية المذكورة [٦] .

٦- مجىء الفاء العاطفة بمعنى إلى

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

---

(١)انظر: شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٣٩، وشرح الكافية جـ ٢ ص ٣٧٨ ، ومغنى اللبيب جـ١ ص ٢٤٢

(٢)انظر : الخصائص جـ ٣ ص ١٩١

(٣) انظر: شرح الألفية لابن الناظم ص ٥٣٩،وشرح الكافية للرضى جـ٢ ص ٣٧٨،ومغنى اللبيب جـ١ ص ٢٤٢

(٤) انظر : القصائد النحوية للعينى جـ ٤ ص ١٥٤،١٥٥،وشرح التصريح للشيخ خالد جـ ٢ ص ١٥٠ ،وخزانة الأدب للبغدادى جـ ٤ ص ٤٧١،٤٧٣،وشرح أبيات المغنى للبغدادى جـ ٤ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤

(٥)انظر : شرح الأشمونى جـ ٣ ص ١١١

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٩٤

استشهد الرضى بهذين البيتين على مجيء الفاء العاطفة فيهما بمعنى إلى[1] والمعنى بين الدخول إلى حومل إلو توضح إلى المقراة وقد سبق تخريج روايات هذين البيتين من قبل[2] .

٧- دلالة اللام على التعجب

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَـأَنّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

استشهد ابن هشام والسيوطى بهذا البيت على أن اللام فى قوله " لك " دالة على التعجب[3] وللبيت توجيه آخر حيث ذهب ابن أم قاسم إلى أن السلام فى قوله " لك " هى لام الاستغاثة ، وقد فتحت مع المستغاث من أجله ؛ لأنه ضمير ، ولو كان اسماً ظاهراً لكسرت معه[4] . وقد سبق تخريج هذا البيت فيما مضى من البحث[5].

٨- دلالة لام الجر على التعليل

ويَوْمَ عقَرْتُ للعَذَارَى مَطِيَّتِى فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

استشهد ابن هشام بصدر هذا البيت على أن اللام فى قوله " للعذارى " حرف جر جاء للدلالة على التعليل[6] ولم ينسب ابن هشام الجزء المستشهد به إلى قائل معين[7]، وقد استشهد أبو جعفر النحاس بعجز هذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه[8] وشرحه الشيخ خالد ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[9] وكذلك

---

(١) انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٦٦

(٢) انظر : ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٤٩ من هذا البحث

(٣)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٢١٥ ، وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٣٢

(٤)انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٥) انظر : ص ٤٠ ، ٤١

(٦)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٢٠٩

(٧)انظر :مغنى اللبيب جـ ١ ص ٢٠٩ ، وأوضح المسالك جـ ٤ ص ٣٧٩

(٨)انظر : إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس جـ ٢ ص ٢٨٥

(٩)انظر : شرح التصريح جـ ٢ ص ٣٧١

صنع العينى [1] والبغدادى[2] والبيت بروايته المذكورة موجود ضمن معلقة امرئ القيس الشهيرة ، وهى بديوانه برواية الأصمعى[3] وهى الرواية التى أثبتناها ، وذكر المحقق أن للبيت عدة روايات أُخَر حيث رواه " الطوسى : فيا عجبا لرحلها ... ، والسكرى فيا عجبى لرحلها ...، وابن النحاس فيا عجبا لرحلها.. ، والزوزني فيا عجبا من كورها "[4]

٩ - دلالة رب على التكثير

فَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ ... بآنِسةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ

استشهد ابن هشام ، والشيخ خالد ، والسيوطى بهذا البيت بدون نسبة لقائل معين ، وقد استدلوا به على أن "ربّ" فيه تدل على التكثير ؛ لأنها فى مقام الفخر والاعتزاز ، والإنسان إنما يفتخر بما يقع منه على سبيل الكثرة لا الندرة[5] وقدم بعض النحويين توجيهاً آخر لهذا البيت حيث ذهب ابن عصفور إلى أن "ربّ " فيه تدل على تقليل النظير ، وهى تدل على هذا المعنى فى مواطن المباهاة والافتخار ، ولذا علق على البيت قائلا" كأنه قال : الأيام التى لهوت فيها والليالى يقل وجود مثلها لغيرى"[6]

وقد تعددت رواية الألفاظ فى البيت حيث رواه ابن عصفور وابن هشام بالرواية المذكورة ، ورواه الشيخ خالد" ويا رب " ورواه السيوطى " فيا رب " وقد شرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[7] ، وهو بديوانه

---

(١) انظر : المقاصد النحوية جـ ٤ ص ٥٨٦

(٢) انظر : شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ٤ ص ٢٧٤

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١١

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص٣٦٨

(٥) انظر : مغنى اللبيب جـ١ ص١٣٤، ١٣٥ ، وشرح التصريح جـ٢ ص١٨ ، وهمع الهوامع جـ٢ ص٢٦

(٦) المقرب لابن عصفور ص ٢١٩

(٧) انظر : شرح أبيات المغنى جـ٣ ص ١٦١

برواية الأصمعي ، وروايته " ويا رب "[1] وذكر المحقق أنه يروى في غير الأعلم والبطليوسي " بلى رب يوم "[2].

١٠- دلالة " منذ " على ابتداء الغاية الزمانية

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ   وَرَبْعٍ عَفَتْ آثَارُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

استشهد ابن هشام والسيوطي والأشموني بعجز هذا البيت بالرواية المذكورة ، ولم ينسبه أحد منهم ، واستدلوا به على أن " منذ " مع الزمن الماضي تدل على ابتداء الغاية الزمانية ، وأن الأرجح والأكثر جرّها للماضي كما في البيت [3] ، فـ " منذ " عندئذٍ حرف جر مبني على الضم بمعنى" مِنْ " وقد سبق تخريج هذا البيت فيما مضى من البحث [4]

١١- مجئ " عن " اسما بمعنى جانب

دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ   وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

استشهد الأخفش وتابعه ابن عصفور وابن أم قاسم بهذا البيت على أنّ " عن " فيه اسم معنى جانب [5] ؛ وذلك لأن مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد ، ففاعل متعلقها " دع " هو ضمير المخاطب ومجرورها كاف المخاطب ، ولذا قدروها اسما بمعنى جانب ؛ لأنها لو لم تقدر كذلك لتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضمير المتصل ، وذلك محذور .

وقد رد أبو حيان كلام الأخفش ومن تابعه حيث ذكر أن تعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل وارد ولكنه قليل ومنه قوله تعالى " وهزى إليك بجذع النخلة "وقوله " واضمم إليك" ، ولم يذكر أحد أن" إلى " في

---

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٩

(٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٨

(٣) انظر : أوضح المسالك جـ ٣ ص ٤٨ ، ٤٩ ، ومغنى اللبيب جـ ١ ص ٣٣٥ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص ٢١٧ ، وشرح الأشمونى جـ ٢ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

(٤) انظر ص ٤٩ ، ٥٠

(٥)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ١٥٠ ، والمقرب ص ٢١٤ ، والمقاصد النحوية جـ ٣ ص ٣٠٧ - ٣١٢

الآيتين اسم ، فكذلك " عن " في البيت المذكور [1] .

وقد أورد ابن عصفور هذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه[2] ، واستشهد أبو حيان بصدره بغير نسبة [3] ، واستشهد ابن هشام بصدره مرتين ، نسبه في الأولى لامرئ القيس ، ولم ينسبه في الثانية [4] ، واستشهد السيوطي بصدره ونسبه لامرئ القيس [5] ، وشرحه العيني والبغدادي ونسباه لامرئ القيس الكندي [6] ، وهو بديوانه برواية الأصمعي بنفس الرواية المستشهد بها[7] ، وذكر المحقق أن رواية " الطوسي والسكري وابن النحاس... ولكن حديث[8] ".

١٢- استعمال الهمزة لنداء القريب

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

استشهد ابن هشام بصدر هذا البيت ولم ينسبه ، وكذلك صنع السيوطي ، وقد استدلا به على أن الهمزة في قوله " أفاطم " حرف لنداء القريب [9] .وقد سبق تخريج هذا البيت فيما مضى من البحث [10]

١٣- مجيء " لو " مصدرية

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً عَلَيْهَا وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

استشهد الرضي وابن هشام بهذا البيت بالرواية المذكورة على أنّ " لو " فيه

---

(١) انظر : ارتشاف الضرب جـ ٢ ص ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، وشرح أبيات المغني جـ ٣ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٢) انظر : المقرب ص ٢١٤

(٣) انظر : ارتشاف الضرب جـ ٢ ص ٤٤٩

(٤) انظر : مغني اللبيب جـ ١ ص ١٥٠ ، جـ ٢ ص ٥٣٢

(٥) انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٢٩

(٦) انظر : المقاصد النحوية جـ ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وشرح أبيات المغني جـ ٣ ص ٣١٥

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٩٤

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٠٠

(٩) انظر : مغني اللبيب جـ ١ ص ١٣ ، وأوضح المسالك جـ ٤ ص ٦٧ ، وهمع الهوامع جـ ١ ص ١٧٢

(١٠) انظر : ص ٤٦ ، ٤٧

حرف مصدرى بمعنى " أنْ " ، والمصدر المؤول من " لو والفعل " فى محل جر بدل اشتمال من الضمير المجرور بـ " على " [1] ، ومجيء " لو " حرفا مصدرياً مخالف لما عليه الجمهور حيث يقول ابن هشام " وأكثرهم لم يثبت ورود لو مصدرية ، والذى أثبته الفراء وأبو على وأبو البقاء والتبريزى وابن مالك "[2] .

ولم ينسب الرضى البيت المستشهد به إلى قائل بعينه[3] ، ونسبه ابن هشام لامرئ القيس [4] ، واسشتهد فى موضع آخر بصدره ورواه " تجاوزت أحراسا إليها " [5] ، وشرحه السيوطى برواية " حراساً عليها ونسبه لامرئ القيس[6] ، وكذلك صنع البغدادى [7] ، إلا أن روايته " أحراسا إليها " .

والبيت بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى [8] وروايته :

تجاوزت أحْرَاساً وأهوالَ مَعْشَرٍ عَلَيَّ حِرَاصٍ لو يُشِرُّون مَقْتَلِي

وذكر المحقق أن للبيت روايات متعددة [9] حيث رواه الطوسى تخطيت أهوالا إليها ومعشراً ورواه ابن النحاس ، وأبو سعيد ، وابن الأنبارى ، وأبو جعفر النحاس ، والزوزنى ، والقرشى : تجاوزت أحراصاً إليها ومعشرا ، ورواه السكرى والتبريزى :

تجاوزت أحْرَاساً وأهوالَ مَعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصٍ لو يُشِرُّون مَقْتَلِي

---

(١)انظر : شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣٨٧ ، ومغنى اللبيب جـ ١ ص ٢٦٦

(٢)مغنى اللبيب جـ ١ص ٢٦٦

(٣) انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٨٧

(٤) انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٥)انظر : مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٥٢٢

(٦) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٢٣

(٧)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٤٩٦ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٥ ص ٦٣

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٣

(٩) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٠ تعليقه رقم ٢٣

١٤- مجئ " ما " مصدرية ظرفية

أجَارَتَنَا إِنْ الخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنى مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ

استشهد ابن هشام بهذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه ، واستدل به على مجيء " ما " مصدرية ظرفية ، والمعنى مدة إقامة عسيب ، فـ " ما " في البيت حرف مصدري دال على الزمان [١] .

وقد روى " ثعلب " عجز هذا البيت ولم ينسبه [٢] ، وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس بن حجر [٣] ، والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر لكنه من زيادات أبى سهل [٤] وروايته :

أجارتنا إن المزار قريب ....

١٥- مجئ " جلل " اسما

لِقَتْلَ بَنِى أَسَدٍ رَبَّهَا أَلاَ كُلُّ شَئٍ سِوَاهُ جَلَلْ

استشهد ابن هشام والسيوطى بعجز هذا البيت ونسباه لامرئ القيس واستدلا به على أن " جلل " فيه اسم بمعنى يسير أو حقير [٥] ، وليست حرفا ومعلوم أنها تأتى حرف جواب بمعنى " نعم "

والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى بالرواية المذكورة،وهى ضمن زيادات ملحق الطوسى من المنحول الثانى [٦] ومن ثم فنسبتها إلى امرئ القيس محل شك ونظر،وذكر المحقق أن السكرى يروى صدره بقتل بنى أسد [٧]

---

(١)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤

(٢) انظر : مجالس ثعلب جـ ٢ ص ٤٧٢

(٣) انظر : شرح أبيات المغنى جـ ٥ ص ٢٣٩

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٥٧

(٥)انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ١٢٠ ، وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٧٢-

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٦١

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٤٥

رابعاً : الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً يؤثر على الاستشهاد

يندرج تحت هذا القسم مجموعة من الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً أدى إلى التأثير على الحكم النحوى إما بالإلغاء ، وإمّا بالتعديل ، وقد سبق لى أن قمت بدراسة هذه الشواهد فى ثنايا بحث سابق بعنوان " أثر الرواية الشفهية للشعر الجاهلى فى تعديل الحكم النحوى " وقد نشر هذا البحث فى مجلة " علوم اللغة " المجلد الثانى العدد الرابع ١٩٩٩ م .

وتجنباً للتكرار فسوف أشير إلى هذه الشواهد محيلا القارئ إلى مواطن دراستها فى البحث السابق .

(أ) ما اتُّفِقَ على نسبته واختلفت روايته اختلافاً يؤدى إلى إلغاء الحكم النحوى

وجدت فى شعر امرئ القيس من هذا القبيل أربعة عشر شاهداً يمكن الإشارة إليها على هذا النحو :

جَاءَتْ لِتَصْرَعَنِى فَقُلْتُ لها اقْصِرِى إِنِّى امرؤٌ صَرْعِىَ عَلَيْكِ حرامِ[1]

استُشْهِد بهذا البيت برواية " حرامِ " بالكسر على بناء غير المعرفة على الكسر إذا جاء على صفة فعال عند الحجازيين ، وقد روى البيت حرامُ بالرفع

(أ) وإِنَّ شِفَاءَ عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رسم دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ [2]

استُشْهِد به فى الإخبار بالنكرة عن النكرة ، وقد روى وإن شفائى

(٣) وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا [3]

استُشْهِد به على مجيء خبر لعل فعلا ماضيا ، وقد روى فيالك من نعمى

---

(١) انظر : علوم اللغة – المجلد الثان – العدد الرابع ص ٨٨

(٢) انظر : علوم اللغة – المجلد الثان – العدد الرابع ص ٤٥ ، ٤٦

(٣) انظر : علوم اللغة – المجلد الثان – العدد الرابع ص ٤٧ ، ٤٨

تبدلت أبؤسا

(٤) إِذَا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابْتَلَّ عِطْفُهُ   تَقولُ هَزِيزَ الريحِ مَرَّتْ بِأَثْأَبِ [١]

اسْتُشْهِد به على إجراء تقول مجرى تظن وقد روى " هزيزُ " بالرفع .

(٥) وهل يَعِمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ   ثَلاَثِينَ شَهْراً فى ثَلاَثَةِ أَحْوالِ [٢]

اسْتُشْهِد به على استعمال " فى " بمعنى " من "،وقد روى " أو ثلاثة أحوال "

(٦) يُفَاكِهُنَا سَعْدٌ وَيَغْدُو لِجَمْعِنَا   بِمَثْنَى الزِّقَاقِ المُتْرَعَاتِ وبالْجُزُرْ [٣]

اسْتُشْهِد به على إضافة مثنى إلى ما بعدها ، وقد روى عجزه ، ويغدو علينا بالجفان وبالجزر .

(٧) قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل[٤]

اسْتُشْهِد به على مجيء الفاء بمعنى الواو أى للدلالة على العطف ليس غير ، وقد روى بين الدخول وحومل .

(٨) نطْعَنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً   كَرَّ كَلاَ مَيْنِ عَلَى نَابِلِ [٥]

اسْتُشْهِد به على أن تكرار الكلام ضرب من ضروب التوكيد ، وقد روى كرك لأمين ، ولفتك لأمين .

(٩) أَحَارِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ   كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ [٦]

اسْتُشْهِد به على ترخيم " حارث " على لغة الانتظار ، وقد روى : أصاح .

(١٠) أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِى

وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فى العُصُرِ الخَالِى[٧]

---

(١) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٤٩

(٢) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٥٥

(٣) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٦١

(٤) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٦٢

(٥) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٦٤ ، ٦٥

(٦) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٦٦ ، ٦٧

(٧) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٦٩ ، ٧٠

استُشْهِد به على أن " عم " فعل متصرف ، وقد روى وهل ينعمن .

(١١) إِذا قُلْتُ هَاتِى نَوِّلِينِى تَمَايَلَتْ عَلَىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ [١]

استُشْهِد به على أن " هات " فعل أمر ، وقد روى صدره أيضاً : هصرت بفودى رأسها فتمايلت ، وروى مددت بغصنى بانت فتمايلت .

(١٢) إِذَا ما غَدَوْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلى أَنْ يأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبِ [٢]

استُشْهِد به على جزم المضارع بـ " أن " وقد روى : إلى أن يأتى .

(١٣) وأَعْلَمُ أَنَّنِى عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشَبُ فِى شَبَا ظُفُرٍ ونَابِ [٣]

استُشْهِد به على زيادة " ما " بين " عن " الجارة ومجرورها " قليل " ، وقد روى صدره وقد أيقنت أنى عن قريب ....

(١٤) فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِى [٤]

استُشْهِد برواية يمينُ بالرفع على رفع المقسم به على الابتداء ، واستشهد برواية يمينَ بالنصب على نصب المقسم به بفعل مضمر بعد حذف باء القسم ، وقد روى صدر البيت أيضاً فقلت لها تالله أبرح ....

يلاحظ أن الأبيات السابقة موجودة بديوان امرئ القيس برواية الأصمعى ماعدا البيت الحادى عشر فهو غير موجود بالديوان ، وذكر الفارسى أنه من رواية الأصمعى .

ب- ما اتُّفِقَ على نسبته واختلفت روايته اختلافا يؤدى إلى تعدد الحكم النحوى

(١) تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِى [٥]

---

(١) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٧٠ ، ٧١

(٢) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٧٧ ، ٨٠

(٣) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٩٢ ، ٩٣

(٤) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ١٣٠ ، ١٣١

(٥) انظر : علوم اللغة – المجلد الثانى – العدد الرابع ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

رُوِيَ هذا البيت بكسر " أذرعات " وتنوينها ، وبكسرها ، وبفتحها من غير تنوين مما أدى إلى ثلاثة استشهادات مختلفة فيما يتعلق بكيفية إعراب العلم المسمى بجمع المؤنث السالم .

(٢) ألاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٌ بدارة جلجل [١]

روى هذا البيت برفع يوم وجره ونصبه مما أدى إلى ثلاثة استشهادات مختلفة فيما يتعلق بإعراب المستثنى الواقع بعد " لاسيما "

(٣) خَرَجْتُ بِهَا تَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ [٢]

استُشْهِدَ بهذا البيت على تعدد الحال وتعدد صاحبها ، وقد روى أيضاً أمشي ، وعليه فالحال هي المتعددة دون صاحبها .

(٤) ومِثْلِكِ بِكْراً قَدْ طَرَقْتُ وَثَيِّباً فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُغْيِلِ [٣]

روى هذا البيت : ومثلك وروى فمثلك ، وقد استشهد بالرواية الأولى على حذف رب بعد الواو وبقاء عملها، واستشهد بالثانية على حذف ربَّ بعد الفاء وبقاء عملها وقد روى أيضاً بنصب مثلك وعليها فلا شاهد على حذف رب وبقاء عملها .

(٥) سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ [٤]

روى تكلَّ بالنصب والرفع مما أدى إلى وجود حكمين حيث استُشْهِدَ برواية النصب على أن " حتى " ناصبة للمضارع وهي بمعنى أن ، واستشهد برواية الرفع على أن حتى ابتدائية .

(٦) كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ [٥]

---

(١) انظر : علوم اللغة – المجلد الثاني – العدد الرابع ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) انظر : علوم اللغة – المجلد الثاني – العدد الرابع ص ١٠٩ ، ١١٠

(٣) انظر : علوم اللغة – المجلد الثاني – العدد الرابع ص ١١٤ ، ١١٥

(٤) انظر : علوم اللغة – المجلد الثاني – العدد الرابع ص ١٢٧

(٥) انظر : علوم اللغة – المجلد الثاني – العدد الرابع ص ١٢٩

روى هذا البيت بجر" البياض " ونصبه ورفعه مما أدى إلى تعـــدد الحكـــم النحوى فيما يتعلق بمعمول الصفة المشبهة .

خامساً : الشواهد التى اختلفت نسبتها واتفقت روايتها

١- تعدى " كسا " إلى مفعول واحد

وَأَرْكَبُ فى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ... كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ

استُشْهِد ابن هشام بهذا البيت ، ولم ينسبه ، مستدلا به على أن الفعـــل كســـا هنا بمعنى ستر وغطا ، ولذا تعدى لمفعول واحد [١] ، وهو " وجه " .

وقد نسب السيوطي والبغدادى هذا البيت لامرئ القيس بن حجر الكندى[٢]، وهو بديوانه ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسى مما لم يرويه الأصمعى [٣] .

وقد نقل الرواة أن الأصمعى قد نسب هذه القصيدة التى منها الشاهد المذكـــور إلى رجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم [٤] وكذلك صنع أبـــو حاتم [٥] .

٢- إعمال اسم الفاعل عمل فعله

إِنِّيَ بِحَبْلِكِ وَاصِلٌ حَبْلِى ... وَبِرِيْشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِى

استشهد سيبويه بهذا البيت ولم ينسبه ، مستدلاً به علـــى أن الشـــاعر نـــوّن " واصلٌ " وأعمله فيما بعده ، تشبيهاً لاسم الفاعل بالفعل المضارع ؛ لأنـــه مـــن لفظه ، وفى معناه ومن ثم أجرى الاسم هنا مجرى الفعـــل فعمـــل عملـــه [٦] ،

---

(١)انظر : مغنى اللبيب جـــ ٢ ص ٥٢٧

(٢)انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧ ، وشرح أبيات المغنى للبغدادى جـــ ٧ ص ١٤٠

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦٣

(٤) انظر : خزانة الأدب جـــ ١ ص ١٨٠ ، والمقاصد النحوية جـــ ١ ص ٩٨ ، وشرح أبيات المغنى جـــ ٧ ص ٣٧ ، ٣٨ ، وديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٥) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

(٦)انظر : الكتاب جـــ ١ ص ١٦٤

وعليه فـ " حبل " منصوب لأنه مفعول لاسم الفاعل " واصل " وعلامة نصبه فتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة .

وقد نُسِبَ هذا البيت لامرئ القيس بن حجر الكندى ، وهو بديوانه ضمن زيادات نسخة الطوسى من الصحيح القديم المنحول [١] ، وقد نسب أبو الفرج الأصفهانى هذا البيت لامرئ القيس بن عابس الكندى ، ونقل عن أبى عمرو الشيبانى خطأ نسبته لامرئ القيس بن حجر [٢] .

٣-الأسماء الملازمة للنداء

وَقَدْ رَابَنِى قَوْلُهَا يَا هَنَا ... هُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرّاً بِشَرِ

استشهد عبد القاهر الجرجانى ، وابن يعيش بهذا البيت ونسباه لامرئ القيس بن حجر الكندى ، واستدلا به على أن " هناه " من الكنايات الملازمة للنداء ، وهى كلمة تستخدم لتحقير المجهول وتقبيحه ، ومعناها يا رجل سوء أقبل ، فهى كناية عن النكرة المراد تقبيحها [٣] .

فإذا أردت أن تقبح منادى مجهولا غير مصرح باسمه ناديته قائلاً :للمفرد المذكر : ياهنُ ، ولمثناه : يا هنان ، ولجمعه "يا هنون ، وللمفرد المؤنث : يا هنت ، ولمثناه : يا هنتان ، ولجمعة ، يا هنات ، قال ابن مالك " وقد يلى أواخر هن ما يلى آخر المندوب ، ومنه يا هناهُ بالكسر والضم ، وليست الهاء بدلاً من اللام خلافاً لأكثر البصريين" [٤] .

وبناء على كلام ابن مالك فالهاء فى " هناه " هاء الوقف وممن صرح بذلك من الأقدمين أبو زيد ، وأبو الحسن الأخفش [٥] وبناء على ذلك

---

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٣٩ ، ٤٤١

(٢)انظر : الأغانى للأصفهانى جـ ٣ ص ٣٠٤

(٣)انظر : المقتصد شرح الإيضاح جـ ٢ ص ٧٦٢،وشرح المفصل لابن يعيش جـ ١ ص ٤٨،جـ ١٠ ص ٤٣

(٤) التسهيل لابن مالك ص ١٨٣

(٥)انظر : التصريف الملوكى لابن جنى ص ٢٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ ١٠ ص ٤٤

فهاء الوقف هنا ملازمة للكلمة وقفاً ووصلاً وذلك شاذ، لأن هاء الوقف كهمزة الوصل تحذف فى الدرج ، ولذا قال أبو على الفارسى" فأما قولهم يا هناه فشاذ فذ ، وحكم ما كان مثله أن لا يعرج عليه ، ولا يعدل بقياس غيره إليه " [1] ، وقد استدل ابن جنى والزمخشرى وابن يعيش بالشاهد المذكور على أن الهاء فى يا هناه مبدلة من الواو [2]، والأصل يا هناو. وقد ذكر الفارسى توجيهاً آخر لهذه الهاء وهى احتمال كونها لام الكلمة وعلى ذلك فـ " هناه " وزنه فعال .

وقد نسب ابن جنى هذا البيت لامرئ القيس بن حجر الكندى [3] وكذلك صنع العينى [4] والبيت بديوانه ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسى مما لم يروه الأصمعى [5] .

وقد نقل الرواة أن الأصمعى قد نسب هذه القصيدة التى منها الشاهد إلى رجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم [6] وكذلك صنع أبو حاتم [7] .

(٤) حكاية المفرد على تقدير متمم الجملة بعد القول

إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ دُبَّاءَةٌ ... مِنَ الْخُضْرِ مَغْمُوسَةٌ فى الغُدُرْ

استشهد الرضى بصدر هذا البيت ولم ينسبه ، مستدلاً به على أن لفظة " دباءة " ليست محكية وحدها بعد القول،لأنها لفظ مفرد غير معبر به عن جملة،وغير مقصود لذاته ، لذا وجب تقدير متمم الجملة معه ، ويكون المجموع هو المحكى ، وعليه فـ " دباءة " خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ

---

(١) المسائل المشكلة للفارسى ص ٥٠٢

(٢)انظر : التصريف الملوكى ص ٢٩، وشرح التصريف الملوكى ص ٣٠٩ ، وشرح المفصل جـ١٠ص ٤٣،٤٤

(٣)انظر :المنصف جـ٣ ص ١٣٩، والتصريف الملوكى ص ٢٩

(٤)انظر : المقاصد النحوية جـ٤ ص ٢٦٤

(٥) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦٠

(٦) انظر : خزانة الأدب جـ١ ص١٨٠ ، والمقاصد النحوية جـ ١ ص ٩٨ ، وشرح أبيات المغنى جـ٧ ص ٣٧،٣٨، وديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٧) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

والخبر هى المحكية [1].

وقد شرح البغدادى هذا البيت ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[2]، وهو بديوانه، ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسى مما لم يروه الأصمعى[3]

وقد نقل الرواة أن الأصمعى قد نسب هذه القصيدة التى فيها الشاهد لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم [4] وكذلك صنع أبو حاتم [5].

(٥) وضع المفرد فى موضع المثنى

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مآقِيهما من أُخُرْ

استشهد ابن عصفور بهذا البيت ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى[6]، مستدلا به على أن الشاعر قد وضع المفرد "عين" موضع المثنى إذ المعنى "وعينين" بدليل أنه عاد على العين ضمير المثنى فى قوله" مآقيهما " وقد ذكر ابن عصفور أن وضع المفرد موضع الشيئين المتلازمين جائز سائغ وقد علق على البيت قائلاً : " يريد : وعينين ، ولذلك أعاد عليهما ضمير اثنين ، فإن ذلك ليس من قبيل الضرائر؛ لأن وضع المفرد وضع الشيئين المتلازمين : نحو العينين ، واليدين،والرجلين، جائز فى الكلام والشعر"[7].

والشاهد موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسى مما لم يروه الأصمعى[8].

---

(١) انظر : شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩

(٢) انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٢٠

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦٦

(٤) انظر : خزانة الأدب جـ١ ص ١٨٠ ، المقاصد النحوية جـ١ ص ٩٨ ، وشرح أبيات المغنى جـ٧ ص ٣٧،٣٨ ، ديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٥) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

(٦) انظر : الضرائر ص ٢٥١

(٧) انظر : الضرائر ص ٢٥١

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦٦

وقد نسب الأصمعى القصيدة التى منها الشاهد لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم[1] وكذلك صنع أبو حاتم [2].

(٦) دلالة " قد " على التكثير

قَدْ أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِى جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ

استشهد ابن هشام بهذا البيت ولم ينسبه،مستدلاً به على أن " قد" فيه تدل على التكثير[3]وذلك لأن الإنسان لا يفتخر بما يقع منه على سبيل الندرة والقلة،وإنما يفتخر بما يقع منه على سبيل الكثرة.وقد نسب ابن جنى هذا البيت لامرئ القيس[4] وكذلك صنع ابن يعيش[5]وشرحه السيوطى ونقل عن ابن يسعون أن الصحيح نسبة هذا البيت لعمران بن إبراهيم الأنصارى،وليس لامرئ القيس[6]، وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى،ثم نقل رأى ابن يسعون السابق ذكره[7]. والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى ضمن زيادات نسخة الطوسى من الصحيح القديم المنحول،وقد نسبت هذه القصيدة أيضاً فى ديوان امرئ القيس إلى إبراهيم بن بشير الأنصارى[8]

٧- تأنيث " المتن "

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

---

(١) انظر : خزانة الأدب جـ ١ ص ١٨٠ ، والمقاصد النحوية جـ ١ ص٨٩ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٧ ص ٣٧ ، ٣٨ ، وديوان امرئ القيس ص ٤٢٣، ٤٢٤

(٢) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

(٣) انظر : مغنى اللبيب جـ ١ ص ١٧٤

(٤) انظر : المنصف جـ ١ ص ٢٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ص ٢٣

(٥) انظر : شرح التصريف الملوكى ص ٢٦٢

(٦) انظر : شرح شواهد المغنى ص ١٦٩

(٧) انظر : شرح أبيات المغنى جـ ٤ ص ١١٠ - ١١٣

(٨) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٢٥

استشهد أبو بكر بن الأنبارى بهذا البيت ولم ينسبه ، مستدلاً بـه علـى جـواز تأنيث كلمة "متن"، ومن ثم يقال متن ،ومتنة بالتأنيث كما صنع الشاعر فى قولـه متنتان" [١].وقد استشهد النحويون بهذا البيت على قضايا أخر مثل حذف نـون المثنى من"خظاتا" للضرورة ، ومنها ردُّ حرف العلة المحذوف لالتقاء السـاكن اعتداداً بالحركة العارضة كما فى "خظاتا"والقياس خظتا،وهـو مـن ضرائـر الزيادة،ولم أهتم بتفصيل هذه القضايا المتعلقة بالضرورة نظراً لخروجـها مـن دائرة البحث.وقد نسب ابن عصفور هذا البيت لامرئ القيس [٢]،وكذلك صنـع ابن يعيش[٣] وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس على الصحيـح [٤] ، وقـد أورده ياقوت ونسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى [٥] ، وهو بديوانـه ضمـن قصيدة وردت ضمن ما رواه المفضل من نسـخة الطوسـى ممـا لـم يـروه الأصمعى [٦] وقد نسب الأصمعى وأبو حاتم هذه القصيدة لرجل من النمر بـن قاسط يقال له ربيعة بن جشم [٧] .

سادساً : الشواهد التى اختلفت نسبتها وروايتها اختلافاً يؤثر على الاستشهاد

وهى ثلاثة شواهد نشير إليها فيما يلى :

(١) فَأَقْبَلْتُ زَحْفاً عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ   فَثَوْبٌ لَبِستُ وَثَوْبٌ أَجُرّ [٨]

---

(١) انظر : المذكر والمؤنث ص ٢٤٢

(٢) انظر : الضرائر ص ٤٩ ، ١٠٨

(٣)انظر : شرح المفصل جـ ٩ ص ٢٨

(٤)انظر : شرح أبيات المغنى جـ ٤ ص ٢١٤ ، وشرح شواهد الشافية ص ١٦٠

(٥) انظر : معجم الأدباء لياقوت جـ ٥ ص ١١١

(٦) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٦٤

(٧) انظر :انظر : خزانة الأدب جـ ١ ص ١٨٠ ، والمقاصد النحوية جـ ١ ص ٩٨ ، وشرح أبيات المغنىجـ٧ ص٣٧،٣٨ ، وشرح شواهد المغنى ص ٢١٧ ، وديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٨) انظر : علوم اللغة المجلد الثانى العدد الرابع ص ٤٢ ، ٤٣

استُشْهِدَ به على جواز الابتـداء بالنكرة لدلالتها على التنويع والتفصـيل ، وقد روى أيضاً " فثوباً لبست وثوباً أجر" ونسب لامرئ القيس ، ونسب أيضـاً لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشعم .

(٢) أصاحِ أرِيكَ بَرقاً هَبَّ وَهْناً   كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِـرُ اسْتِعَارَا [١]

استُشْهِدَ بهذه الرواية على ترخيم النكرة المقصود على لغة الانتظار ، وقـد روى أيضاً " أحار " ، ونُسِبَ لامرئ القيس ، وهو بديوانه ، وذكر الأصمعـى أنه مملط فصدره لامرئ القيس ، وعجزه للتوءم البشكرى .

(٣) وقَالَتْ مَتَى يُبْخَلْ عَلَيْكَ ويُعْتَلَلْ   يَسُؤْكَ وإنْ يُكْشَفْ غَرامُكَ تَدْرَبِ [٢]

استُشْهِدَ به على مجيء نائب الفاعل ضميراً مستتراً عائداً علـى مصـدر الفعل وهو الاعتلال وقد روى أيضاً : وقـالت متـى نبخـل عليـك ونعتلـل .... وقد نسبه بعض الرواة لامرئ القيـس وهـو بديوانـه ، ونسـبه بعضهم لعلقمة بن عبدة وهو بديوانه أيضاً .

سابعاً : الشواهد التى اختلفت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً لا يؤثر على الاستشهاد

(١) الابتداء بالنكرة المبهمة

مُرَسَّعَةٌ بَيْـنَ أرْسَاغِـهِ   بِـهِ عَسَـمٌ يَبْتَغِـى أرْنَبَا

استشهد ابن عقيل والأشمونى بهذا البيت بالروايـة المذكـورة علـى أن "مرسعة " نكرة وقعت مبتدأ ، وسوغ الابتداء بها كونها مبهمة لم يُرَدْ بها معين. وقد نسب ابن عقيل هذا البيت لامرئ القيس ، وأما الأشمونى فـأورده بغـير نسبة [٣] .وشرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن مالك النمـيرى ، وذكـر أن

---

(١) انظر : علوم اللغة المجلد الثانى العدد الرابع ص ٦٧ ، ٦٨

(٢)انظر : علوم اللغة المجلد الثانى العدد الرابع ص ٨٤ ، ٨٥

(٣)انظر : شرح ابن عقيل جـ١ ص ٢٢٢ ، وشرح الأشمونى جـ١ ص ٢٠٨

بعضهم ينسبه لامرئ القيس بن حجر الكندى ، ونقل عن أبى القاسم الكندى أن الصحيح نسبته إلى امرئ القيس بن مالك النميرى ، وذكر أنه يُروَى : بين أرباعه ، ويُروَى : وسط أرباعه ، ويُروَى بين أرساغه ، ويُروَى بين أرباقه[1] واستشهد ابن منظور بهذا البيت ورواه " بين أرفاغه " ونسبه لامرئ القيس [2] وكذلك صنع الزبيدى إلا أنه وضح المقصود بامرئ القيس قائلاً : " وفى العباب هو ابن مالك الحميرى ، كما قاله الآمدى ، وليس لابن حجر كما وقع فى دواوين شعره ، وهو موجود فى أشعار حمير"[3] .

والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى ، وهى الرواية المستشهد بها وذكر محقق الديوان أن البيت ينسب لامرئ القيس بن مالك [4] ونقل رأى الآمدى فى ذلك .

(٢) التوابع

(أ) وصف النكرة بالمصدر المضاف إلى ما فيه " أل "

وَقَدْ أغتَدِى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

استشهد ابن يعيش بهذا البيت على أن " قيد " مصدر بمعنى اسم الفاعل " مُقَيِّد " ، ولم يتعرف بإضافته إلى ما فيه " أل " لأن إضافته من قبيل الإضافة اللفظية وهى لا تكسب المضاف تعريفاً أو غيره ، ومن ثم جاز وقوع قيد الأوابد وصفاً للنكرة . يقول ابن يعيش " ألا ترى كيف وصف منجرداً بـ " قيد الأوابد " وهو مضاف إلى معرفة إذ المراد : مقيِّد الأوابد "[5]

---

(١)انظر : المقاصد النحوية جـ ١ ص ٥٤٦ – ٥٤٨

(٢)انظر : لسان العرب مادة " وسع " جـ ٩ ص ٤٨٢

(٣)تاج العروس مادة " وسع " جـ ٥ ص ٣٥٤

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس بن حجر ص ١٢٨ ، ٤١٣

(٥)شرح المفصل جـ ٣ ص ٥١

وقد ذكر ابن جنى وابن يعيش أن الشاعر استعمل المصدر " قيد " بعد حذف ما فيه من الزوائد ، وأصله " تقييد " فحذف التاء والياء واستعمله بعد الحذف ووصف به[1] . قال أبو على " قيد صفة ، وهو مصدر كأنه قال " تقييد الأوابد ثم استعمل المصدر بحذف الزيادة فوصف به "[2] .

وقد استشهد ابن جنى بعجز هذا البيت ولم ينسبه [3] واستشهد به ابن يعيش في ثلاثة مواضع حيث استشهد به كاملاً فى موضعين ونسبه لامرئ القيس [4] ، واستشهد بجزء منه فى موضع ثالث بغير نسبة [5] ، واستشهد به الرضى ولم ينسبه [6] ، واستشهد ابن هشام بصدره ولم ينسبه [7] وشرحه البغدادى وذكر أنه يروى : وكراتها بدل وكناتها ، ونسبه لامرئ القيس ، وذكر أنه يوجد في قصيدة لعلقمة بن عبدة [8] وقد راجعت ديوان علقمة فوجدت هذا البيت عدا كلمة " هيكل " ملفقاً من بيتين على هذا النحو[9] :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... وماء الندى يجرى على كل مُذْنَب

بمنجرد قيد الأوابد لاحــــه ... طراد الهوادي كل شأو مغرب

وجدير بالذكر أن هذين البيتين السابقين موجودان أيضاً بديوان امرئ القيس ضمن القصيدة الثالثة [10] برواية الأصمعى ، وهى القصيدة التى يذكر الرواة أنه قالها عند تحاكمه هو وعلقمة إلى أم جندب لتحكم أيهما أشعر .

---

(١) انظر : الخصائص جـ ٢ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وشرح المفصل جـ ٩ ص ٩٥

(٢) انظر : شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ ٣ ص ٣٧٦

(٣) انظر : الخصائص جـ ٢ ص ٢٢٠

(٤) انظر : شرح المفصل جـ٢ ص٦٦ ، جـ٣ ص ٥١

(٥) انظر : شرح المفصل جـ ٩ ص ٩٥

(٦) انظر : شرح الكافية جـ ١ ص ١٩٩

(٧) انظر : المغنى جـ ٢ ص ٤٦٦

(٨) انظر : الخزانة جـ ١ ص ٥٠٧ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٣ ص ٣٧٧

(٩) انظر : ديوان علقمة ص ٢٣

(١٠) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٦

والشاهد موجود بديوان امرئ القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعي ، وهي الرواية المستشهد بها [1] وذكر المحقق أن رواية الطوسى والبطليوسي وأبي جعفر النحاس : فى وكراتها [2] .

(ب) العطف على محل المجرور بـ " رب "

وسِنٍ كَسُنَّيْقٍ سَنَاءً وَسُنَّمًا ذَعَرْتُ بِمِدْلاَجِ الْهَجِيْرِ نَهُوْضِ

استشهد ابن هشام والسيوطى والبغدادى بهذا البيت على أن الشاعر عطف " سنما " على محل " سن "، وهو مجرور بـ" رب " فى محل نصب ، لوقوعه مفعولاً للفعل" ذعرت " ، وقد استشهد هؤلاء بالبيت على جواز العطف على محل المجرور بـ" رب ". وقد رواه ابن هشام " بمدلاح " بالحاء ولم ينسبه [3] ، ورواه السيوطى " بمدلاج " بالجيم ولم ينسبه [4] ، وشرحه البغدادى برواية " بمدلاح " بالحاء ، ونسبه لامرئ القيس وذكر أنه يروى أيضاً لأبي داود الإيادى إلا أنه رجح نسبته لامرئ القيس قائلاً : " والبيت من قصيدة لامرئ القيس، وقيل لأبى داود الإيادى كذا فى مختار الأشعار الستة ، وهى مثبتة فى ديوان امرئ القيس ،وقد فتشت ديوان أبى داود فى نسختين من روايتين فلم أجدها فيه" [5] . وقد استدل البغدادى بهذا البيت فى الخزانة ورواه بمدلاج بالجيم[6] .

والبيت موجود بديوان امرئ القيس برواية الأصمعي ضمن قصيدة تنسب لأبى دُوَاد الإيادى [7].

---

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٩

(٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٢

(٣) انظر : مغنى اللبيب ص ١٣٦ ، ١٣٧

(٤)انظر : همع الهوامع جـ ٢ ص ٢٧

(٥)انظر : شرح أبيات المغنى جـ ٣ ص ١٩٤

(٦)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ١٧٩

(٧) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٧٢ ، ٧٦

جـ - العطف على " لا " النافية للجنس واسمها

وَيَلُمّهَا فى هَواءِ الجَوّ طَالِبَةً ولاَ كَهَذَا الَّذِى فى الأَرْضِ مطْلُوبُ

استشهد سيبويه والرضى بهذا البيت على أن " مطلوبُ " مرفوع لأنه عطف بيان على محل " لا واسمها " [1] ومحلهما الرفع ؛ لأن " لا " مع اسمها " فى قوة المبتدأ ، واسمها هو الكاف ، لأنها اسم بمعنى مثل ، وهو مضاف إلى هذا ، ويعلق الأعلم على البيت قائلاً " الشاهد فيه رفع مطلوب حملاً على موضع الكاف ، لأنها فى تأويل مثل ، وموضعها موضع رفع ، وهو بمنزلة : لا كزيد رجل ، ولو نصب حملا على اللفظ أو على التمييز لجاز " [2] .

وقد استشهد سيبويه بهذا البيت مرتين ، ونسبه فى الأولى لامرئ القيس[3]، وفى الثانية للنعمان بن بشير الأنصارى[4]واستشهد الفارسى بصدره فى إيضاحه ولم ينسبه[5] واستشهد به كاملاً فى الحلبيات ولم ينسبه[6] ونسبه ابن جنى لامرئ القيس[7]،ونسبه الرضى لامرئ القيس بن حجر[8] وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس وعلق على الرواية المستشهد بها قائلاً " هذه رواية النحاة ، وأمّا الثابت فى ديوان امرئ القيس فهو لا كالتى فى هواء الجو طالبة" [9] .

والثابت فى نسخة الديوان التى بين يدى خلاف ما ذكره البغدادى فرواية الديوان ويلمها من هواء الجو طالبة .... وهو ضمن قصيدة من زيادات

---

(1)انظر : الكتاب جـ ٢ ص ٢٩٤ ، وشرح الكافية جـ ١ ص ٢٦٤

(2)انظر : الخزانة جـ ٢ ص ١١٢

(3)انظر : الكتاب جـ ٢ ص ٢٩٤

(4)انظر : الكتاب جـ ٤ ص ١٤٧

(5) انظر : إيضاح الشعر ص ٣٣٦

(6) انظر : المسائل الحلبيات ص ٤٣

(7) انظر :سر صناعة الإعراب ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

(8)انظر : شرح الكافية جـ١ ص ٢٦٤

(9)انظر : الخزانة جـ ٢ ص ١١٣

نسخة الطوسى من الصحيح القديم المنحول ، وقد نسبت فى الديوان أيضاً إلى إبراهيم بن بشير الأنصارى [1] .

(٣) " كِلاَ " مفردة لفظاً مثناة معنى

كِلاَنَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِى وحَرْثَكِ يُهْزَلِ

استشهد الرضى بهذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه مستدلاً به على أن " كلا " مفرد من حيث اللفظ مثنى من حيث المعنى بدليل عود ضمير المفرد إليها [2] وهو الضمير المستتر فى الفعل " نال " ولو كانت " كلا " مثنى حقيقة لم يجز عود الضمير المفرد عليها . وقد ذكر البغدادى أن الرواة يختلفون فى رواية هذا البيت ونِسبَتِهِ ، حيث رواه ابن قتيبة " كلانا مُضيِّعٌ لا خزانة عنده " ، ورواه الدينورى " كلانا مُقِلٌ لا خزانة عنده "، وقد نسبه الأصمعى وأبو حنيفه الدينورى وابن قتيبه لتأبط شراً ، ونسبه أبو سعيد السكرى لامرئ القيس ورواه ضمن المعلقة [3] . والبيت المذكور غير موجود بالمعلقة برواية الأصمعى ، وذكر محقق الديوان أنه ورد فى المعلقة بصحبة ثلاثة أبيات ضمن زيادات الطوسى والسكرى وأبى سعيد الضرير وابن الأنبارى والزوزنى والتبريزى والقرشى ، وتروى هذه الأبيات لتأبط شراً [4] وقد رجح البغدادى نسبته لتأبط شراً حيث علق عليه قائلاً " وهذا الشعر أشبه بكلام اللص الصعلوك لا بكلام الملوك [5].

(٤) مجيء الحال جملة مكتفية بالواو قبلها عن الضمير الرابط

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ [6]

---

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٢٢٥ - ٢٢٧

(٢)انظر : شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٣٢

(٣)انظر : خزانة الأدب جـ ١ص ٦٥ ، ٦٦

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٣٧٢ تعليقة رقم ٤٨

(٥) انظر : خزانة الأدب ص ٦٥

(٦) سبق تخريجه ص ٧٥ ، ٧٦

استشهد ابن يعيش بهذا البيت على أن جملة " والطير فى وكناتها " جملة اسمية فى محل نصب حال ، وقد خلت هذه الجملة من عائد يربطها بصاحب الحال اكتفاء بالواو فى صدرها ، فهى الرابطة بين جملة الحال وما قبلها : يقول ابن يعيش " وإنما جاز استغناء هذه الجملة عن ضمير يعود منها إلى صاحب الحال من قبل أن الواو أغنت عن ذلك بربطها ما بعدها بما قبلها فلم تحتج إلى ضمير .... أما إذا لَمْ تَذْكُرْ هناك واوا فلابد من ضمير "[1] .

وذهب الزمخشرى وابن هشام إلى أن جملة " والطير فى وكناتها " حال حكمها حكم الظرف ؛ وذلك لأنها ليست لبيان هيئة الفاعل ولا المفعول ، ولا هى مؤكدة ، وعليه فهى واقعة موقع الظرف[2] ولذا عَرِيَتْ من ضمير ذى الحال .

(٥) النداء بالهمزة

أحارُ بنَ عَمْرٍو كَأَنّى خَمِرْ ... ويَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ

استشهد المبرد بهذا البيت بالرواية المذكورة ولم ينسبه ، مستدلاً به أن الهمزة فى " أحارُ " حرف نداء[3] وبناء عليه فـ " حار " منادى مرخم على لغة التمام وقد استشهد السيوطى بعجز هذا البيت ورواه " ما يأتمرن " بإثبات النون ولم ينسبه[4]،ونسبه فى شرح شواهد المغنى لامرئ القيس بن حجر[5] .

وقد نسب الأصمعى وأبو حاتم القصيدة التى منها الشاهد لرجل يدعى ربيعة بن جشم[6] ، وشرحه العينى ونسبه لامرئ القيس بن حجر[7] ثم علق قائلاً " قال الأصمعى أنشدنى أبو عمرو بن العلاء هذه القصيدة لرجل من النمر بن قاسط

---

(١)شرح المفصل جـ ٢ ص ٦٥

(٢) انظر : الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٢٣٦،ومعنى اللبيب جـ ٢ ص ٤٦٦،وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣٥

(٣)انظر : المقتضب جـ ٤ ص ٢٣٤

(٤)انظر : الهمع جـ٢ ص ٨٠

(٥) انظر : شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧ ، ٢١٨

(٦)انظر:خزانة الأدب جـ ١ ص١٨٠،وشرح أبيات المغنى جـ ٧ ص ٣٨،٣٧، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

(٧)انظر : المقاصد النحوية جـ ١ ص ٩٥

يقال له ربيعة بن جشم ، وقال أبو عمرو الشيباني لم يشك أحد أن هذه القصيدة لامرئ القيس ولكن تخلط بها أبيات هي للنمري"[1].

والبيت بديوان امرئ القيس بن حجر [2] ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي وروايته : أحارِ بكسر الراء وذكر المحقق أن هذه القصيدة تُنْسَبُ لربيعة بن جشم [3] .

(٦) زيادة " لا " في صدر القسم

لاَ وأبيكِ ابنةَ العامِرِيَّ لا يدَّعي القومُ أنّي أفِرْ

استشهد الرضي وابن هشام بهذا البيت على أن " لا " زائدة في صدر المقسم به[4] وقد اختلف في فائدتها ، حيث ذهب" الرضي" إلى أنها زيدت للتمهيد بأن الجواب منفي كما في البيت ، وردّ ذلك ابن هشام بأنها قد تأتي مع الجواب المثبت كما في قوله تعالى" لا أقسم بهذا البلد "[5] فإن جوابه مثبت وهو قوله " لقد خلقنا الإنسان في كبد "[6] وقد أجاب البغدادي عن اعتراض ابن هشام ذاكراً أن " زيادتها في صدر القسم المنفي جوابه أغلبِيٌّ لا كلِّيٌّ " [7].

وقد استشهد ابن جني بهذا البيت ورواه" فلا وأبيك" بالفاء ولم ينسبه[8]واستشهد ابن عصفور به بالرواية المذكورة ونسبه لامرئ القيس[9] واستشهد الرضي بصدره ولم ينسبه [10]

---

(١)المقاصد النحوية جـ ١ ص ٩٨

(٢) انظر : ديوان امرئ القيس ص ١٥٤

(٣) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٤)انظر : شرح الكافية للرضي جـ ٢ ص ٣٨٥

(٥) سورة البلد آية ١

(٦) سورة البلد آية ٤

(٧)خزانة الأدب جـ ٤ ص ٤٨٩

(٨)انظر : المحتسب جـ ٢ ص ٢٧٣

(٩) انظر : الضرائر لابن عصفور ص ١٣٢

(١٠)انظر : شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٨٥

وشرحه السيوطى ونسبه لامرئ القيس بن حجر[1] وشرحه البغدادى ونسبه لامرئ القيس بن حجر على الصحيح ورواه " لا وأبيك " وروى" أفرْ " بتخفيف الراء وخَطَّأ من رواها بالتشديد [2].

وقد نسب الأصمعى وأبو حاتم القصيدة التى منها الشاهد لرجل من بنى النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم [3] . والبيت موجود بديوان امرئ القيس بن حجر ضمن ما رواه المفضل من نسخة الطوسى مما لم يروه الأصمعى [4]

وذكر المحقق أن البطليوسى يرويه فلا وأبيك ، ويرويه أبو سهل " لعمر أبيك " .

(١) شرح شواهد المغنى ص ٢١٧

(٢)انظر : خزانة الأدب جـ ٤ ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، شرح أبيات المغنى جـ ٥ ص ٢٧

(٣) انظر : الخزانة جـ ١ ص ١٨٠ ،والمقاصد النحوية جـ ١ ص ٩٨ ، وشرح أبيات المغنى جـ ٧ ص ٣٧، ٣٨ ، وديوان امرئ القيس ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢١٧

(٤) انظر : ديوان امرئ القيس ص ٤٢٤

الملحق الأول – الشواهد التى اتفقت نسبتها وروايتها

م	الشاهد	ترتيبه في قصيدته	مكانه في البحث
	الشواهد المأخوذة من المعلقة :		
١	كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف خنظل	٤	٢٤
٢	فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضـل	٢٥	٢١
٣	وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل	٣٨	٢٥
٤	وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهمـوم ليبتـلى	٤٤	٢٧
٥	مكر مفر مقبل مدبـر معـا كجلمود صخر حطه السيل من عل	٥٠	٢٠
	الشواهد المأخوذة من القصيدة الثانية :		
٦	نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبـان تُشـبُّ لقفـال	١٩	٢٢
٧	كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبـا ذات خلخـال	٣٧	١٦
٨	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى	٥١	٢٣
٩	فلو أن ما أ[illegible]ى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليـل من المال	٥٢	١٨، ٢٨
١٠	ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالـى	٥٣	١٥
	الشاهد المأخوذ من القصيدة الثالثة :		
١١	بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوى كل شـأو مغـرب	٢١	٢٣
	الشواهد المأخوذة من القصيدة الرابعة :		
١٢	ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن أمرأ القيس بن تمـلك بيقـرا هذا البيت غير موجود برواية الأصمعى التى نقلها الأعلم فى نسخته وإنما هو من زيادات الطوسى والسكرى وابن النحاس وأبى سهل .انظر : الديوان ص ٣٩٢ تعليقة ٣٠	ـ	١٦
١٣	كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعسرا	٢٩	٢٤
١٤	من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منهـا لأثرا	٤٤	٢٧
١٥	أرى أم عمرو دمعها قد تحدرا بكاء على عمرو وما كان أصبرا	٤٦	٢٦

الملحق الثانى

الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافا لا يؤثر على الاستشهاد

م	الشاهد	ترتيبه فى القصيدة	مكانه فى البحث
	الشواهد المأخوذة من المعلقة		
١	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	١	٤٨، ٥٦
٢	فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل	٢	٢٩، ٥٦
٣	ويوم عقرت للعذارى مطيتـى فيا عجبا من كورها المتحمـل	١٠	٥٧
٤	ويوما على ظهر الكثيب تعذرت علىّ والت حلفـة لـم تحـلل	١٧	٣٦
٥	أفاطم مهلا بعض هذا التـدلل وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى	١٨	٤٦، ٦٠
٦	تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا علىّ حراصا لو يسرون مقتلى	٢٣	٦١
٧	فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل	٢٨	٥٣
٨	إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل	٢٩	٣٨
٩	تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل	٣٣	٣٤
١٠	فقلت له لما تمطى بجـوزه وأردف أعجازا ونـاء بكلكـل	٤٥	٥٢
١١	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل	٤٦	٤٦
١٢	فيالك من ليل كأن نجومـه بكل مغار الفتل شدت بيذبـل	٤٧	٤٠، ٥٧
١٣	كأن على الكتفين منه إذا انتحى مداك عروس أو صلاية حنظل	٥٧	٤٢
١٤	فألحقه بالهاديـات ودونـه جواحرها فى صرة لـم تزيـل	٦١	٣٩
١٥	وظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجـل	٦٣	٥٤
١٦	قعدت له وصحبتى بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأملـى	٦٩	٣٥
١٧	كأن أباناً فى أفانيـن ودقـه كبير أناس فى بجـاد مزمـل	٧٣	٤٤
	الشواهد المأخوذة من القصيدة الثانية		
١٨	ألاعم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى	١	٣٠
١٩	فيارب يوم قد لهوت وليـلة بآنسـة كأنهـا خـط تمثـال	١٠	٥٨
٢٠	تنورتها من أذرعات وأهلهـا بيثرب أدنى دارها نظـر عـال	١٨	٤٣
٢١	فقالت سباك الله إنك فاضحى ألست ترى السماء والناس أحوال	٢١	٣٩
٢٢	حلفت لها بالله حلفة فاجـر لناموا فما إن من حديث ولا صال	٢٣	٥١
٢٣	وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلة صعبة أى إذلال	٢٥	٣٧

	الشواهد المأخوذة من القصيدة الثالثة		
٢٤	ألا ليت شعري كيف جادت بوصلها وكيف تراعي وصلة المتغيب	٥	٣٣
٢٥	فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها فإنك مهما أحدثت بالمجرب	٧	٣٢
٢٦	فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب	٤٠	٣١
	الشواهد المأخوذة من القصيدة العاشرة		
٢٧	دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل	١	٥٩
٢٨	كأن دثارا حلقت بلبونه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل	٢	٥٦
	الشواهد المأخوذة من قصائد مختلفة		
٢٩	فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا مأخوذ من القصيدة الرابعة	٣٥	٤٧
٣٠	فإن أمس مكروبا فيارب قينة منعمة أعملتها بكران مأخوذ من القصيدة الثامنة	٥	٤٧
٣١	قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع عفت آياته بعد أزمان مأخوذ من القصيدة التاسعة	١	٤٩ ، ٥٩
٣٢	فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا مأخوذ من القصيدة الثالثة عشرة	١	٤٢ ، ٥٠
٣٣	خالي ابن كبشة قد علمت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامي مأخوذ من القصيدة الخامسة عشرة	١٩	٤٠
٣٤	القاتلين الملك الحلاحلا	٣	٢٤
٣٥	خير معد حسبا ونائلا مأخوذان من القصيدة الحادية والعشرين	٤	٢٤
٣٦	ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان مأخوذ من القصيدة السادسة والعشرين	٣	٣٧
٣٧	لقتل بن أسد ربها ألا كل شيء سواه جلل مأخوذ من القصيدة الثامنة والخمسين ، وهو من زيادات ملحق الطوسي من المنحول الثاني	٣	٦٢
٣٨	أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب مأخوذ من القصيدة السابعة والتسعين ، وهي ضمن زيادات نسخة أبي سهل مما لم يروه الأصمعي والمفضل	١	٦٢

الملحق الثالث

الشواهد التي اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافاً يؤثر على الاستشهاد

م	الشاهد	ترتيبه في القصيدة	مكانه في البحث
	الشواهد المأخوذة من المعلقة		
١ مكرر	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	١	٦٤
٢	وإن شفاء عبـــرة مهـراقة فهل عند رسم دارس من معول	٦	٦٣
٣	ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يـوم بـدارة جلجل	٩	٦٦
٤	ومثلك بكرا قد طرقت وثيبا فألهيتها عن ذى تمائـم مغيل	١٥	٦٦
٥	خرجت بها تمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مـرط مرحل	٢٧	٦٦
٦	إذا قلت هاتــى نولينى تمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل	٣٠	٦٥
٧	كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غيـر المحلل	٣٢	٦٦
٨	أحار ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى حبــى مكـلل	٦٧	٦٤
	الشواهد المأخوذة من القصيدة الثانية		
٩ مكرر	ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى	١	٦٤
١٠	وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهـرا فـى ثلاثـة أحـوال	٣	٦٤
١١ مكرر	تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنـى دارهـا نظـر عالـى	١٨	٦٥
١٢	فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديـك وأوصـالى	٢٢	٦٥

	الشواهد المأخوذة من قصائد مختلفة		
١٣	إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثاب مأخوذ من القصيدة الثالثة	٣١	٦٤
١٤	سريت بهم حتى تكل مطيهــم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان مأخوذ من القصيدة التاسعة	١٦	٦٦
١٥	وأعلــم أننــى عمّــا قليــل سأنشب فى شبــا ظفــر وناب مأخوذ من القصيدة الحادية عشرة	١٢	٦٥
١٦	وبدلت قرحا داميا بعد صحـــة لعلّ منايانــا تحولــن أبؤســا مأخوذ من القصيدة الثالثة عشرة	١٢	٦٣
١٧	يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر مأخوذ من القصيدة الرابعة عشرة	١٦	٦٤
١٨	جاءت لتصرعنى فقلت لها اقصرى إنى امرؤ صرعى عليك حـــرام مأخوذ من القصيدة الخامسة عشرة	١٢	٦٣
١٩	نطعنهم سلكى ومخلوجـــة كــر كــلامـيــن علــى نابـــل مأخوذ من القصيدة السادسة عشرة	٦	٦٤
٢٠	إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب غير موجود بالديوان	-	٦٥

الملحق الرابع

الشواهد التى اختلفت نسبتها واتفقت روايتها

م	الشاهد	ترتيبه فى القصيدة	مكانه فى البحث
	الشواهد المأخوذة من القصيدة التاسعة والعشرين		
١	وقد رابنى قولها يا هنا ... ه ويحك ألحقت شرا بشر	١٩	٦٨
٢	وأركب فى الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر	٢٦	٦٧
٣	لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر	٣٢	٧١
٤	وعين لها حدرة بدرة ... شقت ماقيهما من أخر	٣٧	٧٠
٥	إذا أقبلت قلت دباءة ... من الخضر مغموسة فى الغدر وردت هذه الأبيات السابقة ضمن قصيدة رواها المفضل الضبى ، وهى من قبيل ما ورد فى نسخة الطوسى مما لم يروه الأصمعى ، وهى مشكوك فى صحة نسبتها لامرئ القيس فقد نقل عن الأصمعى وأبى حاتم السجتانى أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم .	٣٨	٦٩
	الشواهد المأخوذة من قصائد مختلفة		
٦	قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى جرداء معروقة اللحيين سرحوب من القصيدة الثامنة والأربعين ، وهى مشكوك فى نسبتها حيث تنسب أيضا لإبراهيم بن بشير الأنصارى ، وهى ضمن ما ورد من زيادات نسخة الطوسى من الصحيح القديم المنحول	٢	٧١
٧	إنى بحبلك واصل حبلى ... وبريش نبلك رائش نبلى من القصيدة الخمسين،وهى من زيادات نسخة الطوسى من الصحيح القديم المنحول ، وقد نسب هذا البيت أيضا لامرئ القيس بن عابس.	٢٠	٦٧

الملحق الخامس

الشواهد التي اختلف في نسبتها، واختلفت كذلك روايتها اختلافا يؤدي إلى إلغاء الشاهد

م	الشاهد	ترتيبه في القصيدة	مكانه في البحث
١	وقالت متى يبخل عليك ويعتلل يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب مأخوذ من القصيدة الثالثة	٨	٧٣
٢	أصاح أريك برقا هب وهنا كنـار مجـوس تستعر استعارا مأخوذ من القصيدة الثامنة والعشرين	١	٧٣
٣	فأقبلت زحفا على الركبتين فثـوب لبسـت وثـوب أجـر مأخوذ من القصيدة التاسعة والعشرين، وهي موجودة في رواية المفضل الواردة في نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي، وقد شك الأصمعي وأبو حاتم في نسبتها لامرئ القيس، ونسبه لربيعة بن جشم.	١٧	٧٢

الملحق السادس

الشواهد التى اختُلِفَ فى نسبتها ، واختلفت روايتها اختلافاً لا يؤثر على الاستشهاد

م	الشاهد	ترتيبه فى القصيدة	مكانه فى البحث
١	وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل مأخوذ من القصيدة الأولى (المعلقة)	٤٩	٧٤ ، ٧٨
٢	كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل موجود فى المعلقة من غير رواية الأصمعى	-	٧٨
٣	وسن كسنيق سناء وسنما ذعـرت بمـدلاح الهجير نهوض مأخوذ من القصيدة الخامسة	٢٠	٧٦
٤	مرسعة بن أرساغه به عسم ينبغـى أرنبا مأخوذ من القصيدة الثامنة عشرة	٢	٧٣
٥	أحار بن عمرو كأنى خمر ويعـدو على المـرء مـا يأتمـر	١	٧٩
٦	لا وأبيك ابنة العامـرى لا يحسـب القـوم أنـى أفـرّ مأخوذان من القصيدة التاسعة والعشرين	٢	٨٠
٧	ويلمها فى هواء الجو طالبة ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب مأخوذ من القصيدة الثامنة والأربعين	١٢	٧٧

تاسعاً: الخاتمـــة

يؤكد مؤرخو الأدب ونقاده قديماً وحديثاً أنّ الشعر الجاهلى حقيقة لا مـراء فيها ، وأن دعوى المستشرق مرجليوث والدكتور / طه حسين مخالفة للصـواب ، ويقررون أن امرأ القيس شاعر جاهلى ترك تراثـاً شـعرياً دخلـه بعـض الانتحال ، ولذا أخضع النقاد شعره لنقد دقيق وتمحيص شديد لتمييز صحيحـه من منحوله ، ومن ثم يمكن القول بأنّ ما أجمع الأصمعـى والمفضـل علـى روايته من شعر امرئ القيس يُعَدّ شعراً صحيح النسبة لهذا الشعر الجاهلى .

ساهمت شواهد امرئ القيس مساهمة كبيرة فى تقعيد النحو العربى ، فقـد بلغت شواهده محل الدراسة فى هذا البحث سبعةً وثمانينَ شاهداً بالإضافة إلـى ما تكرر منها ، حيث تكرر أحدَ عشرَ شاهداً فى مواطن مختلفة وقد أشرت إلـى مواضع تكرارها فى الملاحق . وقد استعان النحويون بهذه الشواهد على إثبـات القواعد النحوية وتحريرها فى أبواب كثيرة متعددة بل كادت هذه الشـواهد أن تنتظم كلّ أبواب النحو العربى كما يتضح من خلال تلـك المسـائل النحويـة الواردة فى ثنايا هذا البحث .

أثر تعدد الرواية تأثيراً كبيراً على الأحكام النحوية حيث تبين مـن خـلال البحث أنّ تعدد الرواية قد يؤدى إلى إلغاء الشاهد النحوى أو إلى تعدد الأحكـام النحوية المترتبة عليه فى كثير من المسائل ، وقد استخدم بعض النحويين تعـدد الرواية سلاحاً لإفساد حجج الخصم فى كثير من القضايا التـى كـانت محـلاً للنزاع بين أصحاب المذهبين من كوفيين وبصريين .

بلغ مجموع الشواهد المأخوذة من المعلقة مما اتفق الأصمعـى والمفضـل على روايته ثلاثين شاهداً ، وبلغ مجموع الشواهد المأخوذة من القصيدة الثانيـة حسب ترتيب الديوان ثلاثة عشر شاهداً ، وهاتان القصيدتان من أعلى قصـائد الديوان توثيقاً ونسبة لامرئ القيس ، إذ يكاد يجمع النقاد والأدباء علـى أنـهما

له بلا أدنى ريب أو شك ومن ثم تصبح الأحكام النحوية المترتبة علـــى هـذه الشواهد أحكاماً صحيحة غير قابلة للرد أو الدفع .

بلغت جملة الشواهد المتفق على نسبتها وروايتها خمســة عشـر شـاهداً ، وبلغ مجموع ما اتفقت نسبته واختلفت روايته اختلافاً لا يؤثر على الاستشـــهاد ثمانية وثلاثين شاهداً ، ومن ثم تصبح الأحكام المترتبة علـــى هـذه الشــواهد أحكاماً صحيحة مقبولة .

بلغ مجموع الشواهد التى اتفقت نسبتها واختلفت روايتها اختلافـــاً يؤثـر على الاستشهاد عشرين شاهداً حيث أدى تعدد الرواية فيها إلى إلغاء الشـاهد أو تعدد الحكم النحوى ، وليس للنحويين موقف محدد من هذه الشـواهد فبعضـهم يرد الاستشهاد بها احتجاجاً بتعدد الرواية ، وبعضهم يحتج برواياتها المختلفــة ويعتد بما يترتب على ذلك من أحكام .

الشواهد التى اتفقت روايتها واختلف فى نسـبتها لامـرئ القيـس سـبعة شواهد ليس غير ، وقد بلغ مجموع الشواهد التى اختلفـــت نسـبتها وروايتــها اختلافاً يؤدى إلى إلغاء الشاهد ثلاثة شواهد ، وأما الشواهد التى اختلفت نسـبتها واختلفت روايتها اختلافاً لا يؤثر على الاستشهاد فعدتها سبعة شواهد ليس غـير ، ومثل هذه الشواهد المختلف فى نسبتها ، أو المختلف فى نسبتها وروايتــها لا تنهض وحدها دليلاً على إثبات القاعدة النحوية لأنها فى حكم الشواهد المجهولـة وإنما يستأنس بها متى توفر للقاعدة ما يقررها من الشواهد الصحيحـة النسـبة والرواية .

تأثر تقرير القواعد النحوية وإثباتها باحتمالات التوجيه المتعــددة للشـاهد الواحد ، فمن الشواهد ما يحتمل أكثر من توجيه مما يــؤدى إلـى رد بعـض الاستشهادات ، أو تعدد الأحكام النحوية المترتبة على هذا الشــاهد كمـا هـو موضح فى الصفحـات : ٢٩، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ من هذا البحث .

المصادر والمراجع

الأزهـرى خالد بن عبد الله . ت ٩٠٥ هـ

● شرح التصريح على التوضيح ، المطبعة الأزهرية الطبعة الأولى ١٣١٣ هـ

الأشمـونى نور الدين على بن محمد بن عيسى .ت ٩٢٩ هـ

● شرح الأشمونى على ألفية بن مالك ط . عيسى الحلبى

الأصفهانى أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى الأصفهانى ت ٣٥٦ هـ

● كتاب الأغانى،طبعة الهيئة المصرية العامة الكتاب ١٩٩٢ بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم

الأنبـارى أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى ت ٣٢٨ هـ

● شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات تحقيق عبد السلام هارون ط دارالمعارف

● المذكر والمؤنث تحقيق محمد عبد الخالق عطيه ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠١ هـ

ابن الأنبارى أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى

● الإنصاف فى مسائل الخلاف ط . دار الجيل - بيروت ١٩٨٢ هـ

البغـدادى عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣

● خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ط. صادر بيروت مصورة عن طبعة بولاق

● شرح أبيات المغنى تحقيق عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق نشر مكتبة دار الإيمان ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٧٣

ثعلـب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت ٢٩١ هـ

● مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام محمد هارون،طبعة دار المعارف الطبعة الثانية

الجرجـانى عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١ هـ

● المقتصد شرح الإيضاح تحقيق كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢

ابن جـنى أبو الفتح عثمان . ت ٣٩٢ هـ

● الخصائص تحقيق محمد على النجار ط . دار الهدى للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية

● المنصف شرح كتاب التصريف للمازنى تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله

أمين ط . عيسى الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٤.
● سر صناعة الإعراب تحقيق مصطفى السقا،ومحمد الزفزاف،وإبراهيم مصطفى،وعبد الله أمين،طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٤
● المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق على النجدى ناصف،د . عبد الحليم النجار، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، القاهرة ١٣٨٦ هـ

أبو حيـان محمد بن يوسف ت ٧٥٤ هـ
● ارتشاف الضرب من لسان العرب تحقيق وتعليق مصطفى أحمد النماس الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

الرضـى رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى ٦٨٦ هـ.
● شرح كافية ابن الحاجب ، ط . دار الكتب العلمية بيروت .
● شرح شافية ابن الحاجب ط . دار الكتب العلمية بيروت

الزبيـدى محب الدين أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد ت. ١٢٠٥هـ
● تاج العروس الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ المطبعة الخيرية بجمالية مصر

الزمخشرى أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ
● المفصل في علم العربية،شرح شواهده السيد محمد بدر النعساني ط.دار الجيل الطبعة الثانية
● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ط . دار المعرفة بيروت

الـزوزنى أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحسين
● شرح المعلقات السبع ط . بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م

ابن سـلام محمد بن سلام الجمحى ت ٢٣١ هـ
● طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر ط.دار مدني القاهرة ١٩٧٤

سيبـويـه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت . ١٨٠ هـ
● الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون،طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٩ الطبعة الثانية .

السيـوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ .
●همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ط.دار المعرفة بيروت
● شرح شواهد المغنى تصحيح محمد محمود الشنقيطى المطبعة البهية ١٣٢٢ هـ

شوقى ضيف • تاريخ الأدب العربى – العصر الجاهلى ط . دار المعارف المصرية الطبعة الثالثة .

ابن عصفور علی بن مؤمن بن محمد الأشبيلى ت ٦٦٩ هـ

• الممتع فى التصريف تحقيق د.فخر الدين قباوة . منشورات دار الآفاق

• المقرب تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى ، وعبد الله الجبورى مطبعة العانى بغداد

• الضرائر تحقيق إبراهيم محمد نشر دار الأندلس بيروت الطبعة الثانية ١٩٢٢

ابن عقيـل عبد الله بن عقيل العقيلى ت ٧٦٩ هـ.

• شرح بن عقيل تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية بيروت

علقمـة علقمة بن عبدة

• شرح ديوان علقمة بن عبدة بقلم السيد أحمد صقر الطبعة الأولى المكتبة المحمودية

العينـى على بن محمود بن أحمد بن موسى العينى ت ٨٥٥ هـ

• المقاصد النحوية بهامش خزانة الأدب للبغدادى ط . بيروت

الفـارسـى أبو على الحسن بن أحمد ت ٣٧٧ هـ .

• التكملة تحقيق كاظم بحر المرجان ، ط . العراق ١٩٨١ م .

• المسائل الحلبيات تحقيق د. حسن هنداوى ط . دار القلم دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٧

• المسائل البصريات تحقيق د . محمد الشاطر أحمد ط . المدنى الطبعة الأولى ١٩٨٥

• المسائل المشكلة (البغداديات) تحقيق صلاح الدين السنكاوى ط . مطبعة العانى بغداد

• إيضاح الشعر تحقيق د.حسن هنداوى ط.دار القلم الطبعة الأولى ١٩٨٧

الفـراء يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ

• معانى القرآن تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار ، ط . دار الكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠

ابن مالـك محمد بن عبد الله بن مالك الأنصارى ت ٦٧٢ هـ .

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تحقيق محمد كامل بركات نشر دار الكتاب العربى ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٦٧ م .

المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ .

- المقتضب تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩ .

امرؤ القيس
- ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الخامسة دار المعارف ١٩٨٤

ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت ٧١١ هـ .

- لسان العرب طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

ناصر الدين الأسد
- مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ط . دار المعارف الطبعة الخامسة

ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك ت ٦٨٦ هـ .

- شرح ألفية ابن مالك تحقيق عبد الحميد السيد عبد الحميد ط.دار الجيل بيروت

النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ

- شرح أبيات سيبويه تحقيق أحمد خطاب ط . المكتبة العربية حلب الطبعة الأولى ١٩٧٤
- إعراب القرآن تحقيق د . زهير زاهد ، ط . عالم الكتب مكتبة النهضة العربية الطبعة الثانية ١٩٨٥ م

ابن هشام أبو محمد بن جمال الدين بن يوسف الأنصارى ت ٧٦١ هـ .

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط . دار الجيل الطبعة الخامسة ١٩٧٥ .
- شرح شذور الذهب تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط . دار الأنصار الطبعة الخامسة .
- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ط . بيروت
- قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط . دار الثقافة بيروت
- مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب تحقيق محمد محيى الدبن عبد الحميد ط . بيروت

ياقوت أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ

- معجم الأدباء ط . دار الفكر الطبعة الثالثة ١٩٨٠

ابن يعيش   موفق الدين يعيش بن على بن محمد بن يعيش النحوى ت ٦٤٣ هـ

- شرح المفصل ط . عالم الكتب بيروت .
- شرح الملوكى فى التصريف تحقيق فخرالدين قباوة ط. المكتبة العربية . حلب

التضام والتعاقب في الفكر النحوي

د. نادية رمضان النجار

مدرس العلوم اللغوية بآداب حلوان

١ ـ مقدمة:

يدور موضوع هذا البحث حول علاقة من أهم العلاقات التركيبية، ألا وهى علاقة التضام والتعاقب، وذلك لكونها تعد المحور الأساسى الذى يدور فى فلكه جُلُّ الظواهر النحوية، فلا يكاد يخلو منها باب من أبواب النحو، ومن هذه الظواهر: الاختصاص، والافتقار، والحذف، والزيادة...الخ.

وبما أننا نفكر بجُمَل -على حد قول فندريس- فدراسة الكلمة المفردة لا تعنينا فى هذا الموضع، بل إن ما نسعى إليه هو دراسة العلاقات التركيبية الممثلة فى تواؤم المفردات بعضها مع بعض، أو مناسبة الكلمة لما يجاورها على حين نجدها تتنافر مع كلمات أخرى، وذلك لكون المفردات تمثل شبكة من العلاقات الدلالية والمعجمية، فكلمة (منصهر) مثلا تتناسب مع ذكر المعادن (الحديد، النحاس.....الخ)، على حين تتنافر مع غيرها، (الورق، والخشب). ومن هنا حرص البحث على ذكر أقسام التضام المتمثل فى شقيه المعجمى والنحوى، كما سعى إلى دراسة الصلة بين التضام والتعاقب، مع توضيح ما إذا كان هناك اختلاف بينهما أم يندرج أحدهما فى الآخر؟

١- مادة البحث :

اعتمد البحث فى رصد تلك العلاقة على أهم المصادر والمراجع النحوية القديمة والحديثة، هذا بالإضافة إلى التعريج على بعض كتب الخلاف والأصول، مع الإلمام بكتب التفسير وإعراب القرآن، ومن هذه المؤلفات على سبيل الذكر لا الحصر ما يلى:

الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون - الإنصاف، والبيان فى

غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى - الخصائص وشرح المصنف لابن جنى - شرح الكافية للرضى الاستراباذى - شرح المفصل لابن يعيش، هذا بالإضافة إلى : الإتقان، والأشباه، والهمع للسيوطى.

ومن كتب التفسير وإعراب القرآن: معانى القرآن للفراء - معانى القرآن وإعرابه المنسوب للزجاج - والكشاف للزمخشرى، هذا بالإضافة إلى الجامع فى أحكام القرآن للقرطبى.

مع الإلمام ببعض كتب البلاغة، مثل: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى - مفتاح العلوم للسكاكى - الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى.....الخ.

٢- منهج البحث :

بتطبيق المنهج الوصفى قُسِّم البحث إلى قسمين :

أولهما :

١- تناول ظاهرة التضام مُعَرِّفًا إياها لغةً واصطلاحًا، ثم قسَّمها إلى التضام المعجمى والآخر النحوى، مستعرضًا أمثلة لهذين النوعين مستدلاً عليهما بالقرآن تارة، وبالشعر تارة أخرى، وبحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلما تيسر ذلك ثم اهتم البحث بشقَّى التضام النحوى المتمثلين فى الاختصاص والافتقار.

٢- عمد البحث إلى دراسة عوارض التضام، أو بمعنى آخر الظواهر التى تحول دون تضام التركيب النحوى، وتؤدى إلى عدم الاتصال بين أجزائه. ومنها (الفصل) الذى يشترط فيه أن يكون بكلمة ليست من خارج التركيب أو أجنبية عنه، و(الاعتراض) الذى أجاز النحاة والبلاغيون أن يكون جملة أجنبية خارجة عن السياق يؤدى وجودها إلى إضافة معنى جديد لم يكن موجودًا من قبل.

ثانيهما:

اهتم البحث بمصطلح التعاقب مبينًا إياه ومرادفته لمصطلحين آخرين هما (الإنابة، والإغناء) عند النحاة القدماء، وإن كان البحث قد فرق بين المصطلحات الثلاثة، فرأى أن يختص مصطلح (التعاقب) بالحروف، و (الإنابة) بالأسماء و (الإغناء) بالأفعال، وذلك حتى لا يؤدى الخلط بين هذه المصطلحات إلى اللبس والاضطراب. ومن ثم جاءت دراستها فى ثلاثة أقسام:

أ- التعاقب فى الحروف مع بيان آراء النحويين المؤيدين والمعارضين لتلك الظاهرة، إلى جانب الاستعانة ببعض آراء المفسرين الذين يرون أن لكل حرف معنى لا يتعداه إلى غيره، فهم لا يقولون بالتعاقب فى الحروف والإنابة فى الأسماء إلا شذوذًا.

ب- الإنابة فى المفردات، واشتملت على الإنابة فى الأسماء والظروف والأفعال ولاسيما فى الدلالة الزمنية.

جـ- ذكر البحث أهم الدواعى والاعتبارات التى اعتمد عليها القدماء فى القول بالتعاقب أو الإنابة.

٣- أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان المحاور الرئيسية التى تشتمل عليها علاقة التضام وصلتها بالتعاقب، سواء أكانت سلبًا أم إيجابًا، وجاء ذلك متمثلاً فيما يلى:

١- بيان الظاهرة (الاختصاص) ومعرفة مدى اتصالها بعلاقة التضام، وتعليل المواضع التى خرج فيها التركيب عن الالتزام بتلك القاعدة، كأن يدخل حرف على غير ما يجب الدخول عليه.

٢- استهدف البحث بيان معنى (الافتقار) مع توضيح الفرق بين الافتقار المتأصل وغير المتأصل، مع التمثيل لهما من أبوب النحو.

٣- كما جاء من أهداف البحث، التعرض للعوارض التى تحول دون تلازم أو تضام لأجزاء التركيب، ومنها الزيادة، والحذف، والفصل، والاعتراض... إلخ. إلاّ أن البحث اقتصر على الفصل والاعتراض، لكون الحذف والزيادة من الموضوعات التى تستحق أن تفرد لها دراسة مستقلة.

٤- سعى البحث إلى إثبات ظاهرة التعاقب فى الأدوات تارة، وفى الأسماء تارة، وفى الأفعال تارة أخرى، إلا أن هناك تعاقبًا فى دلالة الأفعال عُرِف بالتضمين نرى أهميته، مما يجدر بنا أن نفرد له بحثًا آخرًا.

٤ – الدراسات السابقة :

اهتم القدماء بعلاقة (التضام)، وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها، فعرفت بمصطلحاتٍ عدّة، منها (الضم، والنظم، والرصف، والمعاظلة...الخ).

- كما عرفت عند اللغويين بـ(التلازم، والتركيب، والتضام collocation) إلا أن الدكتور/ تمام حسان قد اهتم بها اهتماماً كبيرًا فى مؤلفاته، فجاء ذكرها فى كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) المطبوع سنة ١٩٧٣م، وكذلك عرض لها فى كتابة (مناهج البحث فى اللغة) سنة ١٩٨٦م. كما جاء عرضٌ لها فى كتاب (البيان فى روائع القرآن) الصادر سنة ١٩٩٣م، ثم ختم دراساته فى القرائن النحوية فى كتابه (الخلاصة النحوية) المنشور سنة ٢٠٠٠م.

- كما جاءت أطروحة لبحثين علميين بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة: أحدهما: بحث ماجستير بعنوان (التضام فى النحو العربى)، إعداد محمد صلاح الدين مصطفى، إشراف أ.د./ تمام حسان سنة ١٩٧٣م. والآخر بحث ماجستير أيضًا، عنوانه (التضام فى الجملة البسيطة فى اللغة العربية المعاصرة) إعداد/ ربيع عبد السلام خلف إشراف أ. د./ محمد حسن عبد العزيز، سنة ١٩٩٦م.

- وأخيرًا تم مناقشة بحث دكتوراه بعنوان (قرينة التضام) إعداد الباحث/ مصطفى عبد الرحمن نمر، إشراف أ.د./ مصطفى الصاوى الجوينى، وذلك فى آداب الإسكندرية سنة ٢٠٠٠م، إلا أنها اهتمت بدراسة قرينة التضام عند البلاغيين، لكونها أحد الشروط الثلاثة التى يجب توافرها عند الأديب؛ لكى يكون موفقًا فى صناعة الأدب.

وتمتاز هذه الدراسة بأنها التفتت إلى دراسة علاقة التضام وظواهرها التى تندرج فيها من خلال المنهج البنيوى الذى يهدف إلى بيان العلاقات التركيبية والتداولية فى النحو العربى، وقد تبين من خلال تطبيقه ارتباط التضام بالتعاقب، وهو ما سوف نعرض له فى الفقرة التالية، كما تميزت هذه الدراسة بما قدَّمته من تنوع فى الأمثلة، وتعدد فى البيئات اللغوية المتمثلة فى النحاة واللغويين والمفسرين والأصوليين، بالإضافة إلى البلاغيين.

٥- التعاقب وصلته بالتضام:

١- من المعروف أن المنهج البنيوى بدأ على يد العالم السويسرى "دى سوسير" وذلك من خلال كتابه الموسوم بإنجيل اللغة [محاضرات فى علم اللغة العام] سنة ١٩١٥، والذى بيَّن من خلاله الفرق بين [اللغة Langue] و [الكلام Parole] على أساس أن اللغة متصلة بالمجتمع والبيئة، أما الكلام فهو الاستعمال الفردى لتلك اللغة، والعلاقة بينهما علاقة الجوهر بالعرض[1] .

٢- اللغة عبارة عن مجموعة من العلامات، منها علامات صوتية منطوقة تسمى (الدالّ)، وأخرى علامات داخلية ذهنية متصوَّرة يُستدل عليها بالمنطوق الخارجى وتسمى (المدلول) والعلاقة بينهما هى العلاقة بين المنطوق الصوتى والمتصوَّر الذهنى[2] .

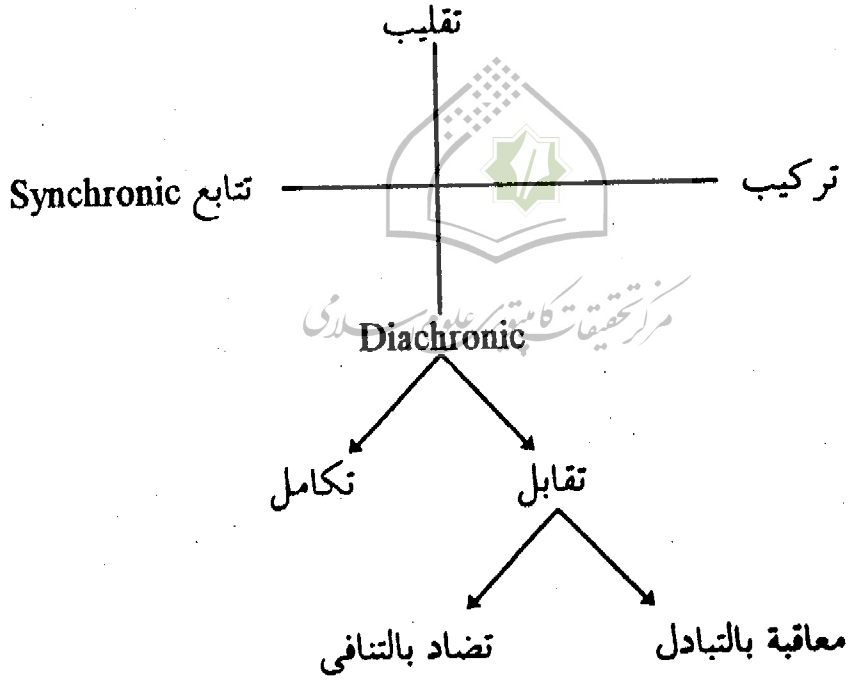
---

[1] د. حلمى خليل، العربية وعلم اللغة البنيوى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٩٩.

[2] وهذا ما عبر عنه تشومسكى بالعلاقة بين اللغة والكلام فيما أطلق عليه [القدرة Competence] و[الأداء Performance] حيث تمثل القدرة فى البنية العميقة deep structure، والأداء فى البنية-

٣- يتألف النظام اللغوى من عناصر داخلية، وعلاقات خارجيـة، أمـا العنـاصر الداخلية، والتى لها الصدارة، فتتمثل فى دراسة العلاقات القائمة بين اللغـة وما يؤثر فيها مثل الحضارة، والاجتماع، والتاريخ....الخ.

٤- وبتطبيق المنهج الوصفى البنيوى على اللغة العربية نصل إلى أن هناك دراسـة آنية [الوصفية] يتم فيها دراسة العناصر اللغوية على أسـاس ثـابت [Static] ليس للزمن أى دخل فيه، بينما تمثل الدراسة التعاقبية محورًا رأسيا تقـوم فيـه العلاقات بين العناصر اللغوية على أساس الحركة [Dynamic] طبقًا للتغير الزمنى، أو التطور التاريخى للغـة[1] ، ويمكـن توضيـح هذيـن المحوريـن فـى الشكل التالى:



والمقصود بهذين المحورين أن العلاقات فى داخل نظام اللغة لها أهميتهـا الخاصة، وأننا لو طبقنـا فكـرة نوعـى العلاقـة التقليبيـة والعلاقـة التركيبيـة علـى

-السطحية surface structure. ينظر د. عبده الراجحى، النحو العربى والدرس الحديث دار الثقافـة سنة ١٩٧٧، ص ١٢٦.

(1) د. حلمى خليل، العربية وعلم اللغة البنيوى، ص ١٠٠، ١٠١.

عناصر اللغة لوجدنا أن العلاقة التركيبية مثلاً تحكم الترابط بين مفردات الجملة وعناصر النص، وأن العلاقة التقليبية أيضًا تكشف عن التنوع فى داخل المنظومة أو الجدول[1] .

وإذا أردنا زيادة الأمر وضوحًا، نرى أن المحورين المتقاطعين فى اللغة يمكن لكل واحد منهما أن يتفرع إلى فروع تندرج تحت كل أصل، فالمحور التقليبى يتفرع منه ما يتصل بتبادل المفردات أو استبدالها، فيظهر منها التعاقب والتضاد والتكامل.

- فالتعاقب يختص بالتداول والتبادل بين عنصرين لغويين، فهما لا يجتمعان كما فى قوله تعالى﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإسراء/ ١٠٧. أى على الأذقان.
- أما (التضاد) فيتصل بالعناصر اللغوية الخلافية، (الخبر، والإنشاء، والجملة الاسمية، والفعلية).
- أما (التكامل) فيتصل بالمفردات وورودها داخل الجدولين التصريفى، والإسنادى، أو بمعنى آخر هو توافق الكلمة داخل الجدول قواعديًا، فإذا قلت: "هو يضرب أخاه الآن" تختلف باختلاف الضمير المخبر عنه وتُعدُّ هذه الظواهر جميعًا من قبل الظواهر التقليبية، ولصعوبة الإحاطة بها جميعًا، اقتصر البحث على دراسة إحداها، وهى المعاقبة.
- أما المحور الثانى، وهو التركيبى، فيشمل كثيرًا من العلاقات النحوية كعلاقة الإسناد والتبعية، والتضام، والتعدية، والربط، وغيرها من العلاقات، إلا أن البحث تناول علاقة التضام بالدرس، لكونها أكثر شيوعًا فى أبواب النحو، ومن ثم يكون هناك تشابه واختلاف بين التعاقب والتضام، أما التشابه فكلاهما ظاهرتان تندرجان داخل المنظومة اللغوية، وأما الاختلاف

---

[1] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، عالم الكتب،سنة ١٩٩٣، ص ١٤٨ - ١٥٢ بتصرف.

فالتعاقب يُعَدُّ أحد مظاهر المحور التقليبي أو التبادلي في اللغة، أما التضام فيُعَدُّ إحدى العلاقات التركيبية الأفقية في النحو العربي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فالتعاقب يختص بالتبادل بين الكلمات، أما التضام فيتعلق بالتلازم بين العناصر اللغوية لتكوين الجمل والتراكيب، وعلى هذا سنقوم بدراسة التضام أولاً، ثم تعقبه دراسة التعاقب.

التضـــام

من العلاقات التركيبية

أولاً: تعريف التضام لغة وإصطلاحًا:

التضام لغة: هو مصدر من الفعل" ضَمَمَ " يقال: ضَمَّ الشىء لشىء أى جمعه، وقيل: وانضمَّ وتضامَّ، ومنه: ضممت هذا إلى هذا فهو ضام ومضموم. وضامَّ الشىء: انضمَّ معه وتضامَّ القوم إذا إنضمَّ بعضهم إلى بعض[1].

أما اصطلاحًا: فهو لا يبعد عن معناه اللغوى، ويمكن أن نعرِّفَه فنقول: هو استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزامًا ضروريًا، أو هو الترابط الأفقى الطبيعى ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى فى السياق الطبيعى نحو: "أهلاً وسهلاً"، "لم ينبس ببنت شفة"، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعنى دخول الكلمة فى سياق مقبول مع الكلمات الأخرى، نحو: الفعل "أطلق" فقد يقال: "أطلق لحيته"، "أطلق ساقيه للريح"، "أطلق له الحبل على الغارب.....الخ"[2] ولكل منها معنى سياقِىٌّ يخالف غيره.

ثانيًا: أقسام التضام:

التضام ضربان: معجمى، نحوى

١- التضام المعجمى:

هو انتظام مفردات المعجم فى طوائف، يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعضها الآخر، فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء، وتتنافر مع الأسماء الأخرى. وهذا هو معنى قول البلاغيين: "إسناد

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط: دار المعارف، د. ت، مادة ض م م، ٤/ ٢٦٠٩.

(٢) د. يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفى ودوره فى تحليل اللغة، عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث ١٩٨٩م، ص ٨٧ - ٨٨.

الفعل إلى من هو له أو إلى غير من هو له". فمن غير المقبول أن يقال: "انكسر الخيط"[1] لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر. فهذه التراكيب تشتمل على كلمات متنافرة، ومن ثم تفتقد عنصر الإفادة، وإن تحققت لها صحة التركيب النحوى، بحيث يمكن إعرابها. ومعنى هذا أن الجمل المذكورة تتسم بالإحالة المعجمية.

وهناك شروط تضبط هذا النوع من التضام المعجمى، وجدت متناثرة فى معظم أبواب النحو، منها:

١- يشترط للمفعول المطلق أن يشارك فعله فى مادة اشتقاقه، وهو المصدر ويتعدى إلى مفعوله سواء أكان لازمًا أم متعديًا، فيقال: "ضربت زيدًا ضربًا"، "قام قيامًا"[2].

٢- لا يكون التوكيد لفظيًا إلا مع تكرار اللفظ، وهو يقع فى الأفعال، والأسماء والحروف، والجمل، مثل: "ضربت ضربت زيدًا" ، "ضربت زيدًا زيدًا"، "إنَّ إنَّ زيدًا منطلق"[3].

٣- إذا أفاد الفعل مشاركة أو تسوية أو مخالفة، أو نحوها، وجب أن يكون فاعله مثنىً أو جمعًا، أو معطوفًا عليه، نحو: "تضارب الرجلان"، "تضارب الرجال"، "تضارب عمرو وزيد".

٤- لا يضاف اللفظ إلى ما فى معناه، فالنحاة يقسمون الإضافة إلى "محضة" وهى على معنى "مِن" أى إضافة الاسم إلى اسم هو بعضه، مثل: "ثوب خز"، و"غير محضة": وهى إضافة اسم إلى اسم غيره، مثل: "غلام زيد"[4].

---

[1] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ١٥٥ - ١٥٦.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ١/ ١٠٩.

[3] السابق، ٣/ ٤٣.

[4] السابق، ٣/ ٨.

٥- يلزم الربط بإعادة اللفظ إذا خيف اللبس[1] ، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ آنَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ طه/ الآية ١٠. تكرر ذكر النار بدلاً من "عليها"[2]. وكذلك قد يؤتى بالمظهر مكان المضمر معنىً، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يوسف/ آية ٩٠، "مَنْ" هنا شرطية فى موضع رفع بالابتداء، وخبره: "فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" وكان الأصل أن يقال: "فإن الله لا يضيع أجرهم"، ليعود "مَنْ" فى الجملة إلى المبتدأ ذكره، إلا أنه أقام المظهر مقام المضمر[3].

٦- لا يأتى المطاوع إلا من فعل يمكن لمفعوله أن يتأبى على قبول الحدث، فلا يجوز: "انقتل" أو "انضرب" ، لأن معنى المطاوعة هو: أن تريد من الشىء أمرًا فتبلغه، إما بأن يفعل ما تريده إذا كا مما يصح منه الفعل نحو: "صرفته فانصرف" ، وإما أن يصير إلى مثل حال الفاعل الذى يصح منه الفعل، وإن كان مما لا يصح منه الفعل، نحو: "قطعت الحبل فانقطع"[4].

٧- لا تدخل "أنْ" المصدرية على فعل لا مصدر له، نحو: "عسى - وليس - ونِعْم - وبِئْس....الخ"، لكونها أفعالاً جامدة غير مشتقة.

٢- التضام النحوى:

ويعنى به العلاقة التى تنشأ بين العنصرين (التابع والمتبوع) داخل

---

(١) د. زين كامل الخويسكى، مواضع اللبس عند النحاة والصرفيين، ط المعرفة الجامعية ١٩٨٩م ص ١٩٠.

(٢) د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ١١٠.

(٣) ابن الأنبارى، البيان فى غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٢/ ٤٤، ٦١.

(٤) ابن جنى، المنصف فى علم التصريف للمازنى، دار إحياء التراث القديم، سنة ١٩٥٤، ١/ ٧١.

المنظومة النحوية، أو بمعنى آخر، هو استلزام[1] أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرًا آخر، فسمى التضام هنا "التلازم".

أو يتنافى معه، فلا يلتقي به، ويُسمَّى هذا بـ"التنافى" ، وهو قرينة سلبية تندرج تحت التضام.

وهذا التضام النحوى يظهر بوضوح بين التابع والمتبوع، والمفسِّر والمفسَّر، والتمييز والمميَّز، والضمير ومرجعه، وتحمُّل الضمير وعدمه، والمطابقة بين العنصرين والرتبة بينهما، والفصل والوصل، والافتقار والاختصاص والاقتران، والعامل والمعمول، وتقرير الجملة والتركيب....الخ[2].

ويستدل على هذا التضام بإحدى طريقتين، هما :

١- **طريقة الذكر**: وفيها يكون العنصران المتلازمان مذكورَيْن في نص الكلام، وهو إما (ذكر اختصاص) وإما (ذكر افتقار).

٢- **طريقة العدم (الحذف)**: وفيها يستدل بقرائن سبق الذكر، أو الاستلزام على العنصر غير المذكور في النص، إما لاستتار واجب أو لحذف.

أنواع التضام النحوى:

أولاً: الاختصاص :

هو من صفات الحروف والأدوات، لأن الأداة إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره، فتسمى "مختصة" كاختصاص "إنَّ وأخواتها"بالأسماء، وكذلك "حروف الجر"[3] . وإما أدوات غير مختصة تدخل على الأسماء والأفعال، مثل: "أدوات النفى" فهى لا تؤثر إعرابيًا، لقول النحاة:

---

[1] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٩٤م ص ٢١٦.

[2] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ١٥٣.

[3] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ١/ ٤١٩ ، ٢/ ١٣١.

«إن الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة»[1].

ومن خلال استقراء بعض كتب النحو، لاسيما كتب الخلاف والأصول، فقد استنبطت بعض القواعد الخاصة بضميمة الاختصاص، ومنها:

١- تختص "إنَّ وأخواتها" بالدخول على الأسماء، فهي ناصبة لاسمها رافعة لخبرها، وإنما عملت لكون الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة[2].

٢- الخفض يختص بالأسماء[3].

٣- تختص حروف النداء بالدخول على الأسماء[4].

٤- تختص علامات التثنية والجمع بالأسماء[5].

٥- تختص نون الوقاية بالدخول على الأفعال، فنقول: أرشدنى، وأسعدنى ولا نقول: مُرْشِدُنى، ولا مُسعِدُنِى[6].

٦- تختص (أفعل) بنصب النكرات بعدها على التمييز[7].

٧- يختص الإسناد بالجمل[8].

---

[1] ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ١/ ٢٣٠.

[2] وإنما نصبت الأسماء ورفعت الاخبار؛ لأنها أشبهت الأفعال لفظًا ومعنى؛ أما اللفظ فمن وجوه: أحدها: أنَّ أواخرها مبنية على الفتح كالفعل الماضى، وثانيها: أنها تخفف من مضعَّفها كالأفعال، وثالثها: اتصال نون الوقاية بها إذا دخلت على ياء المتكلم كالأفعال، ورابعها: أنها مركبة من ثلاثة أحرف فصاعدًا كعدد حروف الأفعال. وأما المعنى، فلأن معانيها كمعانى الأفعال، فمعنى إنَّ، أنَّ: أكدت، وكأنَّ: شبهت، وليت: تمنيت، لعل: ترجَّيت، ولكن: استدركت.

ينظر : عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، تحقيق على موسى الشوملى مكتبة الخريجى، الرياض، ١٩٩٠م، ٢/ ٨، ٩.

[3] ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ج١، مسألة ١٤، ص ٩٧، ٩٨.

[4] السابق، ج١، م١٤، ص ٩٩.

[5] السابق، ج١، م١١، ص ٨٠.

[6] السابق، ج١، م ١٥، ص ١٢٩.

[7] السابق، ج١، م ١٥، ص ١٣٢.

[8] السابق، ج١، م ٢١، ص ١٧٤.

٨- تختص (إِنْ) للمخففة بالعمل فى الأفعال، على حين أنَّ (إِنَّ) المشددة تختص بالعمل فى الأسماء[١] .

٩- تختص (أَنْ) المخففة بالعمل فى الأحرف [لا، قد، سوف، السين] مثل: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ المزمل/ آية ٢٠[٢].

١٠- يختص الجزم بالأفعال، وعلامته السكون فى الصحيح، وحذف الحرف فى المعتل[٣].

١١- تختص نون التوكيد بالأفعال وهى تقابل (إِنْ، واللام) فى الأسماء[٤].

١٢- تختص (اللام) و(مِنْ) بالقسم مع لفظ الجلالة، فنقول مع (اللام) " لله لَتُبْعَثُنَّ وتُحَاسَبُنَّ" ، وأما (مِنْ) فتختص بـ (رَبّ) ، نحو "مِنْ رَبِّيَ لأفعلن" ، وهى (مِنْ) الجر عند سيبويه[٥].

غير أنه قد يُتَجَوَّزُ فى هذا النوع من التضام، كأن تختص (لما) بالمضارع بعدها، فنجدها قد دخلت على جواب قسم متصدر باللام فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ هود/ آية ١١١.

فاجتمع الضدان فى (لما) تعنى النفى، و(لام القسم) تعنى تأكيد الإثبات، وكلاهما رتبته الصدارة، ومع ذلك فقد قدمت (لما) على (اللام) مع رفض النحاة لدخول الحرف على الحرف، ومن ثم تكون جملة (ليوفينهم) جوابًا للقسم، أما ما تختص به (لما) فهو محذوف يُقَدَّر من الفعل الموجود فى

---

(١) ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ج١، م ٢٤، ص ١٩٥.

(٢) السابق، ج١، م ٢٤، ص ٢٠٤.

(٣) عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، ١/ ٢٢٧.

(٤) وإنما جعلت فى نهاية الفعل تمييزًا لها عن توكيد الاسم الذى يقع فى أوله؛ لانحطاط الفرع عن الأصل؛ ولأنها لو زيدت فى أوله لاجتمع زيادتان، حرف المضارعة والنون ينظر المصدر السابق، ١/ ٣٦٦.

(٥) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٤٩٩.

الآية، وكذلك قد دخلت (لما) على خبر (إنْ) المخففة، فكانت بمنزلة (اللام)، كما في قوله تعالى: ﴿وإن كلُّ ذلك لما متاعُ الحياة الدنيا﴾ الزخرف/ آية ٣٥[1].

وكذلك قد اختصت (بَيْنَ) بالاثنين، أو المعطوف، إلا أننا نجدها قد دخلت على المفرد في قوله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحدٍ منهم﴾ آل عمران/٨٤. وتفسير ذلك أن المفرد جاء نكرة في سياق النفي، فأفاد العموم مثل اسم الجنس[2].

١٣- تختص حروف النصب بالدخول على المضارع، فإما أن تنصب بنفسها، وإما أن تنصب على إضمار (أنْ) بعدها، مثل: (حتى)[3].

١٤- تختص بعض الأفعال القاصرة بتعديها للمفعول بحروف جر معينة، نحو (دخل) فهو يختص بـ(في) للدلالة على الأمكنة والأزمنة، وبـ(على) للدلالة على الأشخاص[4].

واعتمادًا على هذه القاعدة حاول أحد الباحثين[5] أن يخصص حروفًا بعينها لمعانٍ خاصةٍ في وصول الأفعال بواسطتها إلى ما تتعدى إليه، فقيل إن:

أ- إذا كان المراد إيصال معنى الفعل إلى المعمول على وجه الوصول إليه، فالجر بـ"اللام" مثل: "قلت له" ، "رثيت له".

ب- إذا كان المراد إيصال معنى الفعل المعمول على وجه اللصوق حقيقةً أو مجازًا، فالجر بـ"الباء"، نحو: "دهنت بالعطر" ، "تمسَّحْت بالماء".

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٨/ ١٦.

(٢) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ٣٩٢.

(٣) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، م ٢٤، ص ٢٠٨.

(٤) د. إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة د.ت، ص ٨٤.

(٥) إبراهيم حسن عزام، الفعل الواصل وأسرار الموصول، مطبعة رمسيس، ١٩٣٥، ص ٤٢.

جـ- إن كان المراد إيصال معنى الفعل إلى المعمول على وجه إنتهائه به، فالجر بـ "إلى"، نحو: "سرت إلى السوق"، "صبوت إلى العلم".

د- إن كان المراد إيصال معنى الفعل إلى المعمول على وجه وقوعه عليه حقيقةً أو مجازًا، فالجر بـ"على"، مثل: "مشى على الأرض"، "ضرب على التراب"، "ذهب عليه الأمر" إذا فاته، فكأن الأمر وقع عليه الذهاب حيث فاته كما يوقع الضارب الضرب.

هـ- إن كان المراد إيصال معنى الفعل إلى المعمول على وجه وقوعه فيه حقيقة أو مجازًا، فالجر بـ"في"، نحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ البقرة/ آية ٢٠٨، ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ طه/ آية ٧١.

١٥- تختص حروف: "إنْ، إذا، لو، إذْ" بالشرطية، وكثيرًا ما يحذف الفعل بعد "إذا"، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ الانشقاق/ آية١.

وقد تجوز الأسلوب القرآني في شرطية "إذْ"، فضمنت معنى "لقد" كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ البقرة/ من الآية ٤٩، أي "لقد نجيناكم"[(١)].

وكذلك التحضيض "ألا، هلاّ، لولا، لوما"[(٢)] بحذف الفعل بعدها، لقرينة سبق الذكر، كما في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لـ"جابر" عندما سأله: "ما تزوجت؟" قال: "ثَيِّبًا"، قال: "هَلاّ جاريةً تلاعبها وتلاعبك"[(٣)]، والتقدير: هلا تزوجت جارية.

---

(١) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ٢٤٨.

(٢) سيبويه، الكتاب، ١/ ٢٦٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، حاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، ٣/ ٢٢٠.

وهكذا وجدت أصول نحوية تبين صلة الضمائم بعضها ببعض، فكانت هذه الظاهرة مجالاً واسعًا فيه كثير من دراسات البلاغيين والأسلوبيين، للوقوف على مدى تأثر التذوق والجمال الأسلوبي بتلك الظاهرة.

ب -تضام الافتقار:

وهو قسمان: ١- افتقار متأصل.

٢- افتقار غير متأصل.

أما الافتقار المتأصل: فهو العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال، وإن صح ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل. مثال ذلك افتقار حرف الجر إلى المجرور، وحرف العطف إلى المعطوف. على حين يكون الافتقار غير المتأصل: وهو ما يكون للباب النحوي بحسب تركيبه، كافتقار المضاف إلى المضاف إليه، والحال إلى حدث يلابسه، وإنما سُمِّي الافتقار غير متأصل، لأنه هنا غير منسوب إلى الكلمة، لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل، وإنما يكون الافتقار للباب، فكل كلمة تقع هذا الموقع يفرض عليها الباب هذا النوع من الافتقار[1].

وقد وضح "الصبان" في "حاشيته" الفرق بين هذين القسمين من الافتقار قائلاً: «أما الافتقار المتأصل فهو أن يفتقر الاسم إلى الجملة افتقارًا مُؤَصَّلاً أي لازمًا، كالحرف في: "إذْ، إذا، حيث "الموصلات الاسمية"»[2] وسَمَّاه بالشَّبَه الافتقاري، لأن كل عنصر فيه يفتقر افتقارًا متأصلاً إلى ما بعده، فهما لا يفترقان.

أما الافتقار غير المتأصل، فهو -على حد قول الصبان - افتقار الكلمة، "سبحان" إلى مفرد أو جملة افتقارًا غيرَ لازم، كافتقار الظرف "يوم" إلى جملة

---

[1] د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ١٥٤.

[2] الصبان في حاشيته على شرح الأشموني، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت ، ١/ ٥٤.

بعده، كما فى قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ المائدة/ آية ١١٩، وذلك لأن افتقار "يوم" إلى الجملة بعده ليس لذاته، وإنما هو لعارض كونه مضافًا إليها، والمضاف من حيث هو مضاف مفتقر إلى المضاف إليه، ودليل ذلك أن كلمة "يوم" فى سياق آخر، مثل: "هذا يوم مبارك" لا تفتقر إلى جملة[1] .

وسنذكر فيما يلى أمثلة من الافتقار المتأصل وغير المتأصل مما ورد فى كتب النحاة:

١- افتقار الصفة إلى الموصوف.[2] [متأصل]

٢- افتقار الأسماء الموصولة لجملة الصلة، فيقول "ابن يعيش": «[الذى] وما نحوه من الموصولات بمنزلة الحرف من الكلمة، من حيث كان لا يُفهم معناهُ إلا بِضَمِّ ما بعده إليه»[3] [متأصل]

٣- افتقار الأفعال القاصرة فى تعديها إلى حرف الجر، ويفسر"ابن جنى" ذلك الافتقار بأن حرف الجر يُعَدُّ جزءًا من الفعل، لأنه يصل به إلى المفعول، كما يُعَدُّ جزءًا من الاسم الذى بعده؛ لافتقار هذا الحرف إلى اسم يعمل فيه، ويدلل على ذلك بأن الحرف وما بعده فى محل نصب مفعول[4] .

٤- افتقار "كاف التشبيه" غير الاسمية إلى الاسم بعدها، إلا أنها قد وردت أحيانًا دون مُشبَّه، كما فى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة ١٤٣، وكذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ﴾ البقرة/ ١٥١.

---

(١) الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى، ١/ ٥٥.

(٢) السيوطى، الأشباه والنظائر، مراجعة د. طه عبد الرءوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر االكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٧٥م، ١/ ١٧٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣/ ١٥٠.

(٤) ابن جنى، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م، ١/ ٣٤١.

وكذلك "كم الخبرية" لإبهامها، فتفتقر هي و"الكاف" إلى اسم بعدهما يوضح معنيهما[1] . [متأصل]

٥- تفتقر جملة الصلة إلى ضمير عائد على الموصول، لتعلق الحكم بهما معًا، وإلا كانت جملة الصلة أجنبية[2] . [متأصل]

وقد يحذف العائد من الصلة، كحذفه من الصفة، وحذفه من الصلة أولى لطول الكلام، كما في: "زيد الذى ضربت" أى: "ضربته"[3] .

٦- افتقار "ال التعريف" إلى اسم مُنكّر، فيكونان معاً كالعنصر الواحد[4] . [متأصل].

وإن كان الشاعر العربى قد تجوّز فى ذلك، فأدخلها على الفعل المضارع، كما فى:

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ
وَلاَ الأَصِيلُ وَلاَ ذِى الرَّأْىِ وَالْجَدَلِ[5]

أى: الذى ترضى حكومته[6] .

٧- الظروف المضافة إلى الجمل: وهى ضربان:

---

(1) الرضى، شرح الكافية ، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، مطابع الشروق، بيروت: د.ت ١/ ٤٠.

(2) وقد اشترط النحاة لجملة الصلة شروطًا غير الشروط المذكورة أعلاه، وهى: أن تكون خبرية - جملة معلومة للسامع. ينظر: ابن عصفور الأشبيلى، شرح جمل الزجاجى تحقيق د. صاحب أبو جناح، الموصل، العراق، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ١/ ٩٣.

(3) السهيلى، الأمالى، ط السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٩١.

(4) ابن هشام، مغنى اللبيب، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى، القاهرة د.ت ، ١/ ٥٠، د. حماسة عبد اللطيف،النحو والدلالة،مطبعة المدينة،القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٧٢.

(5) أنشده الفرزدق، ينظر السيوطى، شرح شواهد المغنى، تحقيق محمد محمود الشنقيطى، عناية د.أحمد ظافر كوجان، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.د.ت ٤٦/١.

(6) د. تمام حسان، بحوث لغوية وأدبية، مطبعة أم القرى، ١٩٨٦م ص ٣٤.

أ- واجبة الإضافة إلى الجملة، وهي: "حيث"، "إذا" على خلاف فيها وأضاف "ابن هشام"[1] "لَمّا" الاسمية. [متأصل]

ب- غير واجبة الإضافة، نحو: "يوم" - "حين" - "ريث" بمعنى الإبطاء نحو: "تَوَقَّفْ رَيْثَ أخرج إليك"، "آية" بمعنى علامة[2].

وأضاف السيوطي من الظروف: "عند"، "لدى"، "لدن"، وبيّن الفرق بينهما[3].

٨- قد ذكر صاحب "شرح المفصل" أسماء غير ظروف تلزم الإضافة، ولا تكاد تفترق عنها حتى ولو أفردت، فهي على معنى الإضافة، نحو: "مثل"، "شبه"، "غير"، "بيد"، "قيد"، "قدا"، "قاب"، "قيس" والثلاثة الأخيرة منها بمعنى "مقدار"، نحو قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ النجم/ ٩[4].

ولكون هذه الأسماء تلزم الإضافة لا يجوز دخول الألف واللام عليها، فلا يقال: "المثل" ولا "الشبه"، ولا "الكل"، ولا "البعض"، لأن ذلك كالجمع بين الألف واللام والإضافة، وكذلك: "أي"، "بعض"، "كل"، "كلا" فالإضافة فيها لازمة، وكذلك: "ذو" فتقول: "رأيت رجلا ذا مال"، "جاء رجل ذو مال"، "مررت برجل ذي مال"، وكذلك المثنى منها، والجمع. ومثلها "أولو" لجمع الذكور، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ النمل/ ٣٣.

ومؤنثها "أولات"، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق/ ٤.

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ٣٦٩، خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ٢/ ٣٩، ٤٠.

[2] الرضي، شرح الكافية، ٤/ ١٧١، ١٧٢.

[3] السيوطي، الأشباه والنظائر، ٢/ ١٧٧.

[4] ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ١٢٩.

وإنما لزمت الإضافة هنا لأن المضاف إليه هو المقصود، ومن ذلك: "قَدْ" و"قط" و"حَسْب"، يقال: "قدك درهمان"، "قطك ديناران" أى اكتف بذلك واقطع؛ وإنما لزمت هذه الأسماء الإضافة لأنها واقعة موقع فعل الأمر، وفعل الأمر لابد له من فاعل، ولم تكن هذه الأسماء مما يُرفَع، فأضيفت إلى الفاعل، فإذا قلت: قدك وقطك، حسبك فكأنك قلت: اكتف واقطع.

وكذلك "أيا" الموصولة فهى بعض المضاف إليه، ولا يظهر معناها إلا بما تضاف إليه[1] [افتقار غير متأصل].

٩- يفتقر المبتدأ إلى الخبر؛ لأن كلاً منهما عين الآخر، فإذا قلت: "زيد قائم وعمرو منطلق"، كان "قائم" فى المعنى هو زيد، "منطلق" هو عمرو[2] [غيرمتأصل].

١٠- كل فعل يلزم فاعلاً، فهما كالشىء الواحد[3] [افتقار متأصل].

١١- تفتقر الأفعال لتاء التأنيث للدلالة على الفاعل المؤنث تأنيثًا حقيقيًا[4] [افتقار متأصل].

١٢- تفتقر حروف الجر إلى ماتتعلق به يكون فيه معنى الحدث[5] [افتقار متأصل].

١٣- تفتقر حروف العطف إلى المعطوف، وحروف الاستثناء إلى المستثنى حتى ولو حُذِفَتْ فهى على معنى وجودها، كما فى: "ليس إلاّ" والحال الجملة إلى "واو" الحال، وكذلك الضمير إلى مرجعه[6] [متأصل].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ١٣٠، ١٣٢.

(٢) ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ج١، م ٢٩، ص ٢٤٥.

(٣) السابق، ج١، م ١١، ص ٧٩. جلال الدين السيوطى، الأشباه والنظائر، ١/ ٢٨٩.

(٤) ابن الأنبارى، الإنصاف، ج١، م ١١، ص ٧٩.

(٥) السابق، ج١، م ٢٩، ص ٢٤٦.

(٦) د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ١٥٤.

١٤- يفتقر فعل التعجب إلى اسم نكرة بعده ينصبه على التميز[1] [غير متأصل].

ويرى البحث أن في ذلك النوع من التضام بعضًا من التجوُّز، فالنحاة مجمعون على أن الأفعال: [فَتِئَ، بَرِحَ، دام] مفتقرة إلى أداة نفي قبلها، إلا أننا نجدها في السياق القرآني قد وردت بدون أداة النفي؛ فهي على تقدير وجودها، كما في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ يوسف/ ٨٥.

ثانيًا: التضام السلبي:

فمن مظاهر التضام السلبي ما يعرف بـ"التنافي"، وهو وجود عنصر ما يتنافى مع ما يقابله، فلا يجمع بينهما. «وهو عكس التضام وإن دُرِجَ تحته، باعتباره قسيما للتلازم، ويمكن بواسطة قرينة التنافي استبعاد أحد المعنيين عند وجود الآخر»[2].

ومن ذلك ما عبر عنه النحاة باستخدام "لا" النافية، نحو:

١- لا يجمع بين [ال] والإضافة المحضة، كما لا يجمع بين التنوين والإضافة بنوعيها[3].

٢- لا يجمع بين المضمر ونعته ولا يضاف إليه[4].

٣- لا يجمع بين "كلا" و"كلتا" وكون المضاف إليهما نكرة أو مفردًا أو جمعًا[5].

٤- لا يجمع بين "ذو" وكون ما يضاف إليه ضميرًا[6].

---

[1] ابن الأنباري، الإنصاف، ج١، م ١٥، ص ١٣٢.

[2] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٢.

[3] الرضي، شرح الكافية، ٢/ ١٧٩، ١٨٠.

[4] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٢.

[5] ابن هشام، أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين، ط٥، بيروت، ٣/ ١٧٤.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب، ٢/ ٤٨٢ وما بعدها.

٥- لا يجمع بين اسم وخبر "لولا" فخبرها دائمًا محذوف[١] .

٦- لا تدخل حروف الجر على الضمائم، أو الجمل المحكية، أو الأفعال[٢] .

٧- لا يدخل حرف النداء على الاسم المعرف بـ"ال" إلا بعد التوصل إليه بـ"أيها" أو"أيتها"[٣] .

٨- لا تجر "حتى" إلا ما كان آخرًا أو متصلاً بالآخر[٤] .

٩- لا يجمع بين علامتى التأنيث فى كلمة واحدة، نحو: مسلمات، صالحات، فالأصل: مسلمتات، وصالحتات، لأن كل واحدة من التاءين تدل على ما تدل عليه الأخرى من التأنيث[٥] .

١٠- لا يجمع بين العِوَض والمعَوَّض، كما فى: "أما أنت منطلق انطلقت معك" والتقدير: "إن كنت منطللقًا انطلقت معك"[٦] .

١١- لا يقع الإعراب على أحرف المعانى[٧] .

١٢- لا تعمل عوامل الأسماء فى الأفعال ولا عوامل الأفعال فى الأسماء[٨] .

ثالثًا: عوارض التضام: ١- الفصل ، ٢- الاعتراض

أما الفصل فهو نوعان: فصل نحوى، وآخر بلاغى

الفصل النحوى[٩] :

إنما قيدنا الفصل بأنه نحوى للتفريق بينه وبين الفصل البلاغى، فالفصل

---

(١) السيرافى، شرح الكتاب لسيبويه، تحقيق د. رمضان عبد التواب، د. محمود فهمى حجازى، ط. الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩١م، ١ / ٨١.

(٢) ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ج٢، م٧٨، ص ٥٧٠، ٥٧٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ٨،٩.

(٤) الصبان فى حاشيته على ألفية ابن مالك، ٣/ ٩٦،٩٧.

(٥) ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ج١، م ٢، ص ٢٠، ج١، م٤، ص ٤٢،٤٣.

(٦) السابق، ج١، م١٠، ص ٧١.

(٧) السابق، ج١، م١٩، ص ١٦٧.

(٨) السابق، ج١، م٢٤، ص ١٩٦.

(٩) القزوينى، الإيضاح، منشورات دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٥م، ٢ / ٢٤٧ وما بعدها.

البلاغى إنما يكون بحذف حرف الربط الذى يربط جملة بأخرى، أما النحوى فهو الفصل بين أجزاء الجملة المتلازمة أو المرتبطة برابط السياق بعنصر من عناصر الجملة غير أجنبى عنها، إذا كان بكلمة مفردة فهو "فصل"، وإذا كان بجملة فهو "اعتراض" والنحاة يكرهون الفصل بأجنبى، على حين يجيزون الاعتراض بجمل أجنبية لما لها من إفادة معنى جديد تضيفه إلى التركيب.

والفصل يكون بين التابع والمتبوع، أو «الأداة ومدخولها، الفعل والفاعل، المضاف والمضاف إليه، والمنعوت ونعته»[1] .

- ومن خلال استقراء بعض كتب النحو توصلنا إلى أن هناك "فصل للسّعة" وآخر "للضرورة".

أما الفصل سِعةً فيكون كما بيّنّا بين العنصرين المتلازمين، نحو:

١- الفصل بين المضاف والمضاف إليه : فالكوفيون يرون أنَّ الفصل بين المتضايفين جائز سعةً، على حين يمنع البصريون ذلك ويخصصونه للشعر[2] ويحصرون المواضع التي يجوز فيها الفصل على النحو التالي:

أ- أن يكون المضاف مصدرًا والمضاف إليه فاعله، والفاصل إما مفعوله، كقراءة ابن عامر: ﴿قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الأنعام/ ١٣٧[3] .

وقد يفصل بين المتضايفين بـ"الظرف"، نحو: "تَرْكُ يومًا نفسَك وهواها سَعْيٌ لها فى رَدَاها"[4] ، فقد فصل "يومًا" بين المصدر "تَرْكُ" وعامله "نفسَك".

ب-أن يكون المضاف وصفًا والمضاف إليه إمًّا مفعوله الأول والفاصل

---

[1] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ١٧٦.

[2] الصبان فى حاشيته على الأشمونى، ٢ / ٢٧٥، ابن الأنبارى، الإنصاف، ج٢، م٦١، ص٤٢٧.

[3] ابن مجاهد، السبع فى القراءات، ص ٢٧٠.

[4] الصبان فى حاشيته، ٢٠٦/٢.

مفعوله الثانى، كقراءة بعضهم: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلَهُ﴾ إبراهيم/ ٤٧[1] وهى قراءة شاذة.

فإن قلت: هلاَّ قيل: مخلف رسله وعده؟، ولِمَ قُدمَّ المفعول الثانى على الأول؟ قلت: قُدم الوعد لِيُعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً... وقال: رسله، ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدًا -وليس من شأنه إخلاف المواعيد- كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته؟

وقد يفصل الظرف بين الوصف وعامله، نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هل أنتم تاركوا لى صاحبى»[2]. والملاحظ أن الفصل هنا تم بالجار والمجرور [لى] المتضمن لمعنى الظرف.

جـ- وزاد فى الكافية الفصل بـ"إمَّا"، نحو:

هُمَا خُطَّتَا إمَّا إسارٍ وَمِنَّةٍ ... وَإمَّا دَمٍ وَالْقَتْلُ بِالحُرِّ أجْدَرُ[3]

أما الفصل الضرورى المختص بالشعر، فقد ذُكر منه ثلاث مسائل هى: "الفصل بالأجنبى - نعت المضاف - النداء"[4]. ولا نجد ضرورة لعرضه حتى لا يطول بنا المقام.

٢- **الفصل بين الفعل والفاعل:** وأكثر النحاة على أن العلاقة بين الفعل والفاعل علاقة الجزء بالكل فلا يجوز الفصل بينهما بأجنبى، يقول "ابن السراج": «ولا يفرَّق بين الفعل العامل والمعمول فيه بشىء لم يعمل فيه الفعل»[5]. والمقصود بشىء لم يعمل فيه الفعل هو العنصر الأجنبى، وهذا

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٤٣٩، الزمخشرى، الكشاف ٢/ ٥٦٤ - ٥٦٦.

(2) الصبان فى حاشيته، ٢/ ٢٧٦.

(3) قاله "تأبط شرًا" فى قصيدة من الطويل، والشاهد فى فصل "إمَّا" بين المضاف وهو "خطتا" والمضاف إليه وهو "إسار"، الصبان فى حاشيته، ٢/ ٢٧٧.

(4) الصبان فى حاشيته، ٢/ ٢٧٧- ٢٧٨.

(5) ابن السراج، الأصول فى النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلى، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٤م، ٢/ ٢٢٣.

غير جائز، على حين أجازوا هذا النوع من الفصل إذا كان الفاصل غير أجنبي كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الجمعة/ ١، فُصِل بالجار والمجرور بين الفعل والفاعل لإفادة تقييد التسبيح بالجار والمجرور، ثم بالفاعل بين المجرور وصفاته لئلا تطول بين رُكني الجملة بما ليس من أركانها، وقد يُفصل بالمفعول والظرف والجار والمجرور بين الفعل والفاعل، نحو قولهم: "حضر القاضيَ اليومَ امرأةٌ" والتقدير: "حضرت امرأة اليوم إلى القاضي"[1]. وقد أدىّ الفصل إلى إسقاط عَلَم التأنيث من الفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ البقرة/ ٢٧٥. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ هود/ ٦٧.

٣- الفصل بين التابع والمتبوع:

أ- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، ويجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما ليس بأجنبي، فتقول: "قام زيدٌ اليومَ وعمروٌ" فتفصل بين زيد وعمرو بالظرف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هود/ ٦٠[2]، ففصل بالمفعول الثاني بين المتعاطفين، ولا يقال فصل بين نائب الفاعل والمفعول الثاني؛ لأن الفعل من أخوات "أعطى" ومفعولاها ليسا متلازمين؛ لأنه ليس بينهما علاقة إسناد ملحوظة.

ب- الفصل بين التوكيد والمؤكد، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ الأحزاب/ ٥١[3].

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ٥/ ٩٢.

[2] د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ١٧٧.

[3] الصبان في حاشيته، ٣/ ٥٨.

جـ- الفصل بين البدل والمبدل منه، كما فى قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ﴾ المزمل/ ٢[1] .

د- الفصل بين النعت والمنعوت، كما فى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إبراهيم/ ١٠[2] ، فصل بالمبتدأ المؤخر بين المقدم وصفته.

٤- الفصل بين المصدر وعامله:

لا يجوز الفصل بين المصدر وعامله بأجنبى[3] ، فإذا قلت: "أعجبنى ضربُ زيد عمرًا اليوم عند بكر"[4] ولا يفصل بشىء من الظرفين بين المصدر وصلته، ولا بين شىء من أجزاء صلته لشدة التعلق بينهما.

٥- الفصل فى الأساليب:

أ- أسلوب المدح والذم: يجوز الفصل بالظرف بين فعلى المدح والذم والمخصوص بهما، كما فى قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف/ ٥٠ فصل بالمجرور بين الضمير فى "بئسَ" ومميزه "بدلا"، والتقدير فى الآية: "بئس بدلا للظالمين ذرية أبليس"، فالمرفوع بـ"بئس" مضمر فيها، و"بدلا" منصوب على التمييز مُفَسِّر لذلك المضمر، و"للظالمين" فصل بين "بئس" وما انتصبت به، والمقصود بالذم ذرية إبليس، وحُذف لدلالة الحال عليه[5]

---

(1) الصبان فى حاشيته، ٣/ ٥٨.

(2) د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص ٣٩٠- ٣٩١.

(3) أعنى بـ "الأجنبى" ما لم يعمل فيه المصدر بنفسه ولا بواسطة، وإنما قلنا ولا بواسطة ليدخل فيه تابع معموله، لما فيه من التفرقة بين الشىء وأجزائه.

(4) عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، ٢/ ١٠١٢.

(5) ابن الأنبارى، البيان فى غريب إعراب القرآن، ٢/ ١١١، ١١٢.

وشذَّ الفصل بغير الظرف، كما في " نِعْمَ زيدٌ رجلاً"[١] .

ب- **أسلوب التعجب:** اختلف النحاة في الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه، فمنهم من أجاز[٢] ، ومنهم من منع[٣] .

واحتج المجوِّزون بأن ذلك قد جاء في الحرف مع أنَّ الحرف أضعف من الفعل، فالأحرى أن يجوز مع الفعل، على حين يحتج المانعون بضعف الفعل وقلة تصرفه، والصحيح أن ذلك جائز، وحكى من كلام العرب: "ما أحْسَنَ بالرجل أن يَصدُق"[٤] و"ما أقبحَ به أن يكذب".

وإذا كان الظرف والمجرور غير متعلقين بفعل التعجب امتنع الفصل بينهما[٥] وقد يفصل بينهما بالحال على رأى "الجرمى"، "ابن هشام" كما في: "ما أحسن مجردة هنداً"[٦] .

وأجاز "الجرمى" الفصل بالمصدر، نحو: "ما أحسن إحسانًا زيدًا"[٧] ومنعه الجمهور لمنعهم أن يكون له مصدر، وأجاز "ابن كيسان" الفصل بـ"لولا" ومصحوبها، نحو: "ما أحسن لولا بخله زيدًا" ولا حجة له على ذلك[٨] .

٦- الفصل بين "كم" وتمييزها:

النحاة متفقون على جواز الفصل بين "كم" وتمييزها بالظرف وحروف الجر جوازًا حسنا، نحو: "كم لك غلاما" ، "كم عندك جارية"، ولا يحسن ذلك فيما كان في معناها من الأعداد نحو عشرين وثلاثين[٩]، على حين

---

[١] الرضى، شرح الكافية، ٤/ ٢٤٨.

[٢] المجوِّزون: الفراء، الجرمى، المازنى، الفارسى، ابن يعيش، شرح المفصل، ٧/ ١٥٠.

[٣] المانعون: الأخفش، المبرد، وابن السراج، المبرد، المقتضب، ٤/ ١٧٨.

[٤] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى ١/ ٥٨٧، ابن يعيش، شرح المفصل، ٧/ ١٥٠.

[٥] الصبان فى حاشيته، ٣/ ٢٤.

[٦] السابق نفسه، ٣/ ٢٥.

[٧] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ١/ ٢٥.

[٨] السابق نفسه ١/ ٢٥.

[٩] ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٣٠.

نجدهم قد اختلفوا في إعراب تمييزها بعد الفصل، أيكون منصوبًا أم مجرورًا، والأرجح النصب، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر القطامي[1] "عمر ابن شييمة":

كَمْ نَالَنِي مِنْهُمْ فَضْلاً عَلَى عَدَمٍ   إِذْ لاَ أَكَادُ مِنَ الإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ[2]

حيث نُصب تمييز "كم" الخبرية لَمَّا فُصِل بين "كم" وتمييزها.

و"سيبويه" لا يوجب ذلك إلا في ضرورة الشعر.

٧- ضمير الفصل:

وسُمِّي بضمير الفصل؛ لأنه يفصل بين ما بعده من أن يكون صفة، أو يكون خبرًا فيُعيِّن الخبرية فيه، وهذا اصطلاح البصريين، وأما الكوفيون[3] فيسَمُّونه "عمادًا"؛ لكونه حافظاً لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية.

وقد اشترط النحاة فيه شروطًا تختص فيما قبله وما بعده وبه نفسه. أما ما يُشترط فيما قبله أن يكون "معرفة"[4] ومبتدأ في الأصل أو في الحال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة/ ٥

كما يشترط فيما بعده أن يكون معرفة أيضا وخبرًا لمبتدأ في الحال أو في الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ المزمل/ ٢٠. كما اشتُرِط في نفسه أمران هما: أن يكون مرفوعًا والثاني أن يطابق ما قبله في النوع والعدد، كما في قوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة/

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٢/ ١٦٥، ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٢٩-١٣١.

(٢) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، م ٤١، ص ٣٠٥- ٣٠٦، عبد العزيز الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ٢/ ١١٢٢.

(٣) الرضي، شرح الكافية، ٢/ ٤٥٧، ابن الأنباري، الإنصاف، جـ٢ م١٠٠ ص ٧٠٦.

(٤) أجاز الفراء، وابن هشام ومن تابعهما من الكوفيين أن يكون نكرة، مثل: "ما ظننت أحدًا هو القائم"، ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ٢/ ٥٦٨.

١١٧. وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الكهف/ ٣٩.

- ويفصل "ضمير الفصل" بين المبتدأ والخبر بالشروط السابق ذكرها، وبين اسم "كان" وخبرها، كما في قوله تعالى ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ وبين اسم "إنَّ" وخبرها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر/ ٥٣، القصص/ ١٦. وبين اسم "ما" وخبرها، نحو: "ما زيد هو القائم" وأخيرًا يقع ضمير الفصل بين مفعولى "ظنَّ"، كما فى: "ظننت زيدًا هو القائم"[1].

ويستفاد من هذا الفصل ثلاثة أمور:

أولها: لفظى وهو تعيين أنَّ ما بعده خبرٌ أو فى معنى الخبر وليس تابعًا.

وثانيها: معنوى وهو التوكيد إذ لا يجمع بينه وبين التوكيد، فلا يقال: "زيدٌ نفسه هو الفاضل".

وثالثها: الاختصاص فى بيان نسبة المسند إلى المسند إليه، وقد جمع "الزمخشرى"[2] هذه الأغراض فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة/ ٥. فقال: «فائدته الدلالة على أنَّ الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره»

٨- أنماط مختلفة من الفصل:

أ- الفصل بـ "كان" الزائدة بين "ما" والتعجب[3]، نحو: "ما كان أصلح علم من تقدما".

وكذلك قد يفصل بـ "كان" بين المبتدأ والخبر، نحو: "زيد كان فاضل"[4].

---

(1) عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، ١/ ٦٦٩.

(2) الزمخشرى فى كشافه، ١/ ١٤٦.

(3) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ١/ ٢٥٠. عبد الأمير أمين الورد، منهج الأخفش الأوسط النحوى، بيروت ١٩٧٥، ط١، ص ٢٥١.

(4) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١/ ٢٤٩.

ب- الفصل بـ "ما" الكافَّة بين "إنَّ" واسمها[1] ، نحو: "إنما زيدٌ قائمٌ".

جـ- الفصل بـ "إنْ" الزائدة بين"ما" النافية ومنفيها[2] ، كما في قولهم: "ما إن زيد قائمٌ"، فـ"إنْ" زائدة عند البصريين ونافية عند الكوفيين. بدليل قوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ الملك/ ٢٠.

ونجد "ابن هشام"[3] قد ذكر أن "إنْ" تزاد بعد "ما" المصدرية والموصولة حملاً لهما على "ما" النافية، كما في قول الشاعر "المعلوط ابن بدل":

وَرَجِّ الفتَى لِلْخَيْرِ ما إنْ رَأَيْتَهُ عَلَى السِّنِّ خَيْرًا لاَ يَزَالُ يَزِيدُ[4]

وذلك لاتفاق اللفظ بينهما.

د- الفصل بـ"ما" بين "ليت" ومدخولها[5]، مثل : "لَيْتَما زيدٌ قائمٌ"، ويجوز أن تعمل "ليت" مع الفصل، فنقول: "ليتما زيدًا قائمٌ".

هـ- الفصل بـ"القَسَم" و"الظرف" و"الجار والمجرور" بين "إذن" والمضارع[6] مثل: "إذن واللهِ أُكرِمُكَ" فبالرغم من الفصل بين "إذن" والمضارع، إلا أنها عملت النصب لكون القسم غير أجنبي.

- والملاحظ أن الفواصل هنا أكثرها من الأدوات، فلا يخرج عن ذلك إلا ضمير الفصل وجملة القَسَم، وشبه الجملة، وهو الظرف أو الجار والمجرور.

---

(1) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ١/ ٣٧٤.

(2) ابن الأنباري، الإنصاف، ج٢، م ٨٩، ص ٦٣٦.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢/ ٧٨٥.

(4) والشاهد فيه نصب "خيرًا" على التمييز، والعامل فيه "يزيد"، وقدَّمه للضرورة، واستدل به على جواز زيادة "إن" بعد "ما" الظرفية.

ينظر سيبويه، الكتاب، ٤ / ٢٢٢.

(5) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين، ١ / ٣٧٤.

(6) السابق نفسه، ٢ / ٣٤٥.

- وكما أجاز النحاة الفصل بين المتلازمين بشرط ألا يُفسِد المعنى ولا يؤدى إلى الإلباس، فقد منعوا الفصل[1] عند خوف اللبس، وفساد المعنى، ومن ذلك:

أ- منع الفصل بين "لا" ومدخولها "الفعل المضارع"[2].

ب- منع الفصل بين الصفة والموصوف إلا فى الضرورة كما بيّنّا.

جـ- منع الفصل بين العاطف والمعطوف[3].

د- منع الفصل بين النواصب "إلاّ، إذًا" والمضارع[4] إلا بجملة القسم كما بيَّنا.

هـ- منع الفصل بين الموصول وصلته؛ لكونهما كالكلمة الواحدة.

و- منع الفصل بين الجار والمجرور، إلا ما شذّ من الفصل بـ"ما" الزائدة[5] كما فى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ آل عمران/ ١٥٩.

٢- الاعتراض

أ - تعريف :

الاعتراض هو أن يُعْتَرَض مجرى النمط التركيبى بما يَحُول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالاً يتحقق به مطالب التضام النحوى فيما بينها. والجملة المعترضة[6] فى كل أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النحوى، فلا صلة لها بغيرها، ولا محل لها من الإعراب، وإنما هى تعبير عن خاطر طارئ من دعاء أو قَسَم أو قيد أو نَفْيٍ أو وعد أو أمر أو نهى، أو تنبيه إلى ما يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع.

قال "ابن جنى" : «اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء فى

---

(1) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٢٤، عبد الأمير أمين الورد، منهج الأخفش الأوسط فى الدرس النحوى، ص٢٣٨.

(2) سيبويه، الكتاب، ٣ / ١١٠.

(3) ابن السراج، الأصول فى النحو، ٢ / ٦٠.

(4) سيبويه، الكتاب، ٣ / ١١٠.

(5) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ١ / ٥٩١.

(6) د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص١٨٣.

القرآن، وفصيح الشعر، ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد؛ فلذلك لا يُشنّع عليهم ولا يُستنكر عندهم أن يُعترَض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بأجنبي إلا شاذًّا أو مُتأوَّلاً»[1].

ومن ذلك، الاعتراض بالجملة الدعائية، كما في قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض -فزادهم الله مرضًا- ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ البقرة/ ١٠، فقد اعترض بالدعاء على مرضى القلوب المذكورين.

ب- أقسام الاعتراض :

الاعتراض قسمان :

١- اعتراض مفيد يؤدي إلى إفادة معنى جديد مع توكيد المعنى الأصلي.

٢- اعتراض غير مفيد، وهو إما أن يكون دخوله كخروجه، وإما أن يؤدي إلى فساد المعنى وضعف التأليف[2].

وقد عرَّف صاحب الصناعتين هذا النوع من الاعتراض بقوله إنه: «اعتراض كلام بكلام لم يتم.. ثم يرجع إليه فيتمّه»[3].

والجمهور مُجمِعٌ على أن "الاعتراض" لا يحدث إلا بين المتلازمين، كالصلة والموصول، والنعت والمنعوت، والمستثنى والمستثنى منه، والتوكيد والمؤكد، والبدل والمبدل منه.... إلخ، وهو ما سوف نعرضه بشيء من الإيجاز.

أما الاعتراض المفيد، كما في قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة/ ٧٥-٧٧[4]،

---

(1) ابن جني، الخصائص، ١ / ٣٣٥.

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣ / ٤١.

(3) أبو هلال العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، ط١، الآستانة العليا، ١٣١٩هـ، ص٣١٢.

(4) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٤٦٨، عبد الله سليمان هنداوي، لطائف المعاني في ضوء النظم القرآني، ص١٨٤.

ففى الآية اعتراضان: أولهما : الاعتراض بجملة "إنه قسم لو تعلمون عظيم" بين جملة القسَم والمُقْسَم به. وثانيهما: الاعتراض بين الموصوف "قَسَم" وبين صفته "عظيم" بجملة الشرط محذوفة الجواب "لو تعلمون". وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هي تعظيم شأن المقسَم به فى نفس السامع[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ لقمان/١٤، فقد اعترض بجملة "حملته أمه" لبيان فضل الأم وعظيم أجرها؛ لما تتحمله من مشاق لأجل الولد[2].

وأما الاعتراض غير المفيد، فهو ضربان:

الضرب الأول: يكون دخوله فى الكلام كخروجه منه، لا يكتسب به قُبْحًا ولا حُسْنًا، فمن ذلك قول زهير:

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الْحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً -لاَ أَبالَكَ- يَسْأَمُ[3]

الضرب الثاني: هو الذى يؤثر فى الكلام نقصًا، وفى المعنى فسادًا وقُبحًا... لاداعٍ للإطالة فيه[4].

جـ- مواضع الاعتراض :

١- الاعتراض بين الفعل والفاعل، نحو قول الشاعر :

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي -وَالْحَوادِثُ جَمَّةٌ- أَسِنَّةُ قَوْمٍ لاَ ضِعَافٍ ولا عُزُلِ[5]

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر، ٣ / ٤٣.

(٢) السابق نفسه، ٣ / ٤٣.

(٣) ابن جنى، الخصائص، ١ / ٣٣١ - ٣٣٦، ديوان زهير، شرح وتعليق د. أحمد طلعت، بيروت، ١٩٧٠، ص١٣.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر، ٣ / ٤٨.

(٥) ابن جنى، الخصائص، ١ / ٣٣١، ابن هشام، المغنى، ١ / ٣٨٧.

فجملة "الحوادث جمة" معترضة بين الفعل "أدرك" والفاعل "أسنة قوم".

٢- **بين الفعل ومفعوله**، كما فى قول الشاعر :

وَبُدِّلَتْ -وَالدَّهْـرُ ذُو تَبَـدُّلِ- هَيْفًا دَبُورًا بِالصَّبَا وَالشَّمْأَلِ[(١)]

٣- **الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه**، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ -وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ- وَأَرْجُلَكُمْ﴾ المائدة/ ٦.

فاعترض بين "أرجلكم" والمعطوف عليه، وهو "وجوهكم"، بالجملة وهى "وامسحوا برؤوسكم"؛ لأنه ملتبس بالكلام؛ لأن المقصود بالجمع تعليم الوضوء؛ ولأجل "واو" العطف أيضًا الداخلة على "امسحوا"[(٢)] .

واتضح ذلك من قراءة النصب فى "أَرْجُلَكُمْ" للدلالة على أن الأرجل مغسولة، وأمَّا مَن قرأ بالجر فى "أَرْجُلِكُمْ" فليس للعطف على "امسحوا" لكون الأرجل من الأعضاء الثلاثة المعروفة بالغُسل، وإنما عطف هنا للتنبيه على عدم الإسراف فى صب الماء على الأرجل؛ لكونه مذمومًا[(٣)] .

٤- **بين الشرط وجوابه**، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ النحل / ١٠١.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون/ ١١٧. يجوز فى قوله "لا برهان له به"، أن يكون اعتراضًا بين الشرط "ومن يدع مع الله إلهًا آخر"، وجزائه "فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون"، جاء هذا الاعتراض تأكيدًا على ضلال الكافرين فى دعوتهم غير الله، مع أن هذه الآلهة ليس فيها ما يُعَدُّ

(١) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٣٨٧.

(٢) الزمخشرى، الكشاف ١/ ٦١٠، د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص١٧٧.

(٣) الزمخشرى، الكشاف، ١ / ٦١٠.

برهانًا على ألوهيتها، لذلك جاء قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ قبل أن يتمم الكلام بجواب الشرط؛ ليلفت السامع إليه[1].

٥- **الاعتراض بين الموصوف وصفته**، كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة/ ٧٥، ٧٦.

فهنا اعتراضان: أولهما : فقد اعترض بجملة "إنه لقسم لو تعلمون عظيم" بين فعل القسم "لا أقسم"، وجوابه "إنه لقرآن كريم".

والثانى: كما اعترض بجملة الشرط "لو تعلمون" بين "قسم" الموصوف و"عظيم" صفته[2].

٦- **بين الموصول وصلته**، كقول الشاعر :

ذَاكَ الَّذِى -وَأَبِيكَ- يَعْرِفُ مَالِكٌ[3]

فجملة القسم "وأبيك" معترضة بين الاسم الموصول "الذى" وصلته "يعرف مالك".

٧- **بين المتضايفين**، وذلك كقولهم : "هذا غلام -والله- زيد"[4].

فجملة القسم "والله" معترضة بين المضاف والمضاف إليه.

٨- **بين الحرف ومدخوله :**

أ- **بين الجار والمجرور**، كقولهم: "اشتريته بـ-أرى- ألف درهم"[5].

فجملة "أرى" معترضة بين "الباء" ومجرورها "ألف"، وقد عَدَّ "سيبويه" هذا النوع من الاعتراض شاذًا.

---

[1] الزمخشرى، الكشاف، ٢ / ٤٥.

[2] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص١٨٣.

[3] الأشمونى، شرح الأشمونى، ٢ / ١٧٨، المبرد، المقتضب، ٣ / ١٩٠.

[4] الصبان فى حاشيته، ٢ / ٢٧٧.

[5] سيبويه، الكتاب، ٣ / ١١١.

ب- بين الحرف وتوكيده، كقول الشاعر :

لَيْتَ -وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتُ- لَيْتَ شَبَابًا بُوعَ فَاشْتَرَيْتُ[1]

جـ- بين "قد" والفعل، كقوله :

أخَالِدُ قَدْ -واللَّهِ- أَوْطَأْتَ عَشْوَةً وَمَا قَائِلُ المَعْرُوفِ فِينا يُعَنَّفُ[2]

حيث اعترض بالقسم "والله" بين "قد" والفعل "أوطأت"، ولا يجوز الفصل بينهما بغير القسَم، وجملة القسم اعتراضية لا محل لها.

د- بين حرف النفي ومنفيه، كقوله :

وَلاَ -أَرَاهَا- تَزالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لِى نَكْبَةً وَتَنْكَؤُهَا[3]

٩- **بين جملتين مستقلتين**، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ آل عمران/ ٣٦. عند من قرأ بسكون التاء من "وضعت" وهى القراءة الفاشية[4].

فالجملتان المصدَّرتان بـ"إنّى" حكاية عن قول امرأة عمران.

والجملة هنا "وليس الذكر كالأنثى" هى بيان لما فى قوله "والله أعلم بما وضعت"، والعطف هنا بين جملتين "إنى وضعتها أنثى"، و"وإنى سميتها مريم"، وما بينهما جملتان معترضتان.

١٠- بين المبتدأ والخبر، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ

---

(١) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٣٩٣.

(٢) سيبويه، الكتاب، ١ / ٩٨، ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١٧١.

(٣) ابن هشام، مغنى اللبيب، ٢ / ٣٩٣.

(٤) هى قراءة ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائى.
السبعة فى القراءات، ص ٢٠٤، الزمخشرى، الكشاف، ٤ / ٣٥٦.

نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الأعراف/ ٤٢،
فقوله تعالى: "لا نكلف نفسًا إلا وسعها" جملة معترضة وقعت بين المبتدأ والخبر؛ للترغيب فى العمل الصالح الذى هو سبب لدخول الجنة[1].

[1] عبد الله سليمان هنداوى، لطائف المعانى فى ضوء النظم القرآنى، ص١٨٦.

التعاقب من العلاقات التقليبية

هو التداول والتبادل بين عنصرين لغويين على معنى واحد؛ لقرب الدلالة بينهما.

أو بمعنى آخر، هو إنابة عنصر مكان غيره؛ فيحل محله في وظيفته أو معناه أو لفظه، ومعنى ذلك أن الإنابة والتعاقب على معنى واحد عند النحاة[1] فكلاهما يختص بعنصر ما دون الآخر في سياق واحد، أو بمعنى آخر وجود النائب دون المنوب عنه. وقد ورد مصطلح آخر بمعنييهما هو "الإغناء".

إذن "التعاقب" و"الإنابة" و"الإغناء" مصطلحات مترادفة في الدرس اللغوي. وتأتي هذه الظاهرة في جميع أنواع الكلام، فقد ترد في الأدوات، كما في قولهم : "زيد بمكة"، "زيد في المدينة"[2]؛ فالحرفان "الباء" و"في" قد تعاقبا على معنى الإلصاق والاحتواء؛ لقرب الدلالة بينهما.

وبالرغم من أن النحاة قد أقرُّوا هذه الظاهرة، فهي فكرة نحوية حرصوا من خلالها على الاطراد في القاعدة والمحافظة على الصنعة النحوية، ومن ثم اشترطوا لها عدة شروط حتى تستقيم في الدرس اللغوي، منها :

١- أن لا يُجمع بين المتعاقبين في سياق الكلام، كالجمع بين "في" و"على" في قوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ طه / ٧١، وكذلك لم يجز النحاة الجمع بين "أدعو" و"يا" في النداء[3]؛ لإنابة الثانية عن الأولى، فلا يجوز التلفظ بهما معًا.

٢- ألا يُحذَف النائب والمنوب عنه في وقت واحد، كأن يحذف المضاف إليه

---

[1] د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص١٥٢، مصطفى شعبان، الإنابة في الدرس النحوي عند ابن هشام، بحث ماجستير، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٤٢.

[2] المؤلفة، العلاقة بين الفعل وحرف الجر، دراسة دلالية، الدار المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١١٣.

[3] السيوطي، الأشباه والنظائر، ١ / ١٢٦.

ويبقى عمله؛ لكون المضاف إليه عوضًا عن حرف جر محذوف، كقولهم : "غلام زيد" فأصله: "غلام لزيد"، "ثوب خز" أصله "ثوبٌ من الخز"[1]، فلو حُذف المضاف إليه وهو نائب عن الحرف كان إجحافًا وظلمًا؛ لأن فيه حُذِف النائبُ والمنوب عنه.

٣- جوَّز النحاة صلاحية إقامة المعاقِب للمعاقَب باللفظ والوظيفة، كأن يقوم المضاف إليه بعمل المضاف بعد حذفه، فيحل محله، والنعت موقع المنعوت إلا إذا كان جملة[2]، والمصدر موقع الفعل فى الدلالة واللفظ، وهذا يستلزم أن العنصر النائب يشغل وظيفة المنوب عنه، فالصفة عندما تحل محل الموصوف تصبح فاعلاً أو مفعولاً أو مضافًا طبقًا للموقع الذى كان يشغله المحذوف، وكذلك الحال بالنسبة للمصادر النائبة عن أفعالها المحذوفة، إذ تأتى فى الأساس لشغل وظيفة المفعول المطلق، لكنها عند إنابتها عن تلك الأفعال بعد حذفها يصبح كل واحد منها نائبًا عن فعله فى عمله، متخليًا تمامًا عن الوظيفة الأصلية له وهى وظيفة المفعول المطلق.

ولا يخلو الأمر من وجود بعض العناصر التى لا تتخلى عن وظيفتها الأساسية على الرغم من اكتسابها صفة الإنابة عند بعض النحاة، مثل حروف العطف عند إنابتها عن العامل[3].

٤- اتحاد الجنس أو عدم التغاير : ينبغى فى الإنابة ألا يكون المنوب عنه مكونًا من عدة عناصر مختلفة الجنس كالحرف والاسم، أو الحرف والفعل. يقول "الأزهرى" : «فكما أن أسماء الأفعال لا تكون نائبة عن فعل مقرون بحرف النهى، لا تكون نائبة عن فعل مقرون بحرف الأمر؛ لأن الفعل والحرف مختلفا الجنس، فلا ينبغى أن ينوب عنهما الاسم»[4].

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ / ٢٦.

[2] ابن جنى، الخصائص، ٢ / ٣٦٦.

[3] مصطفى شعبان، الإنابة فى الدرس النحوى، ص٨٩.

[4] خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ١ / ١١٠.

وكذلك يمتنع إنابة عنصر عن آخر إذا تغايرت طبيعة كل منهما، كحرف النداء والمضاف إليه. يقول "الموصلى" : «وأما تعريف النداء والإضافة، فإن أحدهما لا يقوم مقام الآخر لتغايرهما، فإن تعريف النداء بالقصد بخلاف تعريف الإضافة»[1] .

٥- كما اشترط النحاة أن يكون التعاقب بين كلمات متحدة المعنى أو راجعة إليه ولو على بُعْد، يقول "المالقى" : «لأن حروف الجر لا يوضع بعضها موضع بعض قياسًا، إلا إذا كان معناها واحدًا، ومعنى الكلام الذى يدخلان فيه واحدًا، أو راجعًا إليه ولو على بعد»[2] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإسراء / ١٠٧، أى : على الأذقان.

أقسام التعاقب

أولاً : التعاقب فى الحروف :

١- حروف الجر :

قد أقر الكوفيون وبعض البصريين[3] التعاقب فى الحروف، واحتجوا بأن الحرف قسيم الاسم والفعل، فكما أن الإنابة تقع فى الأسماء والأفعال، فهى تقع أيضًا فى الحروف، وأيد مذهبهم "ابن جنى" إلا أنه قال فيه بالسماع ولم يقل بالقياس كما ذهبوا[4] . وقد تابعهم "ابن هشام" مع الاحتراز بإدخال "قد" لإفادة التقليل، ووصف مذهبهم بأنه أقل تعسُّفًا[5] .

أما أكثر البصريين فإنهم على منع الإنابة، ويفسرون التعاقب فى الحروف على تأويل ذلك وحمله على الشذوذ، فقد جاء فى "الهمع" : «عُلم مما

---

(1) الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، ٢ / ١٠٤٢.

(2) المالقى، رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، ط١، دمشق، ١٩٧٥م، ص٣٩٧.

(3) السابق نفسه، ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١١١.

(4) ابن جنى، الخصائص، ٢ / ٣٠٦.

(5) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١١١.

حُكى عن البصريين فى هذه الأحرف الاقتصار على معنى واحد لكل حرف، فمذهبهم أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بالقياس، كذلك أحرف الجزم، وما أوهم غيرَ ذلك فإما مُؤَوَّل تأويلاً يقبله اللفظ، أو على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، أو على النيابة شذوذًا»[1] .

إلا أن "الفقهاء" قد خالفوا "النحاة" فى القول بالإنابة والتعاقب، ومذهبهم أن لكل حرف معنى يختلف عما عداه من الحروف، كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ البقرة / ١٤، فالنحاة يرون "إلى" بمعنى "الباء"، أما الطبرى فيفسرها على معناها مخالفًا بين دلالتى "إلى" و"الباء"[2] .

أ – حروف الجر الأصلية :

١- تعاقب "فى"، "الباء" على معنى الإلصاق، كما فى قول العرب : «زيدٌ فى مكة وبمكة»، فإن "الباء" أفادت التصاق زيد بمكة، و"فى" أفادت احتواء مكة فى إحاطتها بزيد، فكان معنى الاستقرار والإقامة فيها[3] .

٢- تعاقب "من" و"الباء" على معنى السببية، كما فى قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد / ١١، أى : "بأمر الله".

٣- تعاقب "عَلَىٰ" و"الباء"، كما فى قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الأعراف / ١٠٥، أى "حقيق بى".

٤- تعاقب "عن" و"اللام"، كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ التوبة / ١١٤، أى "لموعدة".

---

[1] السيوطى، همع الهوامع، ٢ / ٣٥.

[2] الطبرى، جمع البيان فى تأويل آى القرآن، دار المعارف، ١٩٦٩م، ٢ / ٣٩٨، ٣٩٩.

وينظر لمزيد من الشواهد : للمؤلفة، علاقة الفعل بحرف الجر – دراسة دلالية، ص١٣٥-١٣٧.

[3] ابن السراج، الأصول، ١ / ٤١٤، ٤١٥.

٥- تعاقب "عن" و"الباء"، كما فى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الأعراف/١٨٧، والمعنى : "حفى بها"[١] .

٦- تعاقب "على" و"من"، كما فى قوله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ المطففين / ٢، أى "من الناس".

وفسر "الزمخشرى" هذا التعاقب بقوله : «لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يغرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل "على" مكان "من" للدلالة على ذلك»[٢] . وقد أقر ذلك التعاقب "القرطبى" فى تفسيره[٣] .

ب- تعاقب حروف الجر مع بعض الظروف :

١- تعاقب "من" و"دون"، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ الإسراء/ ١١١، أى "دون الذل"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ المؤمنون/ ٦٥، أى: "دوننا"، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ النجم/ ٢٨، أى: "دون الحق"[٤] .

٢- تعاقب "على" و"مع"، كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الرعد/٦، أى "مع ظلمهم"، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ الحجر/ ٥٤، أى: "مع أن مسنى الكبر"[٥] .

---

[١] السيوطى، همع الهوامع، ٢ / ٢٨.

[٢] الزمخشرى، الكشاف، ٤ / ٧١٨.

[٣] القرطبى، تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن، ١٠ / ٧٠٤٣.

[٤] الزمخشرى، الكشاف، ٤ / ٤٢٤.

[٥] السابق نفسه، ٢ / ٥٨٠.

٣- تعاقب "على" و"أمام"، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طـه/٣٩ أى: أمام عينى[١].

٢- حروف القسم :

أ – تتعاقب "الواو" و"الباء" وذلك لقرب مخرجيهما الشفهى، ولقرب معنيهما إذ "الواو" تدل على الجمع، و"الباء" تدل على الإلصاق، وهو فى معنى الجمع[٢]. ومن ذلك قولهم: "والله لأفعلن" بدلاً من "بالله لأفعلن"، وكثيرًا ما يحل أحدهما محل الآخر.

ب- وكثيرًا ما تتعاقب "التاء" و"الواو" قياسًا على ما سُمع من ذلك فى قولهم: "تراث مِنْ ورث"، "تُخمة مِنْ وَخمة"، "تُقية من وَقَى" فقاسوا على ذلك جواز المعاقبة بين الحرفين فى القسم، فيقولون : "تالله، والله"[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ الأنبياء/ ٥٧. ويفسر "ابن هشام" أن "الباء" أصل القسم، و"الواو" نابت عنها، إلا أنها لكثرة الاستعمال صارت كالأصل، فأُجيز أن يناب عن "الواو" بـ"التاء"[٤] إلا أن فى "التاء" هنا زيادةً فى معنى التعجب، كأنه تعجب من تسهيل الكيد، وتأتّيه مع عُتُوِّ "نمرود" وقهره[٥].

وقد علل "ابن معطى" كثرة التعاقب بين "الواو" و"التاء" فى كون "التاء" فيه همس يشبه اللين الذى فى "الواو"[٦].

---

[١] الزمخشرى، الكشاف، ٣ / ٦٢، ٦٣.

[٢] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ١/ ١٢٥.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل، ٨ / ٣٤.

[٤] ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١٥٧.

[٥] السابق نفسه، ١ / ١٥٧.

[٦] الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، ١/ ٤٢٣.

وتختص "التاء" بلفظ الجلالة، على حين نجد "الواو" تدخل على غير ذلك من الأسماء الظاهرة، أما "الباء" فتدخل على الظاهر والمضمر.

٣- حروف العطف :

كثيرًا ما تتعاقب حروف العطف مع بعضها، ومن ذلك :

أ - تعاقب "الفاء" و"ثم"، ذكر "ابن هشام" أنه كثيرًا ما تتعاقب "الفاء" و"ثم" لإفادة "التوانى" فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ المؤمنون/ ١٤[١].

والعطف هنا بـ"الفاء" أفاد عدم تفاوت الخلق بين المعطوفات، والتوانى؛ لأن كل مرحلة فى خلق الإنسان تستلزم فترة زمنية طويلة حتى ينتقل الخلق من طور إلى طور.

ب- تعاقب "ثم" و"الفاء"، فكما أن "الفاء" تعاقب "ثم" فى إفادة التراخى جاز العكس بمعاقبة "ثم" لـ"الفاء" فى دلالة الترتيب والتعقيب، ومن ذلك قول العرب: جرى فى الأنابيب ثم اضطرب، والمعنى: فاضطرب[٢].

جـ- معاقبة "أو" لـ"همزة التسوية"، قد تأتى "أو" معاقبة لهمزة التسوية و"أم" التى تعطف بعدها، كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ الإسراء/ ٥٠، ٥١[٣]، والتقدير: "سواء أكنتم حجارة أم حديدًا".

د- قد تتعاقب "إما" مع أكثر من كلمة محذوفة، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان/ ٣[٤].

---

(١) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١/ ٢١٤، ٢١٥.

(٢) الأزهرى، شرح التصريح، ٢/١٣٩.

(٣) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٦٧.

(٤) د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ١٨٧ - ١٩٠.

٤- أنواع مختلفة من التعاقب:

أ- تعاقب "هل" و"قد"، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ الإنسان/١، أي: "قد أتى"[١].

واعتُرض على هذا التعاقب بأن "هل" هنا نائبة عن "الهمزة"[٢].

ب- معاقبة "ياء النداء" لـ"أل التعريف"، فجمهور النحاة على أن "ياء النداء" معاقبة لـ"أل التعريف"، فإذا قلت: "يا فاسق، يا رجل"، فالمعنى "يا أيها الفاسق، ويا أيها الرجل"؛ فصار معرفة واكتُفِيَ بـ"يا" عن "ال"[٣].

وكذلك قال النحاة بمعاقبة "يا النداء" للفعل فيه، ومن ثَـمَّ لم يَجُزْ ذكرهما معًا، ففي قولهم: "يا عبد الله"، تقدير الكلام: "أريد أو أدعو عبد الله"[٤]، ولما كثر الاستعمال حذفوا الفعل، وأنيبت عنه "الياء"؛ ولذلك جعلوا المنادى منصوبًا بفعل محذوف وجوبًا؛ فصارت جملة النداء فعليةً خبريَّةً لا إنشائيَّةً؛ فكان هذا التقدير سببًا لانتقاد كثير من النحاة[٥].

جـ- معاقبة "الواو" لـ"مع"، من المعروف أن "واو المعية" تأتي مع الفعل القاصر لتقويته وتعديته للمفعول، في نحو: "سرتُ والنيل" أي "سرت مع النيل"، و"ما صنعت وأباك"، والتقدير: "مع أبيك"، وهذا لا يجوز إلا إذا كان في "الواو" معنى "العطف".

وقد علل "ابن يعيش" هذه المعاقبة بقوله: «وكانت "الواو" و"مع" يتقارب معناهما؛ وذلك أن معنى "مع" الاجتماع والانضمام، و"الواو" تجمع ما

---

[١] الرضي، شرح الكافية، ٢/٣٨٨.

[٢] المرادي، الجنى الداني، ص٣٤٤.

[٣] سيبويه، الكتاب، ٢ / ١٩٧.

[٤] السابق نفسه، ١ / ٢٩١.

[٥] حاشية الصبان، ١ / ٢٤.

قبلها مع ما بعدها وتضمه إليه، فأقاموا "الواو" مقام "مع"؛ لأنها أخفّ لفظًا وتعطى معناها»[1].

د- **معاقبة "ال" للاسم الموصول :** ذهب أكثر النحاة إلى أنَّ "ال" تأتى بمعنى الاسم الموصول، ومن ثَمَّ اختُلِف فى اسميّتها أو حَرفيّتها، فأكثرهم يُقرّ باسميتها[2]، ومنهم من قال بحرفيتها[3]، ويمثّل لها بقولهم: "مررت بالقائم أبوهما".

ويشترط "ابن عصفور" لكون "ال" موصولةً أن لا تدخل إلا على اسمى الفاعل أو المفعول؛ وذلك لأنها ليست كأخواتها الموصولات فى دخولها على الجمل، وما جاء خلاف ذلك فهو شاذ[4].

هـ - **معاقبة "ال" للضمير فى الربط :** فمن المعروف أن الأصل فى الربط بالضمائر، إلا أن الكوفيين قد أجازوا الربط بـ"ال" نيابة عن الضمير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ ص/٥٠، وتقدير الكلام: "مفتّحة أبوابها"، فالعرب يقولون: "مررت على رجل حسن العين قبيح الأنف"، والمعنى: "حسنة عينه قبيح أنفه"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات/٣٩ أى: "مأواهم"[5].

على حين منع البصريون هذه الإنابة؛ لكون الحرف عندهم لا ينوب عن الاسم وخرّجوها على تقدير ضمير محذوف[6].

---

(1) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢ / ٤٨.

(2) الأشمونى، حاشية الصبان، ١ / ١٥٦، ١٥٧.

(3) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ١ / ١٧٩.

(4) السابق نفسه، ١ / ١٧٩.

(5) الفراء، معانى القرآن، ٢ / ٤٠٩.

(6) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١٢١.

و- إنابة "الواو" عن "رب": ذهب أكثر النحاة إلى أن "الواو" في قول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

هي هنا نائبة عن "رُبَّ" المحذوفة، وتقدير الكلام: "رُبَّ ليلٍ". وهو مذهب الكوفيين قياسًا على حذف "باء القسم" وإنابة "الواو" عنها؛ ومن ثم عملت الجرَّ في القسَم، وكذلك عملت الجر هنا نيابة عن "رُبَّ"[1].

أما البصريون فيرون أن "الواو" هنا عاطفة، والجر بـ"رُبَّ" المضمرة بعد "الواو"، وذلك شائع كثير[2] مع غير "الواو"، نحو "الفاء" في قول "امرئ القيس":

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعًا فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُغْيَلِ[3].

وكذلك "بل" في قول الشاعر:

بَلْ بَلَدٍ مِلءُ الفِجَاجِ قَتَمُهُ لا يُشْتَرَى كَتَّانُه وَجَهْرَمُه[4]

فلم يُسمع عن أحدٍ من النحاة أنه قال إن "الفاء" و"بل" حروف جر وإنما هي حروف عطف، جُرَّ ما بعدها بـ"رُبَّ" مضمرة.

ز- تعاقب الباء، الهمزة في تعدية الأفعال القاصرة، كما في قولهم: "مررت به وأمررته"، "خرجت به وأخرجته"، "نزلت به وأنزلته"[5].

وقد يتعاقب ذكر حرف الجر مع حذفه، كما في قول العرب: "شكرت لك" بمعنى شكرتك، "قصدت لك" أي قصدتك[6].

---

(1) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١ / ٣٧٥، م٥٥.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢ / ٤٧٣.

(3) ديوان امرئ القيس، ص١٢.

(4) ابن هشام، مغني اللبيب، ١ / ١١٢.

(5) ابن جني، الخصائص، ١ / ١٠٦.

(6) الصبان في حاشيته، ٢ / ١٧١.

ثانيًا : الإنابة في المفردات :

فكما أجمع أكثر النحاة على جواز الإنابة والتعاقب في الحروف، فإنهم أقروا الإنابة أيضًا في الأسماء؛ لأنها قسيم الحروف والأفعال في الكلمة، وقد استقرءوا هذه القاعدة من لغة العرب شعرًا ونثرًا، ومن ذلك:

أ – الإنابة في الأسماء :

١- **إنابة المضاف إليه عن التنوين:** فمن المعروف أن العنصرين المتعاقبين لا يجتمعان في تركيب واحد، وإنما بظهور أحدهما يستحيل وجود الآخر، ومن ثم ذهب النحاة[1] إلى أن المضاف إليه معاقب للتنوين في المفرد، ويصف الموصلي هذه العلاقة، فيذكر أن المضاف إليه يتنزل منزلة التنوين لمعاقبته إياه.

٢- **قد ينوب المصدر عن فعل الأمر**، كما في قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ محمد/ ٤، والمعنى: "اضربوا الرقاب"، وكذلك قد ينوب عن الخبر، كما في قول العرب: "زيدٌ سيْرًا" أي: "يسير سيرًا"[2].

٣- **قد ينوب الفاعل عن الخبر إذا كان المبتدأ وصفًا**، وذلك في صورة معينة للجملة تكون فيها اسمية في الشكل وفعلية في المضمون، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فاطر/ ٣[3].

٤- **وقد تنوب الحال عن الخبر أيضًا**، وذلك في أساليب تصبح الفائدة منها مرتبطة بالحال التي يعد وجودها كافيًا تمامًا عن الخبر، مع أن الحال بذاتها لا تصلح للخبرية، ووضع النحويون هذه المعالم للجملة التي تسد الحال فيها

---

(١) سيبويه، الكتاب، ١ / ٩٩، الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ١ / ٥٤٧.

(٢) السيوطي، همع الهوامع، ٢/ ١٠٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١ / ٩٦.

مسد الخبر، وذلك بأن يكون المبتدأ مصدرًا عاملاً فى اسم ظاهر، يكون هذا الاسم الظاهر مرجعًا لضمير بحيث يكون هذا الضمير صاحبًا لحال لا تصلح بذاتها لأن تكون خبرًا، نحو: "سماعى القرآن مرتلاً"، فالمصدر هو السماع، والاسم الظاهر، معمول المصدر هو القرآن، والضمير الذى يرجع إليه هو المستتر فى قولنا: "إذْ كان أو إذا كان"، ومرتلاً حال من ذلك الضمير[1] .

٥- قد ينوب عن الحال أشياء، منها :

أ - المصدر المعرّف، نحو: "جلست القرفصاء"، والنكرة نحو: "جاء زيد ركضًا" وهو نائب عن "اسم الفاعل"، ويفيد المبالغة.

ب- اسم عين، كقوله: "بَدَت قمرًا".

جـ- الظرف، نحو: "هذا زيد عندك".

د- الجار والمجرور، نحو: "جاء زيد بسلاحه"[2] .

٦- من أمثلة الإنابة المشهورة عند العرب ما يلى :

أ- إنابة الوصف عن الفعل، كما فى: "أمحمد ضاربٌ زيدًا ؟" أى "يضرب زيدًا".

ب- إنابة المصدر المؤوّل عن المصدر الصريح، نحو: "أحب أن أراك"، أى: رؤيتك.

جـ- إنابة المصدر المفرل معه عن الفعل المضارع المنصوب بعد "واو المعية"، نحو: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، أى: وشرب اللبن.

د- إنابة المفعول لأجله عن المضارع المنصوب بعد اللام، نحو: "قمت إجلالاً لمدرسى"، والتقدير: قمت لأُجِلَّ مدرسى[3] .

---

[1] الأشمونى، حاشية الصبان، ١ / ١٠٤، السيوطى، همع الهوامع، ٢ / ٩٣، د. زين الخويسكى، ظاهرة الاستغناء، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م، ص١٠٠ - ١٠١.

[2] عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية ابن معطى، تحقيق على موسى الشوملى، ١/ ٥٧٠.

[3] د. تمام حسان، البيان فى روائع القرآن، ص١٥٢.

٧- إنابة "أنّ" وما دخلت عليه عن مفعولى "ظنّ"، نحو: "ظننت أنك مجتهد"، والمعنى: "ظننتك مجتهدًا"، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ البقرة/ ٤٦، ومنه قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ العنكبوت/ ٢. نجد أن جملة "أن ومعمولها" سدت مسد مفعولى "حسب"، فقد أدت المعنى الذى يؤديه المفعولان[1] .

٨- وقد تنوب "ما" عن "مَن" عند وقوع اللفظ على صفات الموصوف؛ لأن الصفات يحكم لها بحكم العقلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ النساء/٣[2] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ الشمس/٥.

٩- قد ينوب الظاهر عن المضمر لغرض بلاغى كالتفخيم والتعظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة/ ١، ٢، والمراد: "ما هى" ولكنها أعيدت للتفخيم والتعظيم[3] . ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ الكهف/ ٧٧. ويعلل "السيوطى" وجوب وقوع الظاهر من جهة المعنى فى هذا التركيب قائلاً: «ولو عاد الضمير فقال: "استطعماهم" لتعيَّن أن يكون المراد الأولين لا غير، فأتى بالظاهر استشعارًا لتأكيد العموم فيه، وأنهما لم يتركا أحدًا من أهلها حتى استطعماه فأبى، ومع ذلك قابلاهم بأحسن الجزاء»[4] .

---

[1] السيوطى، همع الهوامع، ١ / ١٥٦، ابن هشام، مغنى اللبيب، ٢ / ٨٨٩، د. زين الخويسكى، ظاهرة الاستغناء، ص١١٣.

[2] أبو حيان، ارتشاف الضرب، ١ / ٥٤٧.

[3] ابن الأنبارى، البيان فى غريب إعراب القرآن، ٢ / ٤٥٦.

[4] السيوطى، الأشباه والنظائر، ٤ / ١٠١.

وقد يحدث العكس فى إنابة المضمر عن المظهر، كما فى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/ ٥،٦، والمراد: "نعبدك أنت ونستعين بك أنت"، فلما أُضمر المخاطب وأُقيم مقامه "إيا" وهى ضمير نصب يتقدم الكلام؛ وجب اتصاله بـ"كاف الخطاب" العائدة إلى المخاطب[١].

١٠- ما ينوب عن المصدر للدلالة على المفعول المطلق: ذكر جمهور النحاة[٢] عناصر لغوية كثيرة تنوب عن المفعول المطلق معنىً ولفظًا فتعرب إعرابه، وهى:

أ- "كل"، "بعض"، كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ النساء/ ١٢٩، "ضرب زيدًا بعض ضرب"، و"ضربت أى ضرب"، والمعنى: ضربته الضرب بعضه أو إياه.

ب- ضمير المصدر، نحو:

هذا سُرَاقَةُ لِلقُرآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَى إِنْ تَلْقَهُ ذِئْبُ[٣]

أى يدرس الدرس عن سراقة.

جـ- اسم نوع الفعل، نحو: "رجع القهقرى".

د- اسم الهيئة، نحو: "يموت الكافر موتة سوء".

هـ- اسم العدد، نحو: "ضربت عشرين ضربة".

و- اسم الإشارة، نحو: "ضربت هندًا ذاك"، تريد: ذاك الضرب.

ز- اسم وقت، نحو قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدَا وبِتَّ كما باتَ السَّليمُ مُسهَّدا

أى اغتماض ليلة أرمد[٤]

---

[١] ابن هشام، أوضح المسالك، ٤ / ٧٧.

[٢] الأشمونى، حاشية الصبان، ٢ / ١٠٩.

[٣] البغدادى، خزانة الأدب، ط بولاق، ١٢٩٩هـ، ١ / ٢٧٧، ٢ / ٣٨٣.

[٤] ابن هشام، مغنى اللبيب، ٢/٦٢٤.

ح- وصف المصدر، نحو: "واذكر ربك كثيرًا"، أى: ذكرًا كثيرًا، ومذهب سيبويه انتصاب مثل "كثيرًا" على الحال.

ط- "ما" الاستفهامية، نحو: "ما تضرب زيدًا" أى" ضرب، و"ما" الشرطية نحو: "ما تضرب هندًا"، أى: اضرب مثله، أى: "أىَّ ضرب تضرب هندًا".

ى- اسم آلة، نحو: "ضربت هندًا سوطًا ورشقته سهمًا"[1].

١١- **قد تنوب المصادر النكرة عن الحال سماعًا عند أكثر النحاة**، يقول "سيبويه": «هذا باب ما ينتصب من المصادر؛ لأنه حال وقع فيه الأمر فانتصب، لأنه موقوع فيه الأمر، وذلك قولك: "قتلته صبرًا"، "لقيته فجأة ومفاجأة"، و"كفاحًا، ومكافحة"، "لقيته عِيانًا"، "كلّمته مشافهةً"، "أتيته ركضًا، وعدوًا، ومشيًا"، "أخذت ذلك عنه سَمْعًا وسماعًا"»[2].

ووضع المصدر فى هذه المواضع إنما هو للمبالغة، فقولنا: "ركضًا" أو "مَشْيًا" أو "جريًا"، فيه من المبالغة ما ليس فى أسماء الفاعلية التى تؤدى نفس المعانى.

وكذلك قد تنوب المصادر المعرفة عن بعض المشتقات، كما فى قول العرب: "أرسلها العراك"، و"جاء وحده"، وهو قليل[3]، فمنهم من يُؤوِّلها على: "أرسلها معتركين"، "جاء منفردًا"، وآخرون يقدرون حالاً محذوفة، وهذا المصدر عامله. والتقدير: "أرسلها تعترك العراك"[4] وكان حق هذه الكلمات أن تأتى نكرة، إلا أنها نابت عن الأسماء النكرة المنصوبة على الحالية.

---

[1] أبو حيان التوحيدى، ارتشاف الضرب، ٢ / ٢٠٤، ٢٠٥.

[2] سيبويه، الكتاب، ١ / ٣٧٠، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ٢ / ٤٢٣.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك، ٢ / ٣٠٥.

[4] ابن السراج، الأصول فى النحو، ١ / ١٦٤، ١٦٥.

١٢- قد تنوب الصفة عن الموصوف، وذلك إذا فُهم من سياق الكلام، أو كان معروفًا حتى يجوز حذفه، فإذا أُبهِم قُبح ذلك، ومنه قول "الأعشى" :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا[١]

فحذف المضافَ إلى "ليلة"، والمضاف إليه "ليلة" وأقام "صفته" مقامه، أى: "اغتماض ليلة رجل أرمد"[٢] .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ سبأ/ ١٠، ١١، أى: "اعمل دروعًا سابغاتٍ"، فحذف المنعوت للعلم به، مع أن النعت لا يختص بالمنعوت، ولكن تقدُّم ذكر الحديد أشعرَ به[٣] .

١٣- إنابة المستثنى عن المستثنى منه : ذهب جمهور النحاة إلى أن المستثنى المفرغ يكون فيه ما قبل الأداة محتاجًا إلى ما بعدها، ولما كان المستثنى منه محذوفًا، ناب المستثنى عنه وحلَّ محلَّه، نحو: "ما جاء إلا زيد"، فتقدير الكلام: "ما جاء أحد إلا زيد"، فحُذف "أحد" وناب "زيد" منابه[٤] ؛ وذلك لأن الاستثناء تخصيص للعموم، فلما حُذِف الفاعل والفعل مُحْتاجٌ إليه لزم انشغاله بما ينوب عن الفاعل وهو المستثنى.

ب- الإنابة فى الصيغ الصرفية :

١- نيابة "أفعل" عن صفة المصدر، نحو: "سرت أحسن السير"، والمراد: "سرت سيرًا أحسن السير"[٥] ، فَحُذِف المصدر وناب عنه صفته التى هى "أفعل"، وهى صفة تدل على موصوفها وتختص به، و من ثَمَّ أجازوا الإنابة

---

[١] ابن هشام، مغنى اللبيب، ٢ / ٦٢٤.

[٢] السابق نفسه.

[٣] الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ٢ / ١١٨.

[٤] ابن الحاجب، الأمالى النحوية، ٤/ ٦٧، ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ٨٦.

[٥] ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٢٨٨.

بينها وبين موصوفها، ولا يجوز فى غير المختصة.

٢- قد تنوب صيغة "اسم الفاعل" عن "اسم المفعول"، كما فى قوله تعالى:
﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق/ ٦، أى: "مدفوق"، وقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ هود/ ٤٣، أى: "معصوم"، وكذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ العنكبوت/ ٦٧، أى: "مأمونًا فيه"، وقد يرد العكس من إنابة "اسم المفعول" عن "الفاعل" كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ مريم/ ٦١، أى "آتيًا"، وقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ الإسراء/ ٤٥، أى: "ساترًا"(١).

٣- إنابة "فعيل" عن "مفعول" : قد تنوب صيغة "فعيل" عن "مفعول" كثيرًا فى اللغة، وهو مَقيس عند بعض النحاة فى كل فعل لا يأتى منه "فعيل" بمعنى "فاعل"، مثل: "دهين" بمعنى "مدهون"، "كحيل" عن "مكحول"، "جريح" عن "مجروح"، "طريح" عن "مطروح"(٢).

واختُلف بين النحاة فى سماعيته أو قياسيته، فـ"ابن عقيل" يُقرُّ بالقياس(٣)، و"ابن هشام" يُقِرُّ بسماعيته فى كل فعل لا يأتى منه فعيل بمعنى فاعل.

٤- إنابة اسم الفاعل عن الفعل بعد حذفه: فكثيرًا ما ترد مشتقات على صيغة اسم الفاعل مثل: العافية، العاقبة، وكذلك: "أقائمًا، قاعدًا، عائذًا"، بمنزلة: "أقيامًا، أقعودًا، عياذًا"(٤)، وإن كان "ابن الحاجب" قد صرح بهذه الإنابة

---

(١) السيوطى، معترك الأقران فى إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١ / ١٩٣.

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك، ٣ / ٢٤٤، د. زين الخويسكى، ظاهرة الاستغناء، ص٢٢٢.

(٣) ابن عقيل، شرح الألفية، ٢ / ١٣٨.

(٤) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجى، ٢ / ٤٢٢.

فى مثل: "أقائمًا وقد قعد الناس"، فقد نابت مناب "أتقوم"، فيجب أن يكون مصدرًا[1].

وقد يكون اسم الفاعل أيضًا عن الفعل بعد استبداله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ النحل/ ٦٩، فـ"ابن هشام" ذكر أن "ألوانه" فاعل للمشتق "مختلف"؛ وذلك لأنه ناب عن فعله لكون أصل العمل للأفعال، وتقدير الكلام: "صنف يختلف ألوانه" فلما حُذِف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه عملت الرفع فى الفاعل؛ لأنها قامت مقام الفعل[2].

والذى دعاهم إلى القول بإنابة اسم الفاعل عن الفعل سواءً أكان محذوفًا أم مستبدلاً هو أن أكثر النحاة ذكروا[3] أن اسم الفاعل ينوب عن الفعل لمضارعته له وشدة شبهه به؛ إذ يمكن أن يقوم بعمله، ويحل محله، ويأخذ حكمه فى كثير من الحالات.

جـ- الإنابة فى صيغ الأفعال

من المعروف أن النحاة القدماء اهتموا بـ"الفعل" اهتمامًا كبيرًا؛ وذلك لكونه أهم عناصر الجملة، أو كما يقال، هو المحرك الفعال فى الجملة الفعلية، وخصُّوا كل زمن بصيغة أو مثال خاص بأبنية الفعل، فجعلوا "فَعَلَ" للماضى دون قيد أو شرط، و"يَفْعَلُ" للحال والاستقبال، و "افْعَلْ" للاستقبال، هذا على مذهب البصريين، على حين رأينا الكوفيين يقسِّمون الفعل إلى ماضٍ ومستقبل ودائم.

إلا أن الاستعمال اللغوى قد خرج عن هذه المعايير، فرأينا الماضى قد يدل على الحال أو الاستقبال، وكذلك المضارع قد ينصرف إلى المضىّ تارة،

---

[1] ابن الحاجب، الأمالى النحوية، ٢ / ١٤١.

[2] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص٢٠٥.

[3] السيوطى، همع الهوامع، ١ / ٩٤.

ويتعيَّن للاستقبال تارة أخرى، وصيغة "فاعِل" لا تدل على زمان دائم بشكل مطلق؛ لأنه قد يكون في الماضي كما قد يكون في المستقبل[1]. ومن ثم سنحاول أن نعرض بعض أمثلة الفعل وإنابة صيغها عن صيغ أخرى، وذلك من خلال السياق اللغوي.

أوّلا: الإنابة في صيغ الماضي :

١- قد ينصرف الفعل الماضي عن دلالة المضي إلى الاستقبال إذا كان دالاً على حدث كان وقوعه أمرًا محققًا كأنه وقع مُسبقًا، ويكثر ذلك في الوعد والوعيد والمعاهدات، نحو قول "جعفر بن يحيى":

«...قد كَثُر شاكُوك وقلَّ شاكروك، فإمّا اعتدلت وإمّا اعتزلت»[2].

٢- قد ينصرف الماضي إلى الحال إذا دلّ على الإنشاء كما في "بِعْتُ"، "اشتريتُ"[3] و"زَوَّجْتُكَ"، وكذلك عبارات القسَم، نحو: "نشدتُكَ الله"، "عزمتُ عليك إلا فعلت كذا وكذا"[4].

٣- قد ينصرف الماضي إلى المستقبل، وذلك في الإنشاء الطلبي، كـ"الدعاء"، نحو: "رحمك الله"، "رحمه الله" و"لارضي عنه"، "غفر الله لك". وإمّا "أمرًا"، كقول "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه: «أجزأ امْرُؤٌ قرنه آسى أخاه بنفسه، أي: ليكن وليواسي»[5].

٤- وقد ينصرف إلى المستقبل، وذلك بالإخبار عن الأمور المستقبلية مع

---

[1] د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص ٤٤-٤٥ بتصرف.

[2] المهدي للمخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، صيدا، المكتبة العصرية، ط١/ ١٩٦٤، ص ١٢٣.

[3] الرضي، شرح الكافية، بيروت، دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ-١٩٥٠م، تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ١ / ٢٢٥.

[4] د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، ص٥٥، ٥٦ بتصرف.

[5] الرضي، شرح الكافية، ٢ / ٢٢٥.

قصد القطع بوقوعها، كما فى قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الزمر/٧٣، والعلة هنا أنه من حيث إرادة المتكلم لوقوع الفعل قطعًا كأنه وقع ومَضَى، ثم هو يخبر عنه[1] . ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ النمل/ ٨٧[2] .

٥- **وقد ينصرف إلى المستقبل، إذا كان منفيًا بـ"لا" أو "إنْ" فى جواب القَسَم**، نحو: "والله لا فعل وإنْ فعلت"، ولا يلزم تكرار "لا" كما يلزم فى الماضى الباقى على معناه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ﴾ فاطر/ ٤١[3] ، أى "ما يمسكهما".

٦- **وينصرف أيضًا إلى المستقبل بدخول "إنْ" الشرطية وما يتضمن معناها**، وبدخول "ما" النائبة عن الظرف المضاف، نحو: "ما ذَرَّ شارق"، و"ما دامت السموات"؛ لتضمنها معنى "إن"، أى "إنْ دامت قليلاً أو كثيرًا"[4] .

٧- **وقد ينصرف الماضى إلى المستقبل، وذلك بعد "حيث"**، كما فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة/ ١٥٠.

٨- **يتعين الماضى للاستقبال، وذلك بعد "إذا" الشرطية**، وهى ظرف لما يستقبل من الزمان منصوبًا بجوابه خافضًا لشرطه، ومُضَمَّنَةً معنى الشرط،

---

(١) الرضى شرح الكافية، ٢ / ٢٢٥.

(٢) عصام نور الدين، الفعل والزمن، ص٥٧.

(٣) الرضى، شرح الكافية، ٢ / ٢٢٥.

(٤) السابق نفسه، ٢ / ٢٢٥.

نحو: "إذا جئتني أكرمتك"[1] .

٩- يرى بعض النحاة أن صيغة "فَعَلَ" قد تفيد توقع حدوث الشيء لمن ينتظره، وذلك بعد "قد"، ومنه قول المؤذِّن: "قد قامت الصلاة"؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك[2] .

وقال بعضهم: تقول: "قد ركب الأمير" لمن ينتظر ركوبه، وفي التنزيل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المجادلة/ ١[3] .

١٠- قد يستعمل الماضي للدلالة على الحال لقربه منه، وذلك بعد "قد" ظاهرة، كما في قول العرب: "قد قام زيد"[4] . ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ البقرة/ ٢٤٦.

أو مقدَّرة، نحو قوله تعالى: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ يوسف/ ٦٥.

وهذا مذهب أكثر البصريين وبعض المتأخرين[5] .

١١- قد يأتي الماضي مسبوقًا بفعل الكون المضارع؛ فيدل حينئذ على المستقبل الواقع في زمان ماضٍ، نحو: "ما ذاك من شيء أكون اجترحته"، وكقول المعرِّبين في هذا العصر مثلاً: "وأقرَّ اللصُّ أن يكون سرق أثاث الدار"[6] .

---

[1] إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص٢٩.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، ١ / ١٧١، سيبويه، الكتاب، ٣ / ١١٥.

[3] د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، ص٦٣.

[4] ابن هشام، مغني اللبيب، ١ / ١٧٢.

[5] د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، ص٦٤.

[6] السابق نفسه، ص٧٠، إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص٣٠.

١٢- إنابة الماضى عن المستقبل، كما فى قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل/ ١، يقول "ابن الأنبارى" معلقًا على هذه الآية: «"أتى" بمعنى "يأتى"، أقام الماضى مقام المستقبل؛ لتحقيق إثبات الأمر وصدقه»[1].

ومنه قول العرب: "إن قُمت قُمنا"، فعبَّر عن المضارع المشكوك فى وقوعه بالماضى المقطوع بِكَوْنِه[2].

١٣- إنابة المستقبل عن الماضي: كثيرًا ما تقيم العرب المضارع الدال على المستقبل مقام الماضى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ البقرة/ ١٠٢، والمعنى: "ما تَلَتْ"[3].

ويعلل "ابن هشام"[4] هذه الإنابة بقوله:

«إنهم يعبرون عن الماضى والآتى كما يعبرون عن الشىء الحاضر، قصدًا لإحضاره فى الذهن، حتى كأنه مشاهَدٌ حال الإخبار، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ النحل/١٢٤، لأن "لام" الابتداء للحال، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران/٥٩، أى: "فكان"».

ثانيًا : الإنابة فى صيغ المضارع :

١- قد يفيد فعل الحال "المضارع" معنى الطلب، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ البقرة/ ٢٣٣، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة/٢٢٨، "يتربصن" خبر فى

---

(1) ابن الأنبارى، البيان فى غريب إعراب القرآن، ٢ / ٧٤.

(2) ابن جنى، الخصائص، ٣ / ١٠٥.

(3) ابن الأنبارى، البيان فى غريب إعراب القرآن، ٢ / ٧٥.

(4) ابن هشام، مغنى اللبيب، ص٩٠٦.

معنى الأمر، وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله. ونحوه قولهم فى الدعاء: "رحمك الله" أخرج فى صورة الخبر ثقة فى الاستجابة، فكأنما وُجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد، ولو قيل: ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة[1].

وقد يدل الأمر على الخبر كما فى قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ مريم/ ٧٥، أى: "مد له الرحمن" يعنى "أمهله وأملى له فى العمر"، فأُخرج على لفظ الأمر إيذانًا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال[2].

وقد ينوب المضارع مناب الطلب أيضًا، وذلك فى الدعاء، كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة/ ٢٨٦.

ومنه قول الشاعر:

يَقُولونَ لاَ تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِى ... وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيَا[3]

٢- ينوب "المضارع" مناب "الأمر"، وذلك فى الحث والتحضيض، كما فى قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النمل/ ٤٦، وقوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الحجر/ ٧٠.

ويلاحظ أن "لولا" للتحضيض والعرض، ومختصة بالمضارع، أو ما فى تأويله، والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحَثٍّ وإزعاج، والعرض طلب بلينٍ وتأدُّب[4].

---

(1) الزمخشرى، الكشاف، ١ / ٢٧٠.

(2) السابق نفسه، ٣ / ٣٧.

(3) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٢٤٧.

(4) السابق نفسه، ١ / ٢٧٤.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ النور/ ٢٢[(١)] .

٣- وكذلك فى الترجّى، كما فى قوله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ غافر/ ٣٦[(٢)] .

٤- قد يدل المضارع على الماضى معنىً لا لفظًا، وذلك إذا اقترن بـ"إذ" التى تكون اسمًا للزمان الماضى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ البقرة/ ١٢٧، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الأنفال/ ٣٠[(٣)] .

٥- ينوب المضارع مناب الماضى إذا اقترن بالظرف الدال على المضى، كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة/ ٩١، وقد علّق "الفراء" على هذه الآية بقوله: «ألا ترى أنك تُعنّف الرجل بما سلف من فعله فتقول: ويحك لِمَ تكذِب؟ لِمَ تُبغّض نفْسَكَ إلى الناس؟»[(٤)] .

٥- كذلك قد يدل المضارع على الماضى معنىً، وذلك إذا جاء خبرًا لـ"كان" الناقصة، نحو: "كان زيد يقوم"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الأنبياء/ ٩٠، ويُتوقع الحدث فى المضى باستعمال "كان" مخبرًا عنها بمضارع مقترن بتسويف نحو: "كان زيد سيقوم أمس"، أى: "كان متوقعًا منه القيام فيما مضى"[(٥)] .

---

(١) د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، ص٨٢.

(٢) ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ١٥٥.

(٣) السابق نفسه، ١ / ٨٤.

(٤) الفراء، معانى القرآن، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، د. ت.، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، ١ / ٦١.

(٥) ابن جنى، الخصائص، ٣ / ٣٣٢.

٦- وكذلك فى حكاية الرؤيا المنامية، يدل المضارع فيها على الماضى، كما فى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يوسف/ ٣٦، يعنى: فى المنام، وهى حكاية حال ماضية[١] .

ولا تقتصر الإنابة فى الأفعال على الصيغ الزمنية، وإنما قد تتعداها إلى صيغ غير فعليه، كإنابة الفعل عن المصدر:

ذهب بعض النحاة إلى جواز إنابة الفعل عن المصدر عند الإضافة إلى أسماء الزمان؛ لأن الأصل فيها أن تضاف إلى المصادر، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ المائدة/ ١١٩، والتقدير: "هذا يوم نفع الصادقين صدقهم"[٢] .

وإن كان هناك من يُقدِّر إضافة اسم الزمان إلى الجملة؛ لكون الفاعل مستترًا داخل الفعل[٣] .

ثالثًا : إنابة الجمل عن غيرها :

١- إنابة الجملة عن المفردات :

قد ذهب بعض النحاة إلى أن الفعل قد ينوب عن الاسم، كما فى قول العرب: "ما تكلم فلان إلا قال خيرًا"، وتقديره: "إلا قائلاً خيرًا"[٤] ، و"قال" هنا شملت ذكر العامل المستتر لكون الفاعل بمثابة الجزء من الفعل. ومنه قولهم: "كان زيد يقوم" أى: "قائمًا"، و"كان زيد قد انطلق" أى: "منطلقًا"[٥] .

---

[١] الزمخشرى، الكشاف، ٢ / ٤٦٨.

[٢] ابن الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ١/ ١٤١، م١٥.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ / ١٦.

[٤] ابن هشام، مغنى اللبيب، ٢ / ٦٠٩.

[٥] السيرافى، شرح كتاب سيبويه، ٢ / ٢٠٩.

٢- إنابة جملة الطلب عن جملة الشرط :

في نحو قولهم : "أَطِعْ اللهَ يغفرْ لك" وتقدير النحاة : "إنْ تُطِعْ اللهَ يغفرْ لك"، فَحُذِفَ الجازِم من الأداة والجملة الداخلة عليه، وأُقيمت جملة الطلب مكانها، وكذلك قولهم : "ائتنى اكرمك" والتقدير :"إن تأتنى أكرمك"[١] .

وكذلك قد تنوب جملة الطلب عن جملة جواب القسم في "الباء"، نحو: "بالله أخبرنى"، وقول "ابن هرمة" :

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهُ   هَذَا ابْنُ هرْمَةَ وَاقِفًا بِالبَابِ[٢]

٣- إنابة الجملة الإسمية عن الفعلية في جواب "لو" :

فمن المعروف أن حروف الشرط تجزم جملتين فعليتين، إلا أن الأسلوب القرآني قد تجوّز في جواب "لو" فجاء جملة اسمية ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتقوا لمثوبةٌ مِنْ عند اللهِ خيرٌ﴾ البقرة /١٠٣، فالكلام واقع في جواب "لو" و"مثوبة من عند الله خير" نابت مناب الجملة الفعلية في جواب "لو"[٣] .

٤- إنابة جواب القسَم عن جواب الشرط :

أجمع النحاة على أنه إذا ورد جواب واحد لشيئين مختلفين، فإنه يكون للسابق منهما، أما الثاني فيقدر جوابه محذوفًا دلَّ المذكورُ عليه، وهو ما ينطبق على الجمل التى تشتمل على قسَم وشرط معًا، نحو: "والله إن قام زيدُ ليقومَنَّ عمرو"[٤] ، فيُجعل "ليقومَنَّ" جوابًا للقسَم، ويُحذَف جواب الشرط، إلا إذا كان الفعل ماضيًا.

---

[١] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ٢ / ١٩٢. أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٢ / ٤١٩.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل، ٩ / ١٠١.

[٣] ابن هشام، مغنى اللبيب، ١ / ٣١٠.

[٤] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ١ / ٥٢٩.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الإسراء /٨٨. و"لا يأتون" جواب قسم مقدّر ينوب عن جواب "إنْ" وليس بجوابها، ولهذا قال: "لا يأتون" بإثبات النون[1].

رابعًا : أنماط مختلفة من الإنابة

١- **قد ينوب المفرد عن الجمع** : كما في قوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء/ ٦٩. والتقدير : "رفقاء" منصوبًا على التمييز[2].

٢- **إنابة الجمع عن الجمع** : قد ينوب جمع القلة عن جمع الكثرة، وذلك لإيجازه؛ لقِلّة حروفه عند إضافته إلى الأعداد، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة /٢٢٨، والمعنى: "ثلاثة أقراء"[3].

٣- **تنوب "الفتحة" عن "الكسرة" في جرّ الممنوع من الصرف**؛ وذلك لقرب الشبه بينهما، ولخفتها، في نحو: "سلمت على إسحاقَ وإبراهيمَ". ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ الفجر/١، ٢.

"وليال" عاطف ومعطوف وعلامة جرّه فتحةٌ مقدّرة على الياء المحذوفة، وإنما قُدِّرت الفتحة مع خفتها لنيابتها عن الكسرة، ونائب الثقيل ثقيل[4].

وتنوب الكسرة عن الفتحة في نصب جمع المؤنث السالم، في نحو: "رأيتُ الهِنْداتِ"، وإنما كانت الكسرة هنا من باب حمل الفرع على الأصل، لكون

---

(1) ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ١ / ٢١٠.

(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٢ / ٧٣.

(3) الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ٢ / ١٠٩٨.

(4) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢ / ٨٧٩.

جمع المذكر هو الأصل، وقد أخذ علامة واحدة في النصب والجرّ منه، فقيس عليه جمع المؤنث السالم، فكانت الفتحة علامته في النصب والجرّ[1] .

٤-إنابة الحروف عن الحركات في الإعراب: ذهب أكثر النحاة إلى أن الحروف تنوب عن الحركات في إعراب الأسماء السّتّة المعتلّة المضافة لغير ياء المتكلم، ومن هؤلاء: "ابن جني" و"ابن هشام"[2] ، وكذلك ذهب "الكوفيون" و"قطرب" و"بعض البصريين" إلى أنَّ الحروف "الألف" و"الياء" تنوب عن الضمَّة والفتحة والكسرة في إعراب المثنّى، لكونها حركات أصلية حُمِل عليها الفرعي من الحروف، كما أنَّ المثنّى فرعٌ على المفرد[3] .

وهو الحال نفسه في جمع المذكر السالم، إذ يعرب بالحروف نيابة عن الحركات[4] .

٥- ما ينوب عن الفتح في المبنيّات: وأما ما ينوب عن الفتح في المبنيات فهُما اثنان: "الياء" و"الكسرة" ويكون ذلك في اسم "لا"، فإن هذا الاسم يستحق البناء على "الياء" نيابة عن الفتح إن كان جمع مذكر سالم أو مثنى، نحو: "لاَ رَجُلَيْن، وَ لاَ قائِمِين"، وإن كان جمعًا مختومًا بألف وتاء زائدتين- أى جمع مؤنث- فيكون البناء فيه على الكسر نيابة عن الفتح، نحو: "مُسلماتٍ" فيقال: "لاَ مُسْلِمَاتٍ فى الدار"[5] .

وهكذا لاحظنا أن ظاهرة الإنابة من الظواهر العارضة لعلاقة التضام التركيبية، التى تستلزم شدة الارتباط بين العناصر اللغوية الأفقية داخل التركيب، كما لاحظنا شيوعها وفُشُوَّها فى أكثر كلم اللغة. ومن ثَمَّ سنحاول أن نرصُدَ

---

[1] ابن جنى، الخصائص، ١ / ١١١.

[2] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص٥٤.

[3] ابن الأنبارى، الإنصاف، ١ / ٣٣.

[4] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص٧٦.

[5] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص١١٨.

لها بعضَ الدواعي التي دعت إلى وجودها في اللغة، ومنها:

١- كون العربية لغةَ سليقةٍ وطبعٍ عند القدماء، أدى ذلك بهم إلى عدم الالتزام بقوانين بعينها، فجاءت لغتهم ثريَّةً غنيَّةً بمثل قولهم: جاءت هذه نيابةً عن تلك، أو معاقبةً لتلك، أو مستغنيةً عن هذه بتلك.

يقول "الجاحظ": «وكانوا أميين لايكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهرَ وأكثر، وهم عليه أقدر وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوحد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفُّظ، ويحتاجوا إلى تدارس[1].

٢- كان الاحتكاك بين لهجات العرب مصدرًا من مصادر الثراء اللغوى، ولاسيما للهجة قريش التي كانت تنتقى من لهجات العرب ما يروق أسماعها، ويلائم أذواقها من أفصح كلام العرب وأيسره بطريقة تلقائية يحكمها استقامة الفطرة اللغوية واستقامة اللسان، واتساع آفاق التعبير التي جاوزت حدود القبيلة ومطالبها الضرورية إلى حياة أكثر حدودًا وأوسع مطالبًا[2]؛ فكان لذلك ثمرته في ظهور أمثلة كثيرة للإنابة والتعاقب بين أسماء متعددة لمسمَّياتٍ متقاربة، إلى جانب ما صاحب ذلك من استغناء العرب بالأخف عن الأثقل.

٣- إن في ظاهرة الإنابة -حيث تنوب كلمة عن كلمتين أو أكثر، مظهرًا من مظاهر الإيجاز في اللسان العربي الذي يرفض الفضول، ويُؤثِر الإيجاز حتى إنه كان محور البلاغة عندهم.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط التجارية الكبرى، ١٩٦٨، ٣ / ٢٨.

(٢) د. زين كامل الخويسكي، ظاهرة الاستغناء، ص٢٣٢- ٢٣٣.

٤- باعتبارها واحدة من وسائل التنمية اللغوية، إذ يتيح لها الفرصة لتناول المعنى الواحد بأكثر من عبارة، مما يجعلها أكثر قدرة على التعبير عن المعانى والأشياء فى مواجهة ظروف متباينة[1] ، ومن ذلك إنابة "أنَّ" ومعموليها عن مفعولى "ظن"، مثل قولهم: "ظننت أنك مجتهد" أى: "ظننتك مجتهدًا" وكذلك أنابوا المصدر المؤول عن المصدر الصريح....إلخ.

٥- والإنابة تعطى أبعادًا جديدة لتنمية اللسان العربى فى البيان وقدرته على التعبير، فمن سمات اللسان العربى أن الصيغ فيه ليست قوالب جامدة، وأنه ينتقل من صيغة إلى أخرى، ويستخدم صيغته فيما تستعمل فيه صيغة أخرى، ومن ذلك استخدام صيغتى : الفاعل والحال مكان الخبر[2] .

٦- وللسان العربى أساليب تعبيرية فيها من الروعة والجمال ما يجعلها آية فى الفصاحة والبيان، منها ما ورد وقد حلَّ فيه المصدر محل الفعل، مما يجعلها فى حالة من الروعة والقدرة البيانية، والتى يمكن أن تفتقدها لو كان الفعل محل المصدر، هذا فضلاً عن أن العرب والنحاة قد لجأوا إلى هذه الظاهرة محافظةً على الصنعة النحوية واضطرادًا للقاعدة، فهى فكرة شاع القول بها عند النحاة.

وهكذا تناول البحث علاقة التضام مبينًا أنها إحدى العلاقات التركيبية الأفقية، ثم عرض لظاهرة التعاقب باعتبارها من ظواهر المحور التقليبى الرأسى الزمنى فى اللغة، وبما أن هذين المحورين متعامدان، فهما يحتلان عنصرين من عناصر المنظومة اللغوية.

---

[1] د. زين كامل الخويسكى، ظاهرة الاستغناء، ، ص١٣٣.

[2] السابق نفسه، نفس الصفحة.

نتائج البحث

١- تُعَدُّ علاقة التضام من أهم العلاقات التركيبية، وذلك لكونهـا المعيار الـذى يضبط الصحة النحوية المعتمدة على العلاقات المندرجة ضمن العلاقة المتمثلة فى الاختصاص، الافتقار، التنافى، التوارد، والتنافر.

٢-التضام هو الترابط الأفقى الطبيعى ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى فى السياق الطبيعى، أو هو دخول الكلمة فى سياق مقبـول مع الكلمات الأخرى.

٣- التضام إمـا "معجمى" وإما "نحوى" - أما "المعجمى" فَيُعْنَى بـه انتظـام مفردات المعجم فى طوائف، يتوارد بعضها مـع بعض، ويتنـافر مـع البعـض الآخر، فالأفعال طوائف تـوارد كـل طائفـة منهـا مـع طائفـة مـن الأسمـاء، وتتنافر مع الأسماء الأخرى، فلا يجوز أن يقال: "أخذ الحجـر العشـب"؛ لأن "الأخذ" يستلزم "آخذًا" عاقلاً يقوم بعملية الأخذ. ولما استحال ذلـك مـن الحجر، كانت هذه المفردات متنافرة غير متناسبة معجميًا؛ ومـن ثـم عـرض البحث بعض الشروط التى تضبط التضام المعجمى.

٤- أما "التضام النحوى" فهـو يمثـل العلاقـة التـى تنشـأ بـين العنصريـن "التابع والمتبوع" داخل المنظومة النحوية، وهو إما "إيجابًـا" وإمـا "سـلبًا" فالإيجاب يكون بشدة التلازم بين عنصرين لغويين ويسمى "تلازمًا" والنوع الآخر مـا يكون بالتنافى بين عنصرين لغويين، فيكون ذلك قرينـة سـلبية تنـدرج تحـت التضام النحوى.

٥- للتضام طريقتان إحداهما: تكون بطريقـة الذكـر، وفيهـا يكـون العنصـران المتلازمان مذكورَيْن فى نص الكلام، وهـو إمـا ذكـر "افتقـار" وفيـه يفتقـر العنصر الأول إلى العنصر الثانى افتقارًا تلازميًا، فلا يوجد بدونه، وإما ذكـر "اختصاص" وفيه يختص عنصر ما بعناصر أخرى معينة لا يتعداها إلى غيرهـا

كاختصاص "ال" و"الجر" بالأسماء، و"الجزم" بالأفعال. وثانيتهما: طريقة الحذف، وفيها يستدل بقرائن سبق الذكر، أو الاستلزام على العنصر غير المذكور فى النص اللغوى.

٦- من مظاهر التضام النحوى "الاختصاص" وهو من خصائص الحروف والأدوات، لأن الأداة إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره فتسمى "مختصة"؛ لكون الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة، مثل إن وأخواتها فى اختصاصها بالأسماء.

وهناك حروف أخرى لا تعمل، لعدم اختصاصها، فهى تدخل على الأسماء والأفعال، كحروف النفى، فإذا حدث أن دخل من الحروف المختصة على غير ما يختص به عُرِف من ذلك العنصر الذى استبدل به العنصر الذى دخل عليه الحرف المختص، ومن ذلك دخول "لما" على جواب القسم المتصدر باللام، كما فى قوله تعالى: ﴿لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ هود/ ١١١.

٧- والافتقار نوعان:

"افتقار متأصِّل" وآخر "غير متأصل". أما "الافتقار المتأصل" فهو افتقار العناصر التى لا يصح إفرادها فى الاستعمال، وإن صحَّ ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل. مثال ذلك: افتقار حرف الجر إلى المجرور، وحرف العطف إلى المعطوف.

وأما "الافتقار غير المتأصل" فهو ما يكون للباب النحوى بحسب تركيبه، وذلك كعلاقة المضاف بالمضاف إليه، كلفظة "يوم" التى تفتقر إلى الجملة بعدها من حيث كونها مضافة فى قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ المائدة/ ١١٩، على حين نجده لا يفتقر إلى الجملة فى موضع آخر نحو: "هذا يوم مبارك"، فالافتقار هنا بحسب الباب وليس بحسب الأصل.

٨- من مظاهر "التضام السلبى": "التنافى"، وهو وجود عنصر ما يتنافى مع ما يقابله فلا يجمع بينهما، ويمكن بواسطة هذه العلاقة استبعاد أحد العنصرين عند وجود الآخر. ومن ذلك ما جاء من أقوال النحاة مقترنًا بحرف نفى، كقولهم: «لا يجمع بين "ال" والإضافة المحضة»، وكذلك لا يجمع بين المضمر ونعته، ولا يضاف إليه.

٩- الفصل: من عوارض التضام النحوى: ويعنى به الفصل بين أجزاء الجملة المتلازمة أو المرتبطة برابط السياق، ويكون ذلك بعنصر من عناصر الجملة غير أجنبى عنها، وهو لا يكون إلا بالمفردات، ومن ثم عرض البحث الفصل "سعة" وهو ما يكون بين التابع والمتبوع، والمميِّز والمميَّز، والمضاف والمضاف إليه...إلخ.

والفصل "ضرورة" وهو ما يكون فى الضرورة الشعرية، ثم بيَّن البحث أنماطًا مختلفة من التراكيب التى لم يجز النحاةُ الفصلَ فيها.

١٠- الاعتراض: من عوارض التضام النحوى: ويُعنى به أن يُعترض مجرى النمط التركيبى بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالاً لا يتحقق به مطالب التضام النحوى فيما بينها، ولا يكون ذلك إلا بالجمل التى تكون من خارج السياق، كجملة القسَم، أو الدعاء، أو الأمر...إلخ. وتَرِد هذه الجملة لإثبات خاطر طرأ على ذهن المتكلم فأراد توشية كلامه به.

* والاعتراض مفيد وغير مفيد، فالاعتراض المفيد يؤدى إلى إفادة معنى جديد مع توكيد المعنى الأصلى، أما الاعتراض غير المفيد فهو إما أن يكون دخوله كخروجه، وإما أن يؤدى إلى فساد المعنى وضعف التأليف.

١١- التعاقب هو التبادل والتداول بين حرفى الجر على معنى واحد لقرب الدلالة بينهما.

١٢- فصل البحث بين المصطلحات الثلاثة التى وردت فى معانٍ متقاربة وهى التعاقب والإنابة والإغناء؛ فجعل التعاقب للحروف، والإنابة للأسماء والإغناء للأفعال.

١٣- القول بالتعاقب يؤدى إلى ثراء اللغة ونموها حيث يتأتى للمعنى الواحد أكثر من كلمة دالة عليه.

١٤- حرص القدماء على فكرة الإنابة محافظة على الصنعة النحوية والتزامًا باطراد القاعدة.

١٥- يُعد إغناء الأفعال بعضها عن بعض فى الدلالة الزمنية ردًا على كثير من اللغويين المحدثين الذين يزعمون أن دلالة الزمن قاصرة فى الأفعال فى العربية.

١٦- أثبت البحث الصلة بين "التضام" فى كونه مظهرًا من مظاهر العلاقات التركيبية الأفقية التابعية، بينما يُعد التعاقب مظهرًا من مظاهر العلاقات التقليبية الرأسية الزمنية، و كلاهما من العلاقات النحوية داخل المنظومة اللغوية.

قائمة المصادر والمرجع

١- إبراهيم حسن عزام، الفعل الواصل وأسرار الموصول، مطبعة رمسيس، ١٩٣٥.

٢- د. إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

٣- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ط نهضة مصر، د.ت، تحقيق د. أحمد الحوفى و د. بدوى طبانة.

٤- الأنبارى، الإمام كمال الدين أبو بركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد (٥١٣-٥٧٧هـ) :

* الإنصاف فى مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥- البيان فى غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦- البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن ذربة البخارى الجعفى، صحيح البخارى، حاشية السندى، دار المعرفة، بيروت.

٧- البغدادى، خزانة الأدب، ط بولاق، ١٢٩٩هـ.

٨- د. تمام حسان، بحوث لغوية وأدبية، مطبعة أم القرى، ١٩٨٦م.

٩- * البيان فى روائع القرآن، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠- * اللغة العربية معناها ومبناها، ط دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

١١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط. التجارية الكبرى، ١٩٦٨م.

١٢- ابن جنى، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.
١٣- المنصف فى علم التصريف للمازنى، دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤.
١٤- د. حلمى خليل، العربية وعلم اللغة البنيوى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.
١٥- أبو حيان التوحيدى، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسى،
* ارتشاف الضرب من كلام العرب، تحقيق مصطفى النماس، رسالة دكتواة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٨٥.
١٦-* البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، وشارك فى تحقيقه د. زكريا عبد المجيد النوني، د. أحمد النجولى الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧- خالد الأزهرى، الهمام خالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ط إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
١٨- الرضى، الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى (ت ٦٨٦هـ).
* شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، مطابع الشروق، بيروت، د. ت.
١٩- * شرح الكافية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م، تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن، د محمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد.
٢٠- الزمخشرى، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧-٥٣٨هـ)، الكشاف، الناشر دار الريان للتراث، دار الكتاب العربى، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٢١- د. زين كامل الخويسكى،

* ظاهرة الاستغناء، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.
٢٢-* مواضع اللبس عند النحاة والصرفيين، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.
٢٣- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادى (ت ٦١٣هـ) الأصول فى النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلى، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٤م.
٢٤- سيبويه، الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٧م.
٢٥- السيرافى، أبو محمد يوسف بن أبى سعيد السيرافى (ت ١٨٥هـ) شرح الكتاب لسيبويه، تحقيق د. رمضان عبد التواب، د. محمود فهمى حجازى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩١م.
٢٦- السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (٨٤٩-٩١١هـ).
* الأشباه والنظائر، مراجعة د. طه عبد الرءوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٧٥م.
٢٧- * معترك الأقران فى إعجاز القرآن، ضبط وتخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٨- * همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، د. ت.
٢٩- الصبان، محمد بن على الصبان، حاشيته على شرح الأشمونى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
٣٠- الطبرى، جامع البيان فى تأويل آى القرآن، دار المعارف، ١٩٦٩م.
٣١- د. عبد الأمير أمين الورد، منهج الأخفش الأوسط النحوى، بيروت ١٩٧٥م.

٣٢- د. عبد الله سليمان هنداوى، لطائف المعانى فى ضوء النظم القرآنى، ط١، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٣- عبد العزيز الموصلى، شرح ألفية بن معطى، تحقيق على موسى الشوملى مكتبة الخريجى، الرياض، ١٩٩٠م.

٣٤- د. عبده الراجحى، النحو العربى والدرس الحديث (بحث فى المنهج)، ط١، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

٣٥- د. عصام نور الدين، الفعل والزمن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٣٦- ابن عصفور الإشبيلى، شرح جمل الزجاجى، الشرح الكبير، تحقيق د. صاحب أبو جناح، الموصل، العراق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٧- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٢، دار مصر للطباعة والنشر، توزيع دار التراث الفكرى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٨- الفراء، أبو زكريا عبد الله، معانى القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار، ج ٣، مطبعة دار السرور، بيروت - لبنان، د.ت.

٣٩- القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (ت٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، ط الشعب، ١٩٧٣م.

٤٠- القزوينى، الإيضاح، منشورات دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٥م.

٤١- المرادى، الحسن بن القاسم المرادى، الجنى الدانى فى شرح حروف المعانى، تحقيق د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٢- المالقى، رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، ط دمشق، ١٩٧٥م.

٤٣- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٢م.

٤٤- د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، مطبعة المدينة، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٥- مصطفى شعبان، الإنابة في الدرس النحوي عند ابن هشام، بحث ماجستير، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٤٦- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠-٧١١هـ) لسان العرب، ط دار المعارف، د. ت.

٤٧- د. المهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٦٤م.

٤٨- د. نادية رمضان النجار، علاقة الفعل بحرف الجر - دراسة دلالية في أساس البلاغة للزمخشري، ط١، الدار المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٤٩- ابن هشام، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، بيروت.

٥٠- * شرح شذور الذهب، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنصار، ط١٥، ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥١-* مغني اللبيب، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني القاهرة، د.ت.

٥٢- أبو هلال العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، ط١، الآستانة العليا، ١٣١٩هـ.

٥٣- ابن يعيش (الموفق يعيش بن يعيش)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

حذف تاء التأنيث الساكنة فى القرآن الكريم

دراسة نحوية دلالية

د/ حسن محمد عبد المقصود

كلية التربية - جامعة عين شمس

مُقدِّمة

موضوع هذه الدراسة : حذف تاء التأنيث الساكنة في القرآن الكريم : دراسة نحوية دلالية ويقصد بها دراسة الأفعال الماضية التى لم تلحقها تاء التأنيث مع أنها مسندة إلى مؤنث مجازى أو حقيقي مفصول بينه وبين فعله ، ومحاولة توضيح دلالة هذه المخالفة

مشكلة البحث:تتمثل مشكلة هذا البحث في أنه إذا كان يجوز للمبدع أن يعبر مستخدماً الفعل الماضي ملحقة به تاء التأنيث أو محذوفة منه فلماذا يلجأ إلى إثباتها في مواضع ، وحذفها في الأخرى ؟ وإذا كان الأصل هو إثبات هذه التاء ؛ لأن الفاعل مؤنث فلماذا يحذفها ؟ مع مراعاة أن النص لا يهدف إلى الإبلاغ وحده بل يهدف إلى التأثير مع الإبلاغ

الهدف من هذه الدراسة :

١-بيان دلالة حذف تاء التأنيث الساكنة .

٢-دراسة السياقات اللغوية التى جاءت فيها الأفعال الماضية خالية من التاء مع إسنادها إلى مؤنث .

٣- بيان العلاقة بين النحو والدلالة في ضوء دراسة حذف تاء التأنيث الساكنة في القرآن الكريم .

منهج البحث : سار البحث في خطوات هي :

- تجميع الآيات التى وردت مشتملة على أفعال ماضية أسندت إلى مؤنث حقيقى مفصول بينه وبين فعله ، أو أسندت إلى مؤنث مجازى
- تصنيف هذه الأفعال في مجالات دلالية ضم كل مجال عددا من الأفعال .
- دراسة هذه الظاهرة في ضوء كتب النحو واللغة وكتب التفسير وكتب إعراب القرآن ومعانيه

خطة البحث : اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم قسمين :

أولاً : الإطار النظرى وتم فيه ، استعراض آراء النحاة ومناقشتها .

ثانياً : المجالات الدلالية لحذف تاء التأنيث الساكنة وتم فيه دراسة الأفعال المسندة إلى مؤنث مع خلوها من التاء الساكنة وصنفت في عشرة مجالات دلالية

ثم جاءت الخاتمة وفيها دونت نتائج البحث

أولاً : الإطار النظري

التاء الساكنة تلحق آخر الفعل الماضى للدلالة على أن (المسند إليه) في الجملة المحتوية على هذا الفعل مؤنث . يقول الدكتور إبراهيم بركات : " يلحق بالفعل الماضى تاء ساكنه تدل على ما أسند اليه من مؤنث غائب ، ولا يحدث تغير في الفعل إلا إذا كان معتل الآخر فعلى حد قول النحاة : يلتقى ساكنان ، فيحذف أحدهما ، ولما كان العرب حريصين على الأداء المعنوى في المقام الأول ، فإنهم يحذفون نهاية الفعل وهو حرف العلة المتمثل في الحركة الطويلة حيث تتحول إلى حركتها القصيرة ، وهذا هو التغير الصوتى الذي يحدث للفعل الماضى المنتهى بحركة طويلة ، إذا أسند إلى مؤنث غائب فألحقته تاء التأنيث ."[1]

وهذه التاء قد تحذف ، وذلك إذا كان المسند إليه مؤنثا مجازيا أو مؤنثا حقيقيا فصل بينه وبين فعله ، وقد علل النحاة هذا الحذف تعليلا تناقله بعضهم عن بعض . والعلة التى ذكرها سيبويه والنحاة من بعده لوجود التاء وحذفها تحتاج إلى إعادة نظر يقول سيبويه: " وإنما حذفوا التاء ، لأنهم صار عندهم إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء ، كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف .

وهذا [2] في الواحد من الحيوان قليل ، وهو في الموات كثير ، فرقوا بين الموات والحيوان ، كما فرقوا بين الآدميين وغيرهم تقول هم

---

[1] التأنيث في اللغة العربية٢٦٣

[2] أى الحذف

ذاهبون ، وهم في الدار ، ولا تقول: جمالك ذاهبون ولا تقول هم في الدار ، وأنت تعنى الجمال ،وكذلك تقول:هى وهن ذاهبة وذاهبات." (١)

فعلة الحذف عندهم إظهار المؤنث فهو بذاته دال على التأنيث فلسنا بحاجة إلى وجود التاء ، ولكن هذا الدال على التأنيث يقل حذف التاء معه إذا كان حيوانا ، ويكثر في الجماد (الموات) ، والمنطق يقتضي غير ذلك ، إذ إن دلالة الحيوان المؤنث على التأنيث دلالة قاطعة ، في أغلب أحواله ، بينما دلالة الجماد عليه ليست قاطعة في أغلب الأحوال.

وقد جعل النحاة وجود الفاصل بين الفعل والفاعل قائما مقام التاء فكلما طال الفصل بين الفعل والفاعل كان حذف التاء أفضل يقول سيبويه : " وقال بعض العرب : قال فلانة وكلما طال الكلام فهو أحسن، نحو قولك : حضر القاضى امرأة ، لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل ، وكأنه شيء يصير بدلا من شيء ...." (٢)

وإذا كانت العلة في حذف التاء أن إظهار المؤنث يكفي فلست بحاجة إلى وجود هذه التاء ، وكان المؤنث قريبا من الفعل كان الأمر مقبولا ، فإذا فصل الفعل عن الفاعل لم يعد الأمر مقبولا ذلك أننا لم نعرف بمجرد نطق الفعل أن الفاعل مؤنث على عكس وجود التاء .

وذكر المبرد أن المؤنث الحقيقى لابد من تأنيث الفعل له ،وأما المجازى فيجوز تذكير الفعل له وتأنيثه ، قال :" فأما ضرب جاريتُك زيدا وجاء أمتك ،وقام هند فغير جائز ،لأن تأنيث هذا تأنيث حقيقي ،ولو كان من غير الحيوان لصلح وكان جيدا ،نحو هدم دارك ،وعمر بلدتك ؛

(١) الكتاب ٣٨/٢ ، ٣٩

(٢) الكتاب ٣٨/٢

لأنه تأنيث لفظ لاحقيقة تحته كما قال عز وجل :﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ وقال : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [1]

ويجيز المبرد حذف علامة التأنيث من الفعل المسند إلى مؤنث حقيقي مفصول بينهما على بعد ،ويجعل ذلك من ضرورة الشعر قال :"وأما :

لقد ولد الأخيطل أم سوء

....

فإنما جاز في الضرورة من الشعر جوازا حسنا ،ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزا على بعد ،وجوازه للتفرقة بين الاسم والفعل بكلام ،فتقديرهم أن ذلك الكلام صار عوضا عن علامة التأنيث، نحو :حضر القاضي اليوم امرأة ،ونزل دارك ودار زيد جارية ،والوجه ما ذكرت لك." [2]

وكيف يكون جائزا على بعد وقد ورد في التنزيل ؟!

وابن السراج مثل النحاة قبله يلجأ للتأويل ،حيث يؤول المذكر إذا جاء في فعله التاء بأنه على معنى الجماعة ،ثم حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه ،ويؤول المؤنث الذي حذفت من فعله التاء بأنه على معنى التذكير حيث يتضمن معنى اسم مذكر يقول :"فإن قلت فقد أقول جاءت الرجال ، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وما أشبه ذلك ،فإنما تريد جاءت جماعة الرجال ،وكذبت جماعة قوم نوح ،كقوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ ﴾ إنما هو أهل القرية ،أهل العير فما كان من هذا فأنت في تأنيثه مخير ،ألا ترى إلى قول الله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ فهذا

---

[1] المقتضب ٢/١٤٤

[2] السابق ٢/١٤٥ ، ١٤٦

على لفظ الجنس ،وقال :﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ على معنى الجماعة ،وتقول هذه حصى كبيرة ،وحصى كثيرة ،وكذلك كل ما كان ما ليس بين جمعه وواحده إلا الهاء

قال الأعشى :

فإن تبصريني ولي لمة   فإن الحوادث أودى بها

لأن الحوادث جمع حدث ،والحدث مصدر ،والمصدر واحده وجمعه يئولان إلى معنى واحد ،وكذلك قول عامر بن حريم الطائي :

فلا مزنه ودقت ودقها   ولا أرض أبقل إبقالها

لأن أرضا ومكانا سواء ،ولو قال على هذا :إن زينب قام لم يجز لأن تأنيث هذا تأنيث حقيقي فمهما اعتوره من الاسم فخبرت عنه بذلك فإن الخبر عنه لا عن الاسم ."[1]

ويقول أيضا :"وكل ما أنث وتأنيثه غير حقيقي ،والحقيقي المؤنث فإن ألبس عليك فرده إلى التذكير فهو الأصل قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ لأن الوعظ والموعظة واحد ." [2]

واستمر النحاة يتناقلون هذا الرأي مبينين ما يجب وما يجوز ،وما يمتنع، يقول الزمخشري :"والحقيقي أقوى ،ولذلك امتنع في حال السعة :جاء هند ،وجاز طلع الشمس وإن كان المختار طلعت ،فإن وقع فصل استجيز نحو قولهم حضر القاضي اليوم امرأة قال جرير :

لقد ولد الاخطيل أم سوء   ....

---

[1] الأصول ٢/٤١٢ : ٤١٤

[2] السابق ٢/٤١٥

وليس بالواسع ، وقد رده المبرد ، واستحسن نحو قوله تعال : ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾ ، وقوله : ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة﴾ . [١]

والأمر عند ابن يعيش لا يختلف عن غيره إلا فى التفصيل الذى ذكره فى أنواع الفاصل بين الفعل وفاعله حيث يقول : " فإن فصل بينهما فاصل من مفعول أو ظرف أو جار ومجرور جاز سقوط علم التأنيث نحو قولهم : حضر القاضي اليوم امرأة ، لما فصل بالظرف والمفعول حسن ترك العلامة ، لأن الفاصل سد مسد علم التأنيث مع الاعتماد على دلالة الفاعل على التأنيث ، فأما قول جرير :

لقد ولد الأخيطل أم سوء   على باب استها صلب وشام

الشاهد فيه إسقاط علم التأنيث من الفعل مع كون تأنيث الفاعل حقيقا لوجود الفصل بالمفعول ." [٢]

ويقول الجعبرى : " فإن كان الفاعل اسما ظاهرا حقيقى التأنيث غير مفصول عن عامله بفاصل وجب تأنيث الفعل له مثل : جاءت هند، فإن كان مفصولا عنه بفاصل مثل جاءت اليوم هند جاز الوجهان تأنيث الفعل معه وجاز تذكيره ولكن التأنيث أفضل ويحسن تذكير الفعل معه إن طال الفصل مثل:جاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة." [٣]

---

(١) المفصل ١٩٨

(٢) شرح المفصل ٩٢/٥ ، ٩٣

(٣) تدميث التذكير ٩٥

وابن هشام في المغنى لم يشر إلى حذف التاء الساكنة مواضعه ودلالته ، إنما ذكر أنها تأتي للتأنيث حيث قال : " والتاء الساكنة في أواخر الأفعال حرف وضع علامة للتأنيث كقامت ."(١)

ولعل ابن هشام وابن عقيل في شرحيهما على ألفية ابن مالك هما أكثر من تحدث عن مواضع حذف التاء وإثباتها ، وكان حديثهما في إطار النظرية النحوية من وجوب وجواز وأرجحية (٢) لكن أحدا منهما لم يشر إلى دلالة حذف التاء أو إثباتها ، يقول ابن هشام : " ويجوز تركها في الشعر إن كان التأنيث مجازيا كقوله :

ولا أرض أبقل إبقالها

وقوله :

فإن الحوادث أودى بها

والثانية : أن يكون متصلا حقيقي التأنيث نحو: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ وشذ قول بعضهم قال فلانة ، وهو رديء لا ينقاس

وإنما جاز في الفصيح نحو: نعم المرأة ، وبئس المرأة ، لأن المراد الجنس وسيأتي أن الجنس يجوز فيه ذلك .

ويجوز الوجهان في مسألتين إحداهما المنفصل كقوله :

لقد ولد الأخيطل أم سوء

---

(١) المغنى ١١٦

(٢) انظر أوضح المسالك الجزء الثاني ص ص ١٠٨ : ١١٩ ، وشرح ابن عقيل الجزء الأول ص ص ٢٢٩ : ٢٣١

وقولهم : حضر القاضي اليوم امرأة ، والتأنيث أكثر ، إلا إن كان الفاصل إلا ، فالتأنيث خاص بالشعر ، نص عليه الأخفش ، وأنشد على التأنيث :

ما برئت من ريبة وذم   في حربنا إلا بنات العم

وجوزه ابن مالك في النثر ." [١]

ويقول ابن عقيل : " إذا فصل بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقي بغير إلا جاز إثبات التاء وحذفها والأجود الإثبات فتقول أتى القاضي بنت الواقف ، والأجود أتت ، وتقول قام اليوم هند ، والأجود قامت ." [٢]

وابن عقيل هنا يحكم بأن إثبات التاء مع الفصل هو الأجود ، وكنا نود من عالم كبير مثله أن يمحص حكمه قبل أن يلقيه ، فماذا يقول في قول المولى عز وجل :

﴿**إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ [٣] ، وقوله : ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ**﴾ إن إطلاق لفظ الأجود والأحسن في مثل هذا الموقف أمر بالغ الخطورة .وكان ينبغي على النحويين أن يبحثوا عن علة حقيقية تكمن وراء حذف التاء في مثل هذه الصورة التعبيرية .

ويقول السيوطي : " ولحوقها لآخر الماضي إذا أسند لمؤنث دلالة على تأنيث فاعله وجوبا إن كان ضميرا مطلقا أي لحقيقي أو مجازي،

---

[١] أوضح المسالك ١٠٨/٢ : ١١٦

[٢] شرح ابن عقيل ٢٣٨/١

[٣] الممتحنة ١٠

نحو: هند قامت والشمس طلعت ، أو ظاهرا حقيقيا وهو ماله فرج من الحيوان نحو قامت هند ، وتركها مما ذكر ضرورة على الأصح[1]

والأشمونى يقول : " وقد يبيح الفصل بين الفعل وفاعله الظاهر الحقيقى التأنيث ترك التاء كما في نحو أتى القاضى بنت الواقف ، وقوله:

لقد ولد الأخيطل أم سوء

وقوله :

إن امرأ غره منكن واحدة بعدى وبعدك في الدنيا لمغرور

والأجود الإثبات ."[2]

ويأتى الصبان ليؤكد ما قاله الأشمونى وينقل رأى الدمامينى يقول: " قوله " والأجود الإثبات ، قيل بل واجب وفرض كلامه فيما إذا كان المسند إليه حقيقى التأنيث ، وهل الحكم كذلك إذا كان المسند إليه مجازى التأنيث أو الأجود الحذف ، نقل الدمامينى عنهم الثانى قال إظهارا لفضل الحقيقى على غيره ، ثم قال والذي يظهر لى خلاف ذلك فإن الكتاب العزيز قد كثر فيه الإتيان بالعلامة عند الإسناد إلى ظاهر غير حقيقى كثرة فاشية فقد وقع فيه من ذلك ماينيف على مائتى موضع، ووقع فيه مما تركت فيه العلامة في الصورة المذكورة نحو خمسين موضعا وأكثرية أحد الاستعمالين دليل أرجحيته فينبغى أن إثبات العلامة

---

(1) الهمع ٢/١٧٠-١٧١ .

(2) شرح الأشمونى ٥٢/٢

أحسن . ونازعه سم بأن كثرة الإثبات في القرآن يحتمل أن تكون لاقتضاء المقام إياها." [1]

والرأى القائل إن إثبات التاء يحتمل أن يكون لاقتضاء المقام إياها رأى له وجاهته، وهو ماتتبناه هذه الدراسة حيث تحاول الكشف عن السبب في حذف التاء اعتمادا على تحليل السياقات التى وردت فيها التاء محذوفة من الفعل المسند إلى مؤنث مجازى أو حقيقى مفصول ، وقد زاد عدد هذه الأفعال عن الخمسين التى ذكرها الدمامينى . ويبدو أن القضية في ذهن النحويين العرب لم تكن واضحة تمام الوضوح ، وكان تحكيم القاعدة المقررة سلفا هو الغالب ، ومن ثم لم يكن لديهم ما يدعو إلى محاولة تحليل ماجاء من أمثلة حذفت فيها التاء ، والكشف عن العلة وراء هذا الحذف .

إن حذف التاء مع الفاعل المؤنث حيوانا كان أو مواتا ، بفصل أو بغير فصل أمر يحتاج إلى تعليل جديد يختلف عن قول السابقين إذا أظهر المؤنث كفي عن ذكر التاء ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لكان إثبات التاء مع الفاعل المجازيِّ التأنيث أولى لعدم قطعية دلالته على التأنيث ، ولكان إثباتها والفاعل حقيقي التأنيث مع الفصل أولى ؛ لعدم معرفة نوع الفاعل بمجرد ذكر الفعل .

---

[1] حاشية الصبان ٢/٥٢

ثانياً : المجالات الدلالية لحذف تاء التأنيث الساكنة

تم جمع الأفعال الماضية التى أسندت إلى مؤنث وانطبق عليها أن فاعلها مؤنث مجازى ، أو حقيقى فصل عن فعله ، أى يجوز أن تلحقها التاء وألا تلحقها ، من القرآن الكريم ، فبلغ عدد الأفعال التى حذفت منها التاء ثلاثة وثمانين تم تصنيفها حسب الموضوعات التى وردت في سياقها ، وكان ناتج التصنيف عشرة مجالات هى :

١- التشريع
٢- المشقة وبذل الجهد
٣- التذكير بنعم الله
٤- مجيء الآيات البينات
٥- التحدي
٦- التهديد والزجر
٧- التقريع
٨- عاقبة المجرمين وحلول العقاب
٩- التأسي والاعتبار
١٠- مغايرة الواقع ومنطق العقل

١-التشريع :

في هذا المجال نجد أن المولى عز وجل يشرع لعباده فيبين الحلال والحرام ، وما يقبل من الأعمال وما يرفض ، ومجال التشريع هذا يقتضي الحزم والشدة فهو يبين ما ينبغي أن يكون ، وما ينبغي ألا يكون ، وقد وردت ثماني آيات في مجال التشريع أسند الفعل الماضي فيها لمؤنث ، حذفت منه تاء التأنيث الساكنة منها قوله عز وجل :﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ*الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [١]

يقول الزجاج " فالطيبات كل شيء لم يأت تحريمه في كتاب ولا سنة ، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصيد فيما سألوا عنه ، ولكن حذف ذكر صيد ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ ﴾ لأن في الكلام دليلا عليه كما قال : (اسأل القرية) المعنى : واسأل أهل القرية." [٢]

ويقول النحاس " وهو الحلال ، وكل حرام فليس بطيب ، وقيل:الطيب ما التذه آكله ولم يكن عليه منه ضرر في الدنيا ولا في الآخرة."[٣] فالتشريع وبيان الحلال والحرام أمر يقتضي

---

(١) سورة المائدة ٤، ٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٤٩

(٣) اعراب القرآن ٢/٨

الحزم والشدة ولايمكن أن يتم بغير الشدة ومن ثم جاء الفعل (أحل) وقد حذفت منه تاء التأنيث الساكنة.

وفي قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [1]

قال الزمخشري : " فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) فتبع النهي وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم ، (وأمره إلى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ،(ومن عاد) إلى الربا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وهذا دليل على تخليد الفساق ، وذكر فعل الموعظة ؛لأن تأنيثها غير حقيقي،ولأنها في معنى الوعظ."[2]

إن القضية لم تشغل حيزا كبيرا من ذهن اللغويين العرب فالمسألة عندهم لا تتخطى جواز التأنيث والتذكير ، بل تقف عنده وحتى عندما فكروا في التعليل لحذف التاء من هذا الفعل أو ذلك قالوا : وذكر فعل الموعظة ، لأن تأنيثها غير حقيقي ، ولأنها في معنى الوعظ وأرى أن الفعل جاء في سياق يبين الحلال والحرام وهذا أمر جد خطير يقتضي الحزم والشدة ،

---

(1) البقرة ٢ / ٢٧٥

(2) الكشاف ١ / ١٦٥ – ١٦٦

فالمرء الذي يعطى الناس بعضا من أمواله فتأتى له بعائد يضاعفها دون جهد ، عندما يؤمر بالأ يأكل هذه الأموال فيكون له رأس ماله لا يَظلم ولا يظلم لابد أن يكون الحديث معه منطويا على شدة وقوة ، ليتمن من مدافعة نفسه المحبة للدنيا وأموالها ، ومغالبة هواه الذي يسول له أن يأخذ مكسبا مستغلا في ذلك حاجة الناس الماسة إلى التكافل الاجتماعي .

فحذف التاء إذن ليس لمجرد جواز تأنيث الفعل وتذكيره، وإنما لبيان معنى الشدة والذي ظهر من خلال السياق ، فجاء الحذف متوافقا مع المعنى المراد والله أعلم .

٢-المشقة وبذل الجهد :

جاءت أفعال هذا المجال في خمس آيات منها قوله عز وجل: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وهنا نجد أن المؤمنات قمن بعمل شاق فمجيؤهن إلى الذين آمنوا في دار الهجرة يثرب تاركات ديارهن وأزواجهن وأولادهن وكل شيء في مكة قد خلفنه وجئن إلى المدينة أمر شاق وجهد كبير لا يقدر عليه إلا من كان موصوفا بالشدة ، والقدرة على التحمل ، فضلا

---

[1] سورة الممتحنة من الآية ١٠ .

عن أن رجالا لم يستطيعوا الهجرة ضعفا أو خوفا أو جبنا . المؤمنات تحملن مشاق السفر في صحراء قاحلة ، بوسائل انتقال غير مريحة وتحملن وعورة الطريق ، وما يمكن أن ينتج عنها من خروج بعض الصعاليك لقطع الطريق على المسافرين . وبعد كل هذا يعقد امتحان لهؤلاء النسوة مما يزيد الأمر عسرا يقول الألوسي :" (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لألسنتهن في الإيمان .

أخرج ابن المنذر والطبراني في الكبير وابن مردويه بسند حسن وجماعة عن ابن عباس أنه قال في كيفية امتحانهن : كانت المرأة إذا جاءت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر رضي الله تعالى عنه بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله ." (١)

وقال أبو حيان :" كان صلح الحديبية قد تضمن أن من أتى أهل مكة من المسلمين لم يرد إليهم ، ومن أتى السلمين من أهل مكة رد إليهم فجاءت أم كلثوم وهي بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أول امرأة هاجرت بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخواها عمارة والوليد فقالا : يا محمد أوف لنا بشرطنا فقالت : يا رسول الله حال النساء إلى الضعف كما قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنونى عن ديني ولا صبر لي فنقض الله العهد في النساء ، وأنزل فيهن الآية ، وحكم بحكم رضوه كلهم ، وقيل : سبب نزولها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت الحديبية مسلمة فأقبل زوجها مسافر

---

(١) روح المعاني ٢٨/٧٦ .

المخدومي ، وقيل صيفي بن الراهب ، فقال : يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا ، وهذه طينة الكتاب لم تجف ، فنزلت بيانا أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء . " [1]

وأيا ما كان سبب النزول ، فإن خروج المرأة من بيتها ومغادرة زوجها في زمن كانت المرأة فيه تحتل المكانة الدنيا أمر ليس بالهين أبدا إذ فيه جهد بدني وآخر نفسي . وفي قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم﴾ [2]. الشدة والصعوبة واضحتان ، فهذه البيعة من النساء تقتضي منهن جهدا كبيرا كي يستطعن الوفاء بما جاء فيها ، ولعل في قول هند بنت عتبة ما يعبر عن هذه الشدة حيث قالت : إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك أخذته على الرجال ، حيث روى القرطبي : " روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال (على ألا يشركن بالله شيئا) قالت هند بنت عتبة وهي منتقبة خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفها ، لما صنعته بحمزة يوم أحد : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك تأخذه على الرجال - وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ولا يسرقن) فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح ، وإني أصيب من ماله قوتنا ، فقال أبو سفيان : هو لك حلال ، فضحك

---

[1] البحر المحيط ٨/ ٢٥٦ .

[2] سورة الممتحنة ١٢ .

النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال : أنت هند ؟ فقالت : عفا الله عما سلف . ثم قال : ولا يزنين ، فقالت هند أو تزني الحرة ! ثم قال ولا يقتلن أولادهن ، أي لا يئدن الموءودات ولا يسقطن الأجنة ، فقالت هند : ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا يوم بدر ، فأنت وهم أبصر ، وروى مقاتل أنها قالت : ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا ، وأنتم وهم أعلم ، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى وكان حنظلة بن أبي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر ، ثم قال : (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) قيل : معنى (بين أيديهن) ألسنتهن بالنميمة ومعنى (بين أرجلهن) فروجهن ، وقيل ما كان بين أيديهن من قبلة أو جسة ، وبين أرجلهن الجماع . وقيل المعنى لا يلحقن برجالهن ولدا من غيرهم ، وهذا قول الجمهور وكانت المرأة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء ، وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن الولد ، لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها ، وفرجها الذي تلد منه بين رجليها ، وهذا عام في الإتيان بولد وإلحاقه بالزوج ، وإن سبق النهي عن الزنا .

وروي أن هندا لما سمعت ذلك قالت : " والله إن البهتان لأمر قبيح ما تأمر إلا بالأرشد ومكارم الأخلاق ثم قال : (ولا يعصينك من معروف) قال قتادة : لا ينحن ، ولا تخلو امرأة منهن إلا بذي محرم ، وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن أسلم : هو ألا يخمشن وجها ولا يشققن جيبا ولا يدعون ويلا ، ولا ينشرن شعرا ولا يحدثن الرجال إلا ذا محرم."[1]

---

[1] القرطبي ٨/٦٥٥٠ – ٦٥٥١ .

ويبدو من نص هذه المبايعة التي جاءت النسوة ليبايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الشدة والصعوبة ، وقد عبرت هند عن هذه الشدة بقولها السابق ، فالأمور التي منعت منها النسوة بنص هذه المعاهدة أمور صعبة على النفس ، وتزداد صعوبة في مواقف تضعف فيها النفس الإنسانية في حين تجد أمامها ما يسوغ لها نقض هذه المبايعة، فهند مثلا ذكرت أن زوجها شحيح ، وأنها تأخذ من ماله ما تقتات به، إذ من العسير أن تكون السيدة بحاجة إلى طعام وشراب وأمامها أموال زوجها ثم لا تأخذ منها، أو يأتيها سائل يطلب معروفا والبيت عامر ثم ترده دون أن تعطيه لمجرد أن زوجها لم يأذن لها ، إنه أمر في غاية المشقة على النفس الحرة الكريمة .

وقد تكون المرأة عاقرا لا تنجب وتخشى أن يتركها زوجها وتجد لقيطا في الشارع فتأنس روحها إليه فتأخذه لتنال مكسبين معا : أن يرضى عنها زوجها فقد أنجبت له - في خياله وزعمها ، وتربي هذا الطفل الذي لا يعرف له أما سواها ، ثم تترك هذا كله تنفيذا للمبايعة ، أليس هذا أمرا في غاية المشقة ؟ .

ثم تبايع النسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يعصينه في معروف ، وكما قال المفسرون : ألا ينحن ولا يلطمن الخدود ولا يشققن الجيوب ، ولا يشمن الوجوه ولا يصلن الشعر وغير ذلك [٢] . وهو أصعب من أن تطيق المرأة تنفيذه ، فالمرأة تود أن تتجمل وتتزين، وعاطفتها تغلب على عقلها فقد تصل شعرها ، وقد تقوم بالوشم وقد تغير خلق الله فيها طمعا في إحداث جمال ما تمتلك به قلب زوجها،

---

(٢) انظر البحر المحيط ٢٥٩/٨ ، روح المعاني ٨٠/٢٨ .

وتتميز به على من عداها ، ثم هي أيضا قد تفقد عزيزا عليها فلا تملك نفسها فتنوح وتلطم الخد وتشق الجيب في جزع وهلع ، فإذا ما جاءت تبايع على ألا تفعل شيئا من هذا كان الأمر عسيرا شديدا عنيفا ، ولذلك تقول السيدة أم عطية رضي الله عنها : " أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة ألا ننوح فما وفت منا امرأة إلا خمس : أم سليم وأم العلاء ، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ ."[1]

ألا تفي امرأة من اللائي بايعن غير خمس نساء أمر يعني أن المبايعة كانت شديدة وأن نصوصها كانت صعبة لدرجة أن الجميع غير هؤلاء النسوة الخمس لم يستطعن الالتزام بما فيها.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]

قال الزمخشري : " (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذي تقول) خلاف ما قلت وما أمرت ، أو خلاف ما قلت وما ضمنت من الطاعة ، لأنهم أبطنوا الرد لا القبول ، والعصيان لا الطاعة ، وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون ."[1]

وقال الألوسي : " (بيت طائفة) أي جماعة (منهم) وهم رؤساؤهم ، والتبييت إما من البيتوتة ؛ لأنه تدبير الأمر ليلا والعزم

---

[1] القرطبي ٦٥٥٢.

[2] النساء ٨١.

[1] الكشاف ١/٢٨٤

عليه، ومنه تبييت نية الصيام ، ويقال : هذا أمر بيت بليل ، وإما من البيت المبني ؛ لأنه يسوى ويدبر ، وفي هذا بعد - وإن أثبته الراغب لغة - والمراد زورت وسوت (غير الذي تقول) أي خلاف ما قلت لها، أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والعدول عن الماضي لقصد الاستمرار ، وإسناد الفعل إلي طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات ، والباقون أتباع لهم في ذلك لا لأنهم ثابتون على الطاعة ، وتذكيره أولى ، لأن تأنيث الفاعل غير حقيقي ." [1]

بيت طائفة أي زورت وسوت غير قولك وحاولت أن تخرج الكلام للسامعين متطابقا مع قولك في ظاهره ، ومخالفا له في حقيقته ، زورت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحرص التام على ألا يظهر لهذا التزوير أثر ، هذا على المعنى الأول وهو أنها بيتت غير ما قلت لها ، وعلى المعنى الآخر وهو أنها دبرت كلاما غير ما قالته لك لتكون هذه الجماعة ذات وجهين فهي ذات شخصية منفصمة ، ومحاولة التزوير ومحاولة إظهار عكس ما يضمر أمر يقتضي جهدا ، وهو أمر شاق على النفس السوية فهي ترفضه ، وعلى النفس الدنيئة ؛ لأنها تبذل جهدا في محاولة إقناع الناس بصدق ما تقول ، وهو كذب في حقيقته .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [2] .

---

[1] روح المعاني ٥ / ٩٢

[2] سورة التوبة ١٢٢ ..

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية : " لما سمعوا : " (ما كان لأهل المدينة ...) الآية ، أهمهم ذلك فنفروا إلى المدينة إلى الرسول فنزلت ، وقيل : قال المنافقون حين نزلت " ما كان لأهل المدينة " الآية: هكذا أهل البوادي فنزلت ، وقيل : لما دعا الرسول على مضر بالسنين أصابتهم مجاعة فنفروا إلى المدينة للمعاش ، وكادوا يفسدونها وكان أكثرهم غير صحيح الإيمان ، وإنما أقدمه الجوع فنزلت الآية ، فقال : وما كان من ضعفة الإيمان لينفروا مثل هذا النفير ، أي ليس هؤلاء بمؤمنين ، وعلى هذه الأقوال لا يكون النفير إلى الغزو ، والضمير الذي في لينفروا عائد على الطائفة النافرة ، وهذا هو الظاهر .

وقال ابن عباس الآية في البعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج الرسول في الغزو ، وهذه ثابتة الحكم إذا لم يخرج ، أي يجب إذا لم يخرج ألا ينفر الناس كافة ، فيبقى هو منفردا ، وإنما ينبغي أن تنفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الطائفة في الدين ، وتنذر النافرين إذا رجعوا إليهم .

وقالت فرقة : هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من إلزام الناس كافة النفير والقتال . فعلى هذا وعلى قول ابن عباس يكون الضمير في ليتفقهوا عائدا على الطائفة المقيمة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون معنى : ولينذروا قومهم أي الطائفة النافرة إلى الغزو ، يعلمونهم ما تجدد من أحكام الشريعة وتكاليفها ، وكان ثم جملة محذوفة دل عليها تقسيمها ، أي فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقعدت أخرى ليتفقهوا

وقيل على أن يكون النفير إلى الغزو يصح أن يكون الضمير في ليتفقهوا عائد على النافرين ، ويكون تفقههم في الغزو بما يرون من نصرة الله لدينه وإظهاره الفئة القليلة من المؤمنين على الكثيرة من الكافرين . وذلك دليل على صحة الإسلام ، وإخبار الرسول بظهور هذا الدين .

والذي يظهر أن هذه الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه في دين الله وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم في ذلك فتعرى بلادهم ويستولي عليها وعلى ذراريهم أعداؤهم فهلا رحل طائفة منهم للتفقه في الدين ، ولإنذار قومهم فذكر العلة للنفير ، وهي التفقه أولا ، ثم الإعلام لقومهم بما علموه من أمر الشريعة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير ، وقام كل بمصلحة هذه لحفظ بلادهم وقتال أعدائهم وهذه لتعلم العلم وإفادتها المقيمين إليهم . ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن كلا النفرين هو في سبيل الله وإحياء دينه هذا العلم ، وهذا القتال ، قال الزمخشري:

" ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصليها ولينذروا قومهم ، وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم ، وإرشادهم والنصيحة لهم ." [1]

يفهم من قول الله عز وجل:(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أن خروجهم من ديارهم أمر يشق عليهم ، فهم يتركون بلادهم ويخرجون بأسلحتهم للحرب أو يخرجون بأمتعتهم لطلب العلم متحملين

---

[1] البحر المحيط ٥/١١٣ – ١١٤

مشقة البعد عن الأهل ومشقة السفر في طلب العلم ، وهذه المشقة أوضحها الزمخشرى بقوله " ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها "

٣- التذكير بنعم الله وبيان عظيم قدرته :

عدد الأفعال الماضية الخالية من التاء الساكنة في هذا المجال خمسة أفعال منها قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ .[1]

الحديث هنا عن نبى الله يونس اذ ذهب مغاضبا ، ثم ألقى في البحر والتقمه الحوت وتداركته عناية الله ، حيث لفظة الحوت ، وخرج سليما معافى فهذا التدارك أمر ليس يسيرا هينا ، إنما هو قوى ؛ فقد خرج سيدنا يونس من بطن الحوت بعدما ابتلعه ٠وهل يصدق عقل أن يدخل إنسان بطن حوت ثم يخرج منه ، فضلاً عن أن يخرج معافى سليماً ؟ إذن فإخراجه على هذه الحالة أمر في غاية المشقة والقوة ، ولعل هذه القوة كانت وراء حذف التاء من الفعل تداركه ٠

وفي قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ .[2] نجد أن حصر المصائب التى تصيب الناس في كتاب أمر في غاية المشقة ٠ وتمامه على أكمل وجه يكشف عن عظيم قدرة الله عز وجل ؛ إذ كيف تحصر مصائب الناس ؟ إن الإنسان ليعجز عن أن يحصر مصائبه ومشكلاته هو وهو فرد ، فكيف بحصر مصائب الناس جميعاً ؟ أليس الأمر في غاية القوة ؟ ويدل على عظيم قدرة الله تعالى ؟ فمن ثم جاء الفعل (أصاب) خاليا من تاء

---

[1] سورة القلم ٦٨ / ٤٩

[2] سورة الحديد ٥٧ / ٢٢

التأنيث ، ليدل ذلك على عظيم قدرة الله تلك التي حصرت مصائب الناس في كتاب .

وفي قوله تعالي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [1] المولى عز وجل يبين أن كل ما يصيب الناس إنما يتم بإذنه وهذا يعنى أن كل شيء في الكون لا يتم الإ بأمر الله عز وجل ، وفي هذا من الشدة والقوة ما فيه ، فلهذا جاء الفعل (أصاب) خاليا من تاء التأنيث .

٤- مجال مجيء الآيات القوية :

عندما تأتى آيات تشهد لرسول أرسله الله إلى الناس لابد أن تكون هذه الآيات قوية،وأن تكون من الوضوح بحيث يقتنع الناس بها، ويكون وضوحها حجة عليهم إذا ما استمروا في تكذيبهم وعنادهم،ولقد جاءت أربع آيات حذفت التاء من الفعل الماضى في كل منها،وكانت الآيات دليلا على صدق الرسل،أو دليلا على وحدانية الله عز وجل، وجاءت آيه خامسه تدل على كذب الجن في ادعائهم معرفة الغيب وهى قوله عز وجل:﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [2]فقد حذفت التاء من الفعل (دلهم) دليلا على وثوق المعرفة بموت سيدنا سليمان عليه السلام ، وعدم معرفة الجن بهذا الموت ، إذ الذي أخبر الناس بموته هو دابه الأرض عندما أكلت العصا التى كان يتوكأ عليها . والنحاة فى مثل هذه الصورة التعبيرية يرجحون حذف التاء من الفعل ،

---

[1] سورة التغابن ٦٤ / ١١

[2] سبأ ٣٤ / ١٤

وكم كنا نود منهم أن يقفوا عند الدلالة التي أفادها الحذف ؛ إذ إن التاء المحذوفة هنا دلت على قوة الفعل وشدة وضوحه فقد أكلت الأرضة العصا وخر سيدنا سليمان فصار ذلك دليلاً على موته وكذب الجن في ادعائهم معرفة الغيب .

ومن الآيات التي تشهد على صدق الرسل قوله عز وجل :﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١] ، وفي تفسير هذه الآيات قال الزمخشري :" كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف ، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ، ودل على تصميمهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا أن الرسول حق ، وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة ، وهم اليهود كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به ، وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات ، وقيل : نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ، ووحوح بن الأسلت ، والحارث بن سويد بن الصامت." [٢] وقال بن كثير : " أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك. " [٣]

جاءهم البينات أي قامت عليهم الحجج والبراهين ، وظهرت أمامهم المعجزات ، فهذا المجيء ليس مجيئا ضعيفا أو رقيقا لكنه قوى

---

[١] سورة آل عمران ٨٦

[٢] الكشاف ١/ ٢٠٠

[٣] ابن كثير ١ /٣٨٠ - ٣٨١

دفعهم إلى الإيمان والتصديق ، فلما كفروا صارت المسألة في غاية الصعوبة ، إذ إن الذين يكفرون دون أن يعاينوا المعجزات الدالة على صدق الرسول ربما كان لهم عذرهم ، أما الذين عاينوا فآمنوا فازدادت وضوحا ثم كفروا فقد جاوزوا كل الحدود .

وكذا في قوله تعالي : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [1] قال الزجاج : " أى لا تكونوا كأهل الكتاب يعنى به اليهود والنصارى وكتابهم جميعا التوارة وهم مختلفون ... ، واعلم أن التفرق فيه يخرج أهله إلى مثل ما خرج إليه أهل الكتاب في كفرهم ، فأعلم الله أن لهم عذابا عظيما ، فقال: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ " [2] وقال النحاس : " ﴿كالذين تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ اليهود والنصارى جاءهم مذكر على الجميع أو جاءتهم على الجماعة" [3]

فالآيات التى جاءت لليهود والنصارى كانت واضحة وقوية ، ولذا توعدهم المولى عز وجل بأنهم بعيدون من رحمته ، وأن لهم عذابا عظيما حيث تفرقوا واختلفوا بعدما جاءتهم الحجج الدامغة ، والأدلة القاطعة ، ولعل شدة وضوح الآيات وقوة مجيئها كانت وراء حذف تاء التأنيث من الفعل (جاءهم) .

---

(1) سورة آل عمران ١٠٥

(2) معانى القرآن وإعرابه ١ / ٤٥٣

(3) إعراب القرآن ٣٩٩/١

٥- التحدى :

من يحاول تعجيز غيره دائما يطلب منه أمرا صعبا ليكون أبلغ في التحدى ، وقد حاول الكفار تعجيز رسل الله فتحدوهم بأن طلبوا منهم تحقيق أشياء صعبة ، وقد ورد في القرآن خمس آيات طلب الكفار فيهن إنزال آية تثبت صدق هؤلاء الرسل ، وكان الفعل في كل منها ماضيا خاليا من التاء . فمن ذلك قوله تعالي : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

قال النحاس : " وكان منهم تعنتا بعد ظهور البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله لما فيه من الوصف ، وعلم الغيوب (لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن الله عز وجل إنما ينزل من الآيات ما فيه مصلحة العباد ." (٢)

أجل أشتد تعنت المشركين حين طلبوا آية بعد أن وقفوا صاغرين أمام روعة القرآن وجلاله حيث وصفوه بأنه يعلو ولا يعلى ، ومع هذا فقد كفروا به ، وقالوا : إنه سحر يؤثر ، فإذا ما طلبوا أن تنزل آية على رسول الله فإن هذه الآيه ينبغى أن تكون من القوة بحيث لا يستطيعون إنكارها أرادوا آيه تكون في إعجازها أكثر وضوحا من إعجاز القرآن الذي لا يبلى ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، ولذلك يعقب المولى عز وجل على طلبهم الآيه بأنه قادر على أن ينزل آية ، وهذه الآية إذا نزلت فستظل أعناقهم لها خاضعين ، وهم

---

(١) سورة الأنعام ٦/٣٧

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٦٥

في الحقيقة لا يريدون آية ، إنما هم يحاولون تعجيز الرسـول الكريـم بطلبهم ما يتصورن أنه مستحيل .

وقوله تعالي : ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (١)

قال أبو حيان : " هذا من اقتراحهم . قال الزمخشرى : وكـانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم تنزل على أحد من الأنبياء مثلها ، وكفي بالقرآن وحده آيه باقية على وجه الدهـر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول ،فكأنه لم ينزل عليه قط ،حتى قالوا :لولا أنزل عليـه آيـة واحدة من ربه ،وذلك لفرط عنادهم ،وتماديهم في التمرد وانهماكهم فـي الغى ، فقل إنما الغيب لله ،أي هو المختص بعلم الغيب المسـتأثر بـه لاعلم لى ولا لأحد ،يعنى أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمـر مغيب لا يعلمه الاهو سبحانه ،فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكـم من المنتظرين بما يفعل الله تعالي بكم لعنادكم وجحدكم الآيات . وقـال ابن عطية :آية من ربه تضطر الناس إلى الإيمان." (٢)

فهم إذن يقترحون نزول آية غاية في الشدة وغاية في الصعوبـة بهدف التعجيز ولو كان هدفهم أن توجد آية دالة على أنه نبى من عنـد الله لآمنوا بالقرآن ،وكفي به آية كما قال الزمخشرى .

وما قيل في معرض الحديث عن الآيتين السـابقتين يقـال فـي مثيلاهما من مثل قوله عز وجل ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ

---

(١) سورة يونس ٢٠/١٠

(٢) البحر المحيط ١٣٥/٥ .

آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [١] ،وقوله عز وجل : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [٢]

٦-التحذير والتهديد والزجر :

التهديد لابد أن يكون بصورة مخيفة حتى يتحقق المراد منه وقد جاء التهديد في الأسلوب القرآني معتمدا على الفعل الماضي المسند إلى مؤنث ، والخالي من التاء الساكنة في أربعة مواضع يضاف إليها موضع آخر هو آية الربا ، والتى تم تصنيفها في مجال التشريع وبيان الحلال والحرام فهى تصلح للمجالين معا ومن آيات هذا المجال قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [٣]

قال النحاس : " (وإن كان طائفة) مذكر على المعنى وعلى اللفظ كانت " [٤] هذه الآية جاءت جزءا من حديث لسيدنا شعيب عليه السلام وجهه إلى قومه طالبا منهم أن يعبدوا الله وحده وأن يوفوا الكيل والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم وألا يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وألا يصدوا عن سبيل الله من آمن يبغون الاعوجاج ، وذكرهم

---

[١] الرعد: ٧

[٢] الرعد : ٢٧

[٣] سورة الأعراف ٨٧

[٤] إعراب القرآن ١٣٩/٢

بعاقبة المفسدين قبلهم وطلب منهم أن يصبروا حتى يحكم الله بينه وبينهم وهو خير الحاكمين .

في ظل وضوح الآيات الدالة على قدرة الله يكـون الكفـر أمـر صعبا، إذ لا يكفر إلا الجاحدون الذين ألغوا عقولهم وصاروا كالأنعام بل أضل ، وفي ظل وقوف المجرمين بالمرصاد للمؤمنين يكون الإيمــان أيضا أمرا صعبا فلا يقدم على اتباع الرسول إلا من تغلغل الإيمان فـي نفسه وتعمق ، بحيث يدفع هذا الإيمان صاحبه إلى تحمـل المشـاق ، واستعذاب الآلام .

وفي قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِـذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١)

أن تحق كلمه العذاب على إنسان لدرجة أن أحدا لا يستطيع إنقـاذه من النار وليس في استطاعة الرسول أن يفعل له شيئا أمر ليس سـهلا ، فلسوف يمكث في جهنم ؛ إذ لا نهاية في الآخرة فهي حيـاة مطلقـة لا نهائية ، فالأمر إذاً في غاية الشدة والصعوبة ، وهـذه الشـدة تناسـب التهديد، فلربما يرتدع الإنسان عن ظلمه وغيه ويعود إلى الإيمان بـالله الذي هو أصل الفطرة ؛ لذا جاء الفعل (حق) وقد حذفـت منـه تـاء التأنيث .

---

(١) سورة الزمر ١٩/٣٩

٧-التقـريع :

جاءت أفعال هذا المجال فى سبع آيات منها قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (١)

نجد تعريضا بقارون ومن كانوا يتمنون أن يكون لهم مثل ما أوتـي ، حيث جاءه عقاب الله فخسف به وبداره ، فلم يجد فئة تنصـره ، وهـذا ناتج عن سوء فعله وسفاهته ، وهذا التعريض استوجب أن يأتي الفعـل (كان) خاليا من تاء التأنيث ليدل على الصعوبة فالمتوقع أن صـاحب المال والجاه يجد إلى جواره الكثيرين ، لكنه هنا لم يجـد لأن أحـداً لا يمكنه أن يقف أمام أمر الله .

٨-ذكر عاقبة المجرمين وحلول العقاب

هذا المجال يتحدث عن عاقبة الأمم السابقة التى كذبت وأنكـرت وعوقبت على إنكارها وتكذيبـها واسـتهانتها بـالإنذارات المتعـددة ، ويخبرنا المولى عز وجل عن عاقبة إنكارها ، هذا المجال فيــه شـدة وصعوبة وتخويف للناس من أن يحل بهم ما حل بغيرهم والتخويــف والتهديد لا يكون بلغة رقيقة بل لا بد فيه من شدة وعنف ، ومن ثم فقـد جاء الفعل الماضى مذكرا فلم تلحقه تاء التأنيث ، وبلغ عدد الأفعال التى حذفت منها التاء في هذا المجال ثلاثين فعلا منها قوله تعالي : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢)

---

(١) القصص ٢٨/٨١

(٢) آل عمران ١٣٧

قال الزجاج : " معنى قد خلت قد مضت ومعنى سنن أهل سنن أى أهل طرائق، والسنة الطريقة ، وقول الناس : فلان على السنة أى على الطريقة ، ولم يحتاجوا أن يقولوا : على السنة المستقيمة ؛ لأن في الكلام دليلا على ذلك ، وهذا كقولنا : مؤمن ، معناه مصدق وفي الكلام دليل على أنه مؤمن بأمور الله عز وجل التى أمر بالإيمان بها، والمعنى إنكم إذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار قوم أهلكوا بتكذيبهم ". [1] وقال ابن كثير : " يقول تعالي مخاطبا عباده المؤمنين لما أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون : (قد خلت من قبلكم سنن) أى قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين ." [2]

المؤمنون إذن هزموا في أحد ، وشاهدوا قوة الكافرين وبطشهم ثم أمروا أن يسيروا في الأرض ، لينظروا في آثار الأمم السابقة فيروا كيف كانت النهاية لكل هذه الأمم التي كذبت وكفرت مع أنها كانت أكثر أموالا وأعدادا من قريش ، كيف كانت نهايتها ؟ ما مآلها ، لتطمئن قلوب المؤمنين إن هذا أمر يحتاج إلى حدة في الخطاب ، وشدة تتناسب مع صعوبة الموقف .

وقوله تعالي : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .[3]

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٤٧٠/١

(2) ابن كثير ٤٠٩/١

(3) سورة الأنعام ١١

وهو مسبوق بقوله تعالي : ﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴾.[١] فالمشركون يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسخرون منه ، والمولى عز وجل يخبره بأن الرسل الذين كانوا قبله مروا بتلك المرحلة ، فليس هذا أمرا جديدا بل هو عادة الناس مع أنبيائهم ثم يأمره بأن يقول لأولئك الكافرين الذين يسخرون منه : سيروا في الأرض فانظروا كيف كان مآل أولئك الذين كذبوا رسلهم وسخروا منهم ، وهذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركين فيه شدة وعنف فهو في مجال التهديد والوعيد .

وفي قوله تعالي : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢] نجد أن قوم لوط عليه السلام كذبوه وكفروا به ، بل اتفقوا على إخراجه من قريتهم ، لا لجريرة سوى أنه كان من المتطهرين ، نصحهم بألا يأتوا الرجال شهوة من دون النساء ، وقد حكى القرآن ذلك فقال : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ*وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ*فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانت مِنْ الْغَابِرِينَ﴾ .[٣] ثم جاءت العاقبة لأولئك القوم المجرمين الذين فقدوا كل فضيلة ، واتبعوا كل رذيلة، بل تجاوزوا كل هذا إلى محاولة طرد المتطهرين من قريتهم أفتكون عاقبتهم هينة أم تكون عنيفة شديدة معادلة

---

[١] سورة الأنعام ١٠

[٢] سورة الأعراف ٨٤

[٣] سورة الأعراف ٨٠ - ٨٣

لجرائمهم المتعددة ؟ وعند الإشارة إلى لهذه العاقبة كانت اللغة معبرة عن الشدة والقوة والعنف فجاء الفعل مذكرا في إشارة واضحة إلى هذه الشدة ، وتلك القوة وذاك العنف •

وفي قوله تعالي : ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

وهذه الآية رد على أولئك المشركين الذين ادعوا كذبا وزورا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افترى القرآن ، وأنه من عنده وليس من عند الله ، فرد عليهم القرآن بأنهم كاذبون ، وبين لرسوله وللمؤمنين أن تكذيب الرسل أمر شائع عند الكافرين في كل مكان وزمان ، وأن الله عز وجل لايتركهم بل يعاقبهم على افترائهم وتكذيبهم أنبياءه دون أن تكون لهم حجة أو شبهة حجة ، فعقاب الظالمين الذين لهم حجة يختلف عن عقاب الظالمين الذين لا حجة لهم ، ذلك أنهم لا يجدون متكئا يتكئون عليه في تكذيبهم، فقد كذبوا ولم يحيطوا بعلمه ، وما وصل إليهم تأويله فكيف سوغوا لأنفسهم أن يقدموا على هذا التكذيب ، تلك جريمة بشعة خصوصا إذا ما علمنا أنهم كانوا قبل البعثة يلقبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين ثم هم ينقلبون في لحظة واحدة إلى وصفه بالكذب والخيانة ، ومع هذا يستمرون يحفظون أماناتهم عنده ، هذا التناقض بين اعتقادهم وما يظهرونه يقتضي أن يعاملوا بقسوة فلربما يفيقون ويعودون إلى رشدهم ومن ثم جاء الفعل مذكرا (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) تعبيرا عن هذه الشدة ، وتلك القسوة •

---

[1] سورة يونس عليه السلام ٣٩ •

وفي قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .[1] كان أهل مكة يطلبون أن يكون الرسول المرسل إليهم ملكا ، فأخبرهم المولى عز وجل أنه ما أرسل في أمم سابقة إلا رجالا يأتيهم الوحي ، فعليكم أن تنظروا في تاريخ الأمم السابقة ، وتنتقلوا إلى ديارهم لتعرفوا نتيجة أفعالهم ، إذ كذبوا رسلهم وطلبوا مثلما طلبتم . ولما كان الأمر منطويا على تهديد لأولئك العرب الغلاظ الجفاة فكان الفعل مذكرا لمناسبة هذا التهديد .

وفي قوله تعالي: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [2] تتحدث الآيتان عن جماعة من قوم سيدنا صالح عليه السلام ، حيث قرروا أن يذهبوا إلى داره ليلا ليقتلوه ، فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يقول القرطبى : " مكرهم ما روى أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة ، وقد أخبرهم صالح بمجئ العذاب اتفقوا وتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلا ، ويقتلوه وأهله المختصين به ، قالوا : فإن كان كاذبا في وعيده أوقعنا به ما يستحقه ، وإن كان صادقا عجلناه قبلنا ، وشفينا نفوسنا ، قاله مجاهد وغيره .

[1] سورة يوسف عليه السلام ١٠٩ .

[2] سورة النمل ٥٠ ، ٥١ .

قال ابن عباس : أرسل الله الملائكة تلك الليلة فـامتلأت بـهم دار صالح فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم ، فقتلتهم الملائكة رضخا بالحجارة ، فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها ... فهذا ما كان مـن مكرهم . ومكر الله مجازاتهم على ذلك (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) أى بالصيحة التى أهلكتهم . وقد قيل : إن هلاك الكل كان بصيحة جبريل ، والأظهر أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد ، ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة ."[1] والذي يعنينا هنا أنهم أهلكـوا بعذاب بئيس سواء رجموا بحجارة لا يرون راميها أو شدخوا بصخـرة أو غير ذلك ، المهم أنهم مكروا وحاولوا قتل نبي الله صالح فـأخذهم الله بذنبهم أخذ عزيز مقتدر ، وقد قص المولى على نبيـه قصـة صـالح ليقصها على العرب فيروا عاقبة المكذبين ، وكيف كان تكذيبهم وبـالا عليهم ، فلربما يرتدعون ويبتعدون عن غيهم ، وهم الذين يثقـون فـي رسول الله أشد الثقة .

هذا الزجر يقتضي عنفا في الخطاب وشدة لبيان أن الأمر ليس سـهلا ، ومن ثم جاء الفعل مذكرا (كيف كان عاقبة مكرهم) .

قال تعالي : ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَـارًا فِـي الْـأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [2] .

هذه الآية داعية لقريش أن تنظر في أحوال الأمم السابقة تلك التـى كانت أشد منها قوة وتمكنا في الأرض ، ومع هذا جاءها أمـر الله فلـم

---

[1] القرطبي ٤٩٣٣/٦ .

[2] سورة غافر ٢١/٤

تعصمها منه قوتها ، ولم يبقها من تمكنها على ما كانت عليه ، بل ذهبت ودرست آثارها ، وفي ذلك تهديد اقتضي تذكير الفعل(كان) بحذف التاء منه.

كما تدور بعض آيات هذا المجال حول الإصابة بالمصيبة أو السيئة ، أو مس الضراء ، وظهور آثار سيئات عملها الناس ، وحلول عذاب يأخذ الظالمين ، أو ذهاب السيئات عن المرء الذي يفرح بذلك وينسي من أذهب عنه السيئات ، وكل هذه السياقات تعبر عن الشدة والقوة ، فمن ذلك قوله تعالي :﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢) . وقوله تعالي : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣) ، وقوله تعالي : ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٤) .

وإصابة السيئات الناس أمر ليس سهلا بل هو صعب وشاق ، فإن لم تكن الصعوبة في الإصابة ذاتها فهى في نتائجها ، وعلى كل فالصعوبة موجودة ولا مجال لإنكارها .

---

(١) سورة التغابن ١١ .

(٢) سورة الحديد ٢٢ .

(٣) سورة الشورى ٣٠ .

(٤) الزمر ٦٧ .

وفي قوله تعالي : ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (١) نجد أن ظهور النتائج السيئة للأفعال التي ارتكبها أولئك القوم أمر لم يكونوا يتوقعونه ، فلو توقعوا أن يبدوا لهم أثرما قدموا لتغيرت أفعالهم ، فظهور سيئات أعمالهم ظهور قوي ؛ لذا جاء الفعل معه خالياً من التاء .

وفي قوله عز وجل : ﴿قَدْ كانت لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا باللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢) .

نجد قوما يقاطعون أهليهم ، وتبدو بينهم وبين أهليهم العداوة والأصل في العلاقة بين الأقرباء أن تكون علاقة مودة ورحمة وحب وائتناس ، فإذا ما تحولت هذه المودة والرحمة عداوة ظاهرة ، فإن الأمر ليس بيسير ، لذلك عندما نزلت الآية التى تدعوا المسلمين إلى التأسي بإبراهيم عليه السلام في مقاطعة قومه لكفرهم جد المؤمنون وصبروا ولكن نفوسهم كانت تهفو إلى وجود سبب يزيل هذه الجفوة بينهم وبين أهليهم المقاطعين حتى يسر الله لهم فتح مكة ويسر أن يؤمن أهلوهم فأزيلت أسباب العداوة ، فإظهار العداوة للأهل مع وجود الحكم الفطري أمر قاتل .

---

(١) الزمر ٤٨ .

(٢) الممتحنه ٣/٦٠

٩-التأسي والاعتبار :

في الدعوة إلى التأسي والاعتبار حذفت التاء من الفعل الماضي في ستة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [١]

يقول أبو جعفر النحاس في صدد إعراب هذه الآية : " ولم يقل كانت لأن التأنيث غير حقيقي معناه التأسي." [٢] ويقول الزمخشري : " ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ، ولذلك جاء به مصدرا بالقسم ، لأنه الغاية في التأكيد ، وأبدل عن قوله : (لكم) قوله : (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله : (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به .

ولما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم ، فلما رأى الله عز وجل منهم الجد والصبر على الوجه الشديد ، وطول التمني الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم ، فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة ظفرهم الله بأمنيتهم ، فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم." [٣] .

فكأن الزمخشري يقصد أن اللام في لقد لام جواب قسم مقدر ، فزاد هذا القسم الكلام تأكيدا ، ونضيف إلى التأكيد تلك الشدة التي استفيدت من تذكير الفعل ، والتي وضحت في الوجد الشديد وطول

---

[١] الممتحنة ٦

[٢] إعراب القرآن ٤/٨٧ ، ٨٨ .

[٣] الكشاف ٤/٨٧ ، ٨٨ .

التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة ، وهي أيضا تلك الشدة التي يشعر بها المرء عندما يقاطع أهله ويخاصمهم ، وقد فرض على المؤمنين أن يقاطعوا قومهم لاختلاف العقيدة .

دعا القرآن إلى أخذ الموعظة والعبرة من موقف يوسف وإخوته وقصص الأمم السابقة ، وذلك قوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[1]

جاء في إعراب القرآن للنحاس : وقرأ أهل مكة (آية للسائلين) على واحدة ، واختار أبو عبيد آيات ، قال : لأنها عبر كثيرة ، قال أبو جعفر : آية ههنا قراءة حسنة أي لقد كان في الذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خبروا به ، لأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقالوا : أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام ، أخرج ابنه إلى مصر ، فبكي عليه حتى عمي ، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ، ولا يعرف خبر الأنبياء ، وإنما وجه اليهود إليه من المدينة يسألونه عن هذا ، فأنزل الله عز وجل سورة يوسف جملة واحدة فيها كل ما في التوراة من خبرة وزيادة ، فكان ذلك آية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة إحياء عيسى صلى الله عليه وسلم الميت [2] .

إن معرفة قصة يوسف عليه السلام مع إخوته من رجل لا يعرف القراءة والكتابة ولم يقرأ كتب الأنبياء السابقين ، ثم تكون هذه القصة وافية كما جاءت في الكتب المقدسة أمر جد عظيم اقتضت صعوبته وشدته أن يعبر عنه بالفعل كان مذكرا .

---

(1) يوسف ٧

(2) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٤ .

ثم أن يسمع الناس القصة أمر سهل لكن أن يتعظوا بما جاء فيها فهو من الصعوبة بمكان .

وكذا في قوله عز وجل :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

إن رؤية آثار الأمم السابقة تؤدى إلى الاعتبار والاتعاظ ، لكن سماع أخبارهم وحده قد يؤدى إلى ذلك أو لا يؤدى ، فإذا كان السامعون لهذه القصص ذوى عناد وإصرار على ما هم عليه ، فإن تحقيق الاتعاظ بهذه القصص يكون أمر صعبا ناسبه أن جاء الفعل الماضي (كان) خاليا من تاء التأنيث الساكنة

١٠- مغايرة الواقع ومنطق العقل :

يبلغ عدد المواضع التي جاءت ممثله هذا المجال أربعة مواضع حذفت التاء من الفعل الماضي في كل منها فمن ذلك قوله عز وجل :

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٢)

الصلاة تقتضي الخشوع والتذلل ، فالمعروف أن المرء في أثناء الصلاة يكون بين يدي الله عز وجل ، وفي حديث القرآن عن حقيقة صلاة المشركين عند البيت الحرام ذكر أنها كانت صفيرا وتصفيقا . و

(١) سورة يوسف عليه السلام ١١١.

(٢) سورة الأنفال ٣٥.

الصلاة التي تكون تصفيقا وصفيرا تكون حتما مفتقده للخشوع الواجب في الصلاة فلما غايرت صلاتهم حقيقة الصلاة غوير في التعبير عنها من المؤنث إلى المذكر الذي لا يتصف بالهدوء ، فحذفت التاء من الفعل (كان) .

إذا حدث صراع بين جماعتين إحداهما كبيرة العدد كثيرة العدة ، والأخرى قليلة العدد والعدة فإن العقل يتوقع بل يكاد يجزم بأن الجماعة الكبيرة ستنتصر وتهزم الأخرى ، فإذا حدث خلاف ذلك كان الأمر صعبا ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [1]

جاءت هذه الآية في سياق خطاب لليهود بالمدينة يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : "وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، وقال : يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا . فقالوا : يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله في ذلك من قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ إلى قوله لعبرة لأولى الأبصار . وقد رواه محمد بن إسحاق أيضا عن محمد بن محمد

[1] سورة آل عمران ١٣ .

عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى : (لقد كان لكم آية) أي : قد كان لكم أيها اليهود والقائلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه ، وناصر رسوله ومظهر كلمته ..." [1] .

إن أمر أولئك اليهود يقتضي العنف والشدة في معاملتهم وكلامهم؛ حيث شاهدوا بأعينهم الآية الواضحة ، وهي آية قوية دالة على تأييد الله عباده المؤمنين ، ومع هذا أنكروا هذه القدرة ، وادعوا أن قدرتهم على النصر أعلى من قدرة قريش وكأنهم ظنوا النصر موكولا إلى الصراع المادي ونتائجه ونسوا أن المسألة مرتبطة بقدرة الله فأخبرهم المولى عز وجل أن الأمر ليس للأسباب المادية فقال : (قد كان لكم آية) جاء الفعل الماضي خاليا من التاء الساكنة للدلالة على الشدة والعنف في الخطاب وبيان شدة الآية التي شاهدوها بأعينهم ومغايرتها منطق العقل فما كان لهم أن ينكروها وهي بهذه الشدة وهذا الوضوح .

---

[1] ابن كثير ١/٣٥١ .

نتائج البحث

- الأصل أن يتطابق الفعل مع فاعله في التأنيث فتلحق التاء الساكنة الفعل الماضي مادام فاعله مؤنثا ، وتحدد دلالته على المعنى من خلال السياق الذي يرد فيه .
- إذا جاء الفعل الماضي خاليا من تاء التأنيث مع فاعله المؤنث ، فإن ذلك يدل على الشدة والصعوبه والحزم وكل هذه المعاني مأخوذة من القوة

ذكر النحويون جودة تذكير الفعل مع فاعله المؤنث إذا لم يكن من الحيوان ، لكن تعليلهم لهذا التذكير لم يكن موفقا ، وكذا تعليلهم للحوق التاء الفعل المسند إلى مؤنث على نحو ما ذكر في ثنايا البحث .

جدول يشتمل على الأفعال الخالية من تاء التأنيث الساكنة مع إسنادها إلى مؤنث

المجال الدلالي	المجرد				المزيد			
	المبني للمعلوم		المبني للمجهول		المبني للمعلوم		المبني للمجهول	
	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية
التشريع	ليس	البقرة ١٧٧			أعجبك	المائدة ١٠٠	أحل	المائدة ٤
	نعما	البقرة ٢٧١					أحل	المائدة ٥
	جاءه	البقرة ٢٧٥						
	ترك	النساء ١٢						
	كان	القصص ٦٨						
المشقة وبذل الجهد	نفر	التوبة ١٢٢	عرض	ص٣١	بيت	النساء ٨١		
	جاءكم	الممتحنة ١٠						
	جاءك	الممتحنة ١٢						
التذكير بنعم الله وبيان قدرته	نعم	الرعد٢٤			أصابك	النساء ٧٩		
					أصابك	النساء ٧٩		
					أصاب	الحديد ٢٢		
					أصاب	التغابن١١		
					تدارك	القلم ٤٩		

المجال الدلالي	المجرد				المزيد			
	المبني للمطوم		المبني للمجهول		المبني للمطوم		المبني للمجهول	
	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية
مجيء الآيات	جاءهم	آل عمران ٨٦			أعجبك	المائدة ١٠٠	أحل	المائدة ٤
	جاءهم	آل عمران ١٠٥					أحل	المائدة ٥
	جاءهم	الأنعام ١٥٧						
	دلهم	سبأ ١٤						
	جاءني	غافر ٦٦						
التحدي							نُزّل	الأنعام ٣٧
							أنزل	يونس ٢٠
							أنزل	الرعد ٧
							أنزل	الرعد ٢٧
							أنزل	العنكبوت ٥٠
التحذير والتهديد والزجر	كان	الأعراف ٧٨	نفخ	الحاقة ١٣				
	حق	الزمر ١٩	جمع	القيامة ٩				

المجال الدلالي	المجرد				المزيد			
	المبني للمعلوم		المبني للمجهول		المبني للمعلوم		المبني للمجهول	
	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية
التحســــر	حق	الأعراف٣٠						
	ليس	الأعراف٦١						
	ليس	الأعراف٦٧						
	ذهب	هود١٠						
	كان	القصص ٨١						
	حق	الزمر١٩						
	كان	الطلاق٩						
ذكر عاقبة المجرمين وحلول العقاب	كان	آل عمران١٣٧			أصابهم	الزمر ٥١		
	كان	الأنعام ١١			أصابكم	الشورى ٣٠		
	كان	الأعراف ٥			أصابك	النساء٧٩		
	كان	الأعراف٨٤			أصابهم	النحل٣٤		
	كان	الأعراف ٨٦						
	مس	الأعراف ٩٥						
	كان	الأعراف ١٠٣						
	كان	يونس٣٩						
	كان	يونس٧٣						
	أخذ	هود٦٧						
	كان	يوسف١٠٩						
	كان	النحل٣٦						
	كان	النمل ١٤						
	كان	النمل ٥١						

المجال الدلالي	المجرد				المزيد			
	المبني للمعلوم		المبني للمجهول		المبني للمعلوم		المبني للمجهول	
	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية	الفعل	السورة والآية
(تابع) ذكر عاقبة المجرمين وحلول العقاب	كان	النمل ٦٩						
	كان	القصص ٤٠						
	كان	الروم٩						
	كان	الروم٤٢						
	كان	فاطر٤٤						
	كان	الصافات ٧٣						
	بدا	الزمر ٤٨						
	كان	غافر ٢١						
	كان	غافر ٨٢						
	كان	الزخرف ٢٥						
	بدا	الجاثية ٣٣						
	كان	محمد ١٠						
	بدا	الممتحنة ٤						
التأسي والاعتبار	كان	آل عمران ١٣						
	كان	يوسف ٧						
	كان	يوسف ١١١						
	كان	الأحزاب ٢١						
	كان	سبأ ١٥						
	كان	الحشر ٩						
مغايرة الواقع	كان	آل عمران ١٣					زُين	البقرة ٢١٢
	كان	الأنفال ٣٥						
	كبر	الشورى ١٣						

المصادر والمراجع

الأشمونى : على بن محمد ت ٩٠٠ هـ

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

الآلوسى : شهاب الدين السيد الآلوسى البغدادى ت ١٢٧٠ هـ

روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، ثلاثون جزءا في عشرة مجلدات طبعة دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

الجعبرى : الشيخ ابراهيم بن عمر الجعبرى ت ٧٣٢ هـ

تدميث التذكير في التأنيث والتذكير . شرحها وحققها د. محمد عامر أحمد حسن المؤسسة الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .

أبو حيان : أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى ت ٧٥٤ هـ

التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ثمانية أجزاء ، مطابع النصر الحديثة الرياض السعودية د .ث .

الدانى ، أبو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤ هـ

تيسر القراءات السبع ، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤١٦ هـ .

الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السرى ت ٣١١ هـ

معانى القرآن واعرابه خمسة مجلدات شرح وتحقيق عبد الجليل شلبى . دار الحديث ط ٢ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

الزمخشرى ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمـــى ت ٥٣٨ هـ

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التــأويل أربعة مجلدات . دار المعرفة بيروت لبنان د.ت

المفصل في علم العربية . دار الجيل بيرون لبنان د .ت ٠

سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ

كتاب سيبويه ، خمسة أجزاء طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي ت ٣١٦ هـ

الأصول في النحو ، طبعة ٣ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٦٩

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر ٩١١ هـ

الأشباه والنظائر أربعة أجزاء في مجلدين ، دار الكتب العلميــة بيروت لبنــــان

همع الهوامع شرح جمع الجوامع جزءان في مجلد مكتبه الكليات الأزهرية

الصبان : محمد بن على ت ١٢٠٦ هـ

حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك

الطبرسى : أبو على الفضل بن الحسن

مجمع البيان فى تفسير القرآن عشرة أجزاء في خمسة مجلـدات تحقيق السيد هاشم الرسـولى المحلاتــى ، والسـيد فضــل الله الطباطبائى . دار المعرفة بيروت لبنان

ابن عقيل ت ٧٦٩هـ

شرح بن عقيل على الفية بن مالك ، تحقيق محمود مصطفى حلاوي ، طبعة بيروت .

ابن فارس : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ

المقاييس في اللغة ، تحقيق شهاب الدين أبو عمر دار الفكر ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤

الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧ هـ

معانى القرآن . ثلاثة أجزاء بتحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار . دار السرور . القاهرة

القرطبى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ت ٦٧١ هـ

تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ثمانية مجلدات دار الشعب . د.ت

ابن كثير : الإمام أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤ هـ

تفسير ابن كثير أربعة مجلدات . دار الفكر . بيروت

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ

المقتضب أربعة أجزاء تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة

ابن منظور ، عبد الله محمد بن المكرم بن أبى الحسن الأنصاري الخزرجى ت ٧١١هـ

لسان العرب بتحقيق عبد الله على الكبير وآخرين ، دار المعارف ، مصر .د.ت

النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل ت ٣٣٨ هـ

إعراب القرآن تحقيق زهير غازي . خمسة مجلدات ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ط٣ /١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م

ابن هشام : أبو عبد الله جمال الدين ت ٧٦١ هـ

- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الفكر - بيروت - لبنان .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر

الجمل المتوازية عند طه حسين
دراسة فى « أحلام شهر زاد »

د. رجب عبد الجواد
قسم اللغة العربية

« إنما الكلام عبء أتخفف منه
بالإلقاء أو الإملاء » (١)
طه حسين

تقديم:

من العبارات الدالة على الممارسة اللغوية عند طه حسين تلك الجملة التى تتصدر هذا البحث ، ولكل كلمة من هذه الجملة دلالة ؛ فكلمة : الكلام تدل على أن كل ما بين أيدينا من مؤلفات طه حسين هو فى حقيقته كلامه ، وليس كتابته ؛ فلقد كان يمارس الكلام لا الكتابة ؛ وكان الكلام هو وسيلته الفريدة للوصول إلى المتلقى . وأما كلمة : عبء فتدل على أن طه حسين لم يكن يتكلم لمجرد الكلام الذى يملأ به فراغ الصمت فحسب ، وإنما يتكلم عندما يملأ الفكر أقطار نفسه وجوانبها ، وعندئذ يصبح التخفف من هذا العبء ضرورة لا

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٣ .

مفـر منها ، ويـصبح الكـلام ضربًا من إفـراغ الزائد عن طـاقة النفـس . وأما كلمتا: الإلقاء والإملاء فتدلان على أن الوسيـلتين اللتين توسَّل بهما طه حسين للوصـول إلى المتلقى هـما : إلقاء الكـلام فى شكل خطب ومـحاضرات ، أو إملاؤه فى شكل كتب ومقالات وقصص وغيرها .

لم يكن الكلام عند طه حسين مجرد أداة يلـجأ إليها لتوصيل معلومة ما أو فكرة ما ، وإنما هو كلام له خصوصيته التى تتطلب من متلقيه أن يتوقف عنده، فهو إلى جانب هدفه الـتوصيلى له قيمته الجمالية التـى تمايزه عن غيره . وهناك حقيقة لغوية مفادها أن كل متكلم بلغة مـن اللغات تتكون لديه من تعلمه للغته ومن ممارسته لها عادات أو نـظم عقلية خاصة فيما يتعلـق بتأليف الجمل ، وإنه ليـألف هذه العـادات والنظـم كما يألـف نطق أصوات لـغته ونمـاذج مقاطعـها وكلماتها ، وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات فى جمل بطريقة لا شعورية[1] .

ولقد كان لطه حسـين عادات كلامية تعودها ؛ كانت بمثابـة الرصيد المختزن فى الذاكرة ، الذى يئول إليه عند ممارسته الكلام ، ولم يكن فى استعماله للغة يتعامل معها بوصفها مفردات مستقلـة ، بقدر ما كان يتعامل معها بوصفها صيغًا وتراكيب استقرت فى عقله ، وصار من السهل عليه استحضارها متى شاء .

وهدف هذه الـدراسة هو استجـلاء خصوصية هـامة من خصوصـيات طه حسين الكلامـية ؛ وهى « الجمل المتوازية » فى أهـم رواية من رواياته[1] تحقق فيها ما لايقل عـن تسعين بالمائة من هذه الخصوصية ؛ كـما تهدف هذه الدراسة أيضًا إلى البحث عن جذور هذه الخصوصيـة فى التراث وبيان أى المنابع استقى

(١) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، د. محمود السعران ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) صدرت رواية « أحلام شهرزاد » فـى يناير عام ١٩٤٣ م عن دار المعارف ، ضمن سـلسلة « اقرأ » ، وكانت هذه الرواية هى العدد الأول الذى افتتحت به السلسلة إصداراتها .

منه طه حسين هـذه الخصوصية ؛ وإظهار إلى أى مدى حققـت الجمل المتوازية له ما كان يرجوه منهـا من خدمة الفكر والشعور ؛ وتوصيلهـما إلى المتلقى فى أجلى صورة وأقصر وقت .

والمقصود بـالجمل المتوازية فى هذا الـبحث هى الجمل التـى يقوم الأديب بتقطيعـها تقطيعًا متساويًا ، بحـيث تتفق فى البناء النـحوى اتفاقًا تامًا ، وسواء اتفقـت هذه الجمل فى الـدلالة أم لم تتـفق فالمهم هـو تطابقهـا التام فى الـبناء النحوى على نمط قول طه حسين : ولم تصعد من صدر آمنة زفرة

ولا انحدرت من عين آمنة عبرة [1] .

فهاتان الجملتان متوازيتان لاتفاقهما فى البناء النحوى المكون من :

نفى + فعل + جار ومجرور + مضاف إليه + فاعل .

وللجمل المتوازية تاريخها فى التراث العربى وإن لم يعطها النحاة واللغويون مكانتهـا اللائقة ؛ فنحن نجدها فـى القرآن الكريم فى نماذج عديدة نـسوق منها الآتى :

- وأنه هو أضحك وأبكى .

وأنه هو أمات وأحيا .

- ووجدك ضالاً فهدى .

ووجدك عائلاً فأغنى .

- فأما اليتيم فلا تقهر .

وأما السائل فلا تنهر .

---

(١) على هامش السيرة ١/ ٥٤ .

- والليل إذا يغشى .

والنهار إذا تجلّى .

- فليضحكوا قليلاً .

وليبكوا كثيراً .

- الذى خلق فسوّى .

والذى قدّر فهدى .

وإذا طالت الجملة فى النص القرآنى فإن السمة الغالبة عليها هو التوازى ؛ كما فى قوله تعالى :

- فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى .

وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى .

ولو ذهبنا نحصى التوازى بين الجمل فى القرآن الكريم لصعب حصره لكثرته كثرة تحتاج إلى دراسة خاصة .

ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم كتاب العربية الأول ، بل نلاحظ استمرار هذا النمط عند مؤلفين مثل الجاحظ وأبى حيان ؛ فمثلاً يقول الجاحظ فى البخلاء :

- وللضحك موضع وله مقدار .

وللمزج موضع وله مقدار .

- وقد ضحك النبى ومزح .

وضحك الصالحون ومزحوا .

ويقول فى كتاب الحيوان :

- ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ

ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء

- فالسخيف للسخيف

والخفيف للخفيف

والجزل للجزل

- والإفصاح فى موضع الإفصاح

والكناية فى موضع الكناية

والاسترسال فى موضع الاسترسال[1]

والتوازى بين الجمل عند الجاحظ سمة من سماته الأسلوبية ؛ وهى متناثرة فى كتبه بكثرة .

وهناك علم آخر من أعـلام العربية اتضحت عنده هذه الظـاهرة فى مؤلفاته وهو أبو حيان التوحيدى ؛ فهو يقول مثلاً :

- إننا نقـول ما نقـول عن وعى وحصر .

ونتطاول ما نتطاول عن قماءة وقصر [2] .

- فإن خبرت عن الاسم بالاصطلاح كان ضلالاً منك .

وإن خبرت عن المعنى بالمعقول كان وبالاً عليك [3] .

- وإن كان بليغًا ، ويتبلد .

وإن كان متحفظًا ، ويغيب .

وإن كان حاضرًا ، ويعجز .

---

(١) الحيوان ٣/٣٩ .

(٢) الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) السابق ص ٧٠ .

وإن كان قادراً ، ويحار .

وإن كان ناظراً ، ويكلّ [1] .

- من رام الخبر عنه تاه

ومن حدَّث نفسه بالظفر شاه [2] .

وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة عرفت فى التراث البلاغى بما يسمًّى فى الشعر حسن التقسيم ، وبما يسمى فى النثر الازدواج ، فإن حدث التوازى بين الجمل على مستوى الشعر سُمِّى ذلك حسن تقسيم ؛ كما فى قول شوقى :

الدين يسر ؛ والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

أما إن حدث هذا التوازى بين الجمل على مستوى النثر سُمِّى ذلك ازدواجًا؛ كما فى قول قس بن ساعدة الإيادى :

- ليل داج ، ونهار ساج .

- إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا .

وهناك من اصطلح لهذا التوازى مصطلحًا هو المماثلة ، ومثَّل له بقوله تعالى : وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم .

ومثَّل له بقول البحترى يمدح الفتح بن خاقان فى مبارزته للأسد .

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعًا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا [3]

أما فى مستويات العربية الفصحى فى العصر الحديث فيتضح تفاوت استخدام الجمل المتوازية ؛ ولكن هذا البحث يقتصر على تناولها فى عمل

(1) الإشارات الإلهية ، ص ٢٨٤ .

(2) السابق ٧٥ .

(3) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغى ، ص ٣٦٤ .

واحد من أعمال طه حسين ؛ وهو رواية : أحلام شهر زاد ؛ يقوم برصد هذه الظاهرة ويبين أسبابها ويستخلص نتائجها ؛ ثم يقوم باستخراج الجمل المتوازية من هذه الرواية ، يصنفها فى عدة أنماط نحوية ، ويبين أكثر هذه الأنماط شيوعًا فى الرواية ؛ ثم يوضح العلاقة بين الجمل المتوازية وكل من : البناء النحوى ، والدلالة ، والإطناب ، والتضاد الدلالى والتجنيس ، وأدوات الربط ؛ وأعنى بأدوات الربط حروف العطف ؛ وحروف الجر . ثم يرصد البحث فى النهاية أهم النتائج التى توصَّل إليها .

أولاً : أنماط الجمل المتوازية :

يمكننا أن نقسم الجمل المتوازية التى وردت فى « أحلام شهر زاد » إلى عدة أنماط نحوية ، ومن خلالها نجرى الدراسة ؛ وهذه الأنماط هى :

١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة .

٢ - أنماط الجمل الفعلية المنفية .

٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة .

٤ - أنماط الجمل المنسوخة .

٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية .

٦ - أنماط أجزاء الجمل .

١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة :

جاءت الجمل الفعلية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى قصته هذه فى تسعة أنماط هى :

أ - النمط الأول : فعل + فاعل :

- ثم يجمد كل شيء
  ويخمد كل شيء [أحلام شهر زاد ١٠٧]
- انعقد لسان شهريار
  وانعقد لسان شهر زاد [أحلام شهر زاد ١٠١]
- تهبط ثم تهبط
  وتضيق ثم تضيق [أحلام شهر زاد ٩٦]
- فانعقدت الألسنة
  وانحنت الرؤوس [أحلام شهر زاد ٣٥]
- ينظرون وكأنهم لايرون
  ويصغون وكأنهم لايسمعون [أحلام شهر زاد ٩٣]

ومن الملاحظ على هذا النمط أنه قليل الاستعمال عند طه حسين بالقياس إلى غيره من الأنماط الأخرى ، لأنه أقل الجمل البسيطة تركيبًا ؛ وأقلها أداء للمعنى ، ولذا نجده غالبًا ما يستعمل هذا النمط معطوفًا عليه بجملة أخرى ، تكون أقدر في التعبير عما يريده ؛ أو يستعمل بعد الفاعل تمييزًا ملحوظا .

- لقد انعقد لسان شهريار ، لأنه احس وعجز عن تصوير حسه
  وانعقد لسان شهرزاد ، لأنها شعرت وعجزت عن تصوير شعورها
  [أحلام شهر زاد ١٠١]

- وامتلأ قلبه سكينة

وآنست نفسه أمنا ودعة [أحلام شهر زاد ١٣]

ب - النمط الثانى : فعل + فاعل + شبه جملة

- تصل إلــى نفــوس الرقــود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا اخرى

[أحلام شهر زاد ١١]

- قد زهدت فى ملوك الجن جميعًا

واستيأست من حياة الجن جميعًا

[أحلام شهر زاد ١٧]

- قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها الأولى

[أحلام شهر زاد ٣٥]

- تبـدأ فـى موعـد موقـوت

وتنتهى عند أجل محدود

[أحلام شهر زاد ٤٠]

- قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفـت علـى جليـة أمره

[أحلام شهر زاد ٥٤]

- يستعـدون لكـل حـادثة
ويتأهبـون لكـل كـارثة

[أحلام شهر زاد ٩٠]

- يتسـع مـن ضيـق
وينفـرج مـن تقـارب

[أحلام شهر زاد ١٠٦]

- شقـى فيـه وسـعد
ونعـم فيـه وابتـأس

[أحلام شهر زاد ١٣٢][1]

ونلاحظ على هـذا النمط من الجمل المتـوازية أن الفاعل فيها غـالبًا ضمير مستتر ؛ كما نلاحظ أن شبه الجملة الذى يأتى بعد الفاعل يغلب عليه أن يكون حرف جر واسمًا مـجروراً بهذا الحرف ، كما يغـلب أن يكون بعد شبـه الجملة بعض المكملات الأخرى التى يتمم بها طه حسين المعنى ، فنجده يتمم فى المثال الأول بالظـرف : أحيانًا ، وفى المثال الـثانى بالتوكـيد : جميعًا ، وفى المـثالين الثالث والرابع يتمم بالنعـت : الأولى ، موقوت ، محدود ، وقد يتمم بمضاف إليه كما فى المثالين : الخامس والسادس ، وقد يـعطف على هذه الجملة بجملة أخرى تتوازى مع ما بعدها فى البناء النحوى كما فى المثال الأخير .

وهناك ملاحظة هامة على هذا النمط وهى أنه يستعمل كاف التشبيه المتصلة « بما » الموصولة ثم ينسق جملة الصلة أيضًا تنسيقًا متوازيًا ؛ كما فى قوله :

---

(١) انظر بقية هذا النمط فى الصفحات الآتية ٣٢ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

- يشعـــرون كمـــا نشـعر

ويحســـون كمـــا نحسّ

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

- فيأشـر عـدوك كما أشرت

ويبطر خصمك كما بطرت

{ أحلام شهر زاد ١٣٦ }

- لتستمتع باليقظة كما استمتعـت بالنـوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

{ أحلام شهر زاد ٩٩ }

وهذا النمط يكثـر إلى حد ما عند طه حسين ، لأن مجئ شبـه الجملة بعد الفعل والفاعل يتـيح له التنويع فيها والعطف عليهـا ؛ وهذا من شأنه أن يحقق له التوازن الموسيقى إلى جانب وضوح المعنى .

جـ - النمط الثالث : فعل + فاعل + مفعول به

- فمـــدّ بصـــره

ومـــدّ سمعـــه

{ أحلام شهر زاد ١٤ }

- قد قـــرات كتب الأولين

وعرفت حكمـة المحدثين

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- يحبـــون الخـــير

ويكرهـــون الشـــر

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

وهذا النمـط قليل الورود عند طه حسين ، ربما لأنه يرى فيه نمطًا تـقليديًا وضعه النحاة لبـناء الجملة الفعلية ؛ ولا يعبر عـن فكره وشعوره ؛ وخاصة إذا كانت الفكرة كلية والمعنى ممتدًا .

د - النمط الرابع : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة

- يمـد يـــده عـــن يمـــين

ويمد يـــده عـــن شمال

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- وضمَّ يـديه إلى صـدره

ودعا النوم إلى نفســه

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- ومد بصره في الظلمـة المتكاثفة

ومد سمعه في الصمت المنعقـد

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فملأ صدره من نسيم الليل

وملأ عينيه من ظلمة الليل

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

- ستعرضُ شبابهم للموت
وستعرض أطفالهم لليتم
وستعرض أموالهم للفناء
وستعرض شيوخهم للبؤس والثكل
وستعرض نساءهم للتأيم والشقاء

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- تأتى ما تأتى من الأمر
وتحدث ما تحدث من الهول

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لايستطيع تحريكها إلى التفكير
وأحس جسمه ثقيلاً عليه لايستطيع دفعه إلى النشاط

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النمط يأتى عند طه حسين بكثرة ؛ بل هو أكثر الأنماط النحوية استعمالاً عنده لأنه يتيح له تحقيق الإيقاع الموسيقى فى يسر وسهولة ؛ كما أن شبه الجملة بعد المفعول به يتيح له أن ينوع فيها بما يحقق له التوازى بين الجمل ؛ فقد يكمل بعد المفعول به بجار ومجرور - كما فى النماذج السابقة - كما قد يكمل بحال أو بنعت كما فى قوله :

قضى بقية ليله سائرًا حائرًا
وكان خليقًا أن يقضيها هادئًا راضيًا

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

وقد يكمل بنعت كما فى قوله : يتبــع هــواه الجامــح

ويركب شهوته المندفعة

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

وقد يكمل بجملة صلة كما فى قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع

واحمل ما تستطيع ان تحمل من حزن

واعمل ما تستطيع أن تعمل مـن خير

وتجرَّع ما تستطيع أن تتجرع مـن ندم

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

وقد يكمل بجملة معطوفة كما فى قوله :

- ندعوهــا فتجيــب

ونأمــرهـا فتطيــع

{ أحلام شهر زاد ٦٤ }

وقد يكمل بظرف يتبعه جملة كما فى قوله :

- فعرف الحب حين يبلغ أشد أطواره عنفا

وعرف الحب حين يبلغ أعظم أطواره رقة ولينًا ولطفًا

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

وقد لايكتفـى بمكمل واحد بل يتعداه إلـى أكثر من مكمل حتى يـتحقق له التوازن الموسيقى الذى ينشده بين الجمل ، كما فى قوله :

- فملأ صدره من نسيم الليل بما يحمـل مـن عطر رطـب لذيـذ

ومـلأ عينيه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

[أحلام شهر زاد ٣٩]

قد يلجأ طه حسين إلى استعمال الجملة المركبة فتطول منه عند ذلك يحرص أشد الحرص على إحداث التوازن الموسيقى ، لأنه يشعر أن طول الجملة يجعلها تفقـد معناها لدى المـتلقى ، ولا سبيـل إلى استحضـار معناها إلا بهـذا الإيقاع الموسيقى ؛ الذى يحقق -إلى جانب الجرس الجميل- وضوح المعنى وظهوره .

هـ - النمط الخامس : فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان

- وقاسمتـك ما أتيـح لك مـن نعيـم

وشاطرتك ما قُضى عليك من بؤس

[أحلام شهر زاد ١١]

- يرونـه قصـيراً

وأراه طـويلاً

[أحلام شهر زاد ٣١]

نلاحظ فى النـموذج الثانى أن طه حسين متأثر فيه بالقرآن الكريم ؛ فقد استقـى المعنى من قولـه تعالى : ﴿ إنهم يـرون بعيداً ونراه قريـباً ﴾ ثم أحدث التوازن بين الجملتين على نسق القرآن الكريم .

وهذا النمط من الأنماط التى استعملهـا بقلة ، لأن الأفعال المتعدية لمفعولين فى العربية قليلة ، كما أنها تفرض عليه نسقاً قد يجد فيه قيوداً ، أو لأن الجملة

تطول وتتداخل ، وهذا يحتاج منه إلى أن يجهد نفسه فى إحداث الإيقاع الموسيقى والتوازن .

و - النمط السادس : شبه جملة + فعل + فاعل

- ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفا

ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

[أحلام شهر زاد ٨٢]

فى هذا النمط لم يراع طه حسين الرتبة التى وضعها النحاة ؛ فشبه الجملة عنده تقدَّم على الفعل والفاعل ، وكان حقه أن يتأخر عنهما ؛ ورغم خروج هذا النمط على مألوف النحاة فإن طه حسين لم يستعمل منه فى « أحلام شهر زاد » إلا هذا النموذج .

ز - النمط السابع : فعل + شبه جملة + فاعل + مفعول به

- تندى له الجباه

ويتصبب له العرق

[أحلام شهر زاد ١٠٧]

- وقد ثاب إليه حزمه وعزمه

وعاد إليه حدّه وجِدّه

[أحلام شهر زاد ٨٧]

- يختلط فيه هـــذا كله
ويشتبه فيه هـــذا كله

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

- قـــد ثاب إليـــه الأمن
وعادت إليها الطمأنينة

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

- وقد جاشت فى نفسه عواطفه الثائرة
واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء

{ أحلام شهر زاد ٣٨ }

- فثاب إلى قلبه المذعور شىء من أمن
وثاب إلى نفسه اليائسة شىء من رجاء

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

ومن الملاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط كثيرًا ، وتقديمه هنا شبه الجملة على الفاعل مخالف أيضًا لما قرره النحاة ، ولكنه بتقديمه شبه الجملة تتاح له الفرصة ليحدث التوازن المعتاد بين الجمل ؛ فالفاعل الذى جاء به فى نهاية الجملة قد يعطف عليه - كما فى المثال الثانى - ، وقد يؤكده - كما فى المثال الثالث ، وقد يصفه - كما فى المثال الخامس - ، وقد يأتى به نكرة ويتبعه بجار ومجرور لتزداد مساحة الجملتين المتوازيتين - كما فى المثال الأخير - .

ح - النمط الثامن : فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به

- يثيـــر فى نفســك القلـــق
ويبعث فى قلبــك الخـــوف

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- اقترفـت من الإثـم مثل ما اقترفـوا
واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

{ أحلام شهر زاد ١٤٠ }

- أصف لك ما لايوصف
وأصور لك ما لا سبيل إلى تصويره

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

- فتبعث من أفواههـا أصواتًا قصيرة حلوة
وتبعث فى أجنحتها خفقات يسيره ....

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- وقد قدرت له أحـلام صاحبته تقديرًا
وقطّـرت له أحاديثها تقطيرا

{ أحلام شهر زاد ٤٠ }

ونلاحظ أن هذا الـنمط استعمـله طه حسين كثـيرًا ، لأنه وجد فيه بـغيته لتحقيق التوازن الموسيقى المنشود ، كما أن بناء الجملة فيه بناء غير مالوف يلفت انتباه المتلقى ، وهذا ما كان يحرص عليه طه حسين أشد الحرص ، لأنه لايملك أن يشيـر للمتـلقى بيـده أو يهز رأسه أو يأتـى من الحركات الـتى تساعـد على توصيل الفكرة لدى المتلقى ؛ فهو لايملك إلا رنين الكلمة ووقعها فى النفس .

ط - النمط التاسع : فعل + مفعول به + فاعل + شبه جملة

- قد صرفته الحياة عن الأحياء
وصرفته الطبيعة عن الناس والأشياء

{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- تصرفه فى فنون الهزل والجـد
وتنقله فى أطوار المرح والهدوء

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

- يمسهـــا جناح مـن لين
أو يصيبها عارض من شدة

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- فضمـــته فـى رشـــاقة
وقبلتـــه فـى عنـــف

{ أحلام شهر زاد ٦٧ }

- تخفيه صروف الحياة وخطوبها
وتظهره محـن الحياة وتجـاربها

{ أحلام شهر زاد ١١٢ }

- خـــذها بحقهـــا
وابلغها من طريقها

{ أحلام شهر زاد ٧٦ }

- دون أن يصيب المدينة منها شر
أو ينال أهل المدينة منها مكروه

{ أحلام شهر زاد ٩٤ }

- لقــد أنزلـــك إلى حيث أنا
أو رفعنى إلـى حيــث أنــت

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة ، لسببين هما : أنه نمط غير تقليدى فيه مخالفة لما قرره النحاة ؛ وهذا يلفت الانتباه ويثير الذهن ، كما أنه ينتهى « بالفاعل » الذى يتيح لطه حسين أن يأتى بمكملات بعده تحقق له التوازى بين الجمل ، كأن يأتى بجار ومجرور كما فى السابق ، وقد يأتى بظرف بعده جملة ليوسع من حيز التوازى بين الجملتين، كما فى قوله :

- إنا ندفعها إلى الموت حين نحارب

ونندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

وقد يعدد من المكملات بحيث يمكن أن نرى فى الجملة الواحدة ثلاثة أحرف للجر ؛ كما فى قوله :

- سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتها

كما كانت تسحره عن نفسه وعما حوله بقصصها

{ أحلام شهر زاد ٧١ }

٢ - انماط الجمل الفعلية المنفية :

وردت الجمل الفعلية المنفية والمتوازية عند طه حسين فى روايته « أحلام شهر زاد » فى سبعة أنماط نحوية ؛ هى :

أ - النمط الأول : نفى + فعل + فاعل + شبه جملة

- فلا يقع بصره على شىء

ولاينتهى سمعه إلى شىء

ولا تصل نفسه إلى شىء

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- لايلوى على شىء

ولا يفكر فى شىء

ولا يقف عند شىء

{ أحلام شهر زاد ٤٢ }

- لاينعمـــون حين ننعـــم

ولا يبتئسون حين نبتئس

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

ونلاحظ أن طـه حسين لم يستـعمل هذا النمـط بكثرة ؛ ولم يرد مـنه فى أحلام شهر زاد سوى هذه النماذج الثلاثة .

ب - النمط الثانى : نفى + فعل + فاعل + مفعول به

- لم يـــــر شيئـــًا

ولم يســمع شيئـــًا

ولم ينكـــر شيئـًا

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- لايقـــــول شيئـًا

ولا يأتـــــى حركة

{ أحلام شهر زاد ٥٦ }

- لا تصيــب أحدًا بما يحب .

ولا تصيب أحدًا بما يكره

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فلن تغسل قطرة من تلك الدمـاء التى سفكتها
ولن تُرضى نفسًا من هذه النفوس التى أزهقتـها
ولن تمحو سيئـة من هذه السيئات التى اقترفتهـا

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- لايشبـه النهار كما عـرفه
ولايشبه الليل كما ألفـــه

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النـمط كثير إلى حد ما عند طه حـسين وهو يتأرجح بين القصد والطول ، وفى الحالتين التوازى واضـح فيهما ؛ والبناء النحوى بين كل جملتين أو ثلاث محدد .

جـ - النمط الثالث : نفى + فعـل + فاعل + مفعول به + استثناء + جملة فعلية

- لايرى شيئًا إلا اجتهد فى أن يعرف مصدره وغايته
ولايسمح شيئًا إلا جد فى أن يفهم ظاهره وتأويله

{ أحلام شهر زاد ٣٦ }

- لا تدنيـــــه إلا لتقصيه
ولا تلطف به إلا لتعنف عليه

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أنه لم يرد مـن هذا النمط فى الرواية سوى هذيـن النموذجين ؛

ويبدو أن طه حسين وجد فى أساليب القصر الأخرى بغيته ؛ ولذا فلم يكثر من استعماله .

د - النمط الرابع : نفى + فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثانٍ

- لم تمنح واحدًا منهم ابتسامة

ولم تهد إلى واحد منهم نظرة

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

هذا النمط أكد حرص طه حسين على سلامة اللغة أكثر من حرصه على تحقيق التوازى بين الجمل ، فقد كان بإمكانه أن يجعل الجملة الثانية : ولم تهد واحدًا منهم نظرة ، ليحقق بها التوازى التام مع الجملة الأولى ، ولكنه هنا آثر سلامة البناء النحوى ؛ فالفعل أهدى لايتعدى بنفسه إلى مفعولين كالفعل «منح» فى الجملة الأولى .

ولم يرد من هذا النمط عنده سوى هذا النموذج .

هـ - النمط الخامس : نفى + فعل + فاعل + جار ومجرور + مفعول به .

- فلن اعصى لك أمرًا

ولن أرد عليك قولاً

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- لم تقص عليه شيئًا

ولم تتحدث إليه بشىء

{ أحلام شهر زاد ١٢٥ }

- فلم ينكر في الغرفة شيئًا

ولم ير فيها شيئًا خليقًا بالالتفات

{ أحلام شهر زاد ٧٥ }

- لا أحب منهم أحدًا

ولا أبغض منهم أحدًا

ولن أتزوج منهم أحدًا

{ أحلام شهر زاد ٦٢ }

ونلاحظ على هذا النمط ما يأتي : المثال الأول تأثر فيه طه حسين بالقرآن الكريم ؛ في قوله تعالى : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرًا ﴾ ، والمثال الثاني أكد براعة طه حسين في استعمال الأفعال اللازمة والمتعدية ؛ ومعرفة الفعل المتعدى بنفسه ، والمتعدى بحرف الجر ، والمثال الثالث أكد تخلى طه حسين عن التوازى التام بين الجمل ؛ متذكرًا أنه لايقول شعرًا يقتضى حسن التقسيم ؛ ولا يقول نثرًا يقتضى المماثلة بين الجمل ؛ وإنما هو كلام مسترسل لا يستلزم التوازى التام ؛ ولذا زادت الجملة الثانية كلمتين عن الأولى : خليقًا بالالتفات .

و - النمط السادس : نفى + فعل + مفعول به + ظرف + فاعل + جار ومجرور

- لم يعرفه قبل اليوم أحد من الجن

ولم يعرفه قبل اليوم أحد من الناس

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

لم يرد من هذا النمط سوى هذا النموذج ، الأمر الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله كثيراً .

ر - النمط السابع : نفى + فعل مبنى للمجهول + نائب فاعل + جار ومجرور

- لا تُحسب بالساعات والأيام

ولا تُحسب بالشهور والأعوام

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

لم يستعمل طه حسين من هذا النمط سوى هذا النموذج ، ونلاحظ على هذا النموذج أن فيه نوعين من الجرس الموسيقى : التوازى بين الجملتين ؛ إلى جانب السجع كما فى : الأيام ، والأعوام .

وقد يتقدم شبه الجملة (الجار والمجرور) على نائب الفاعل وتصير الجملة فى هذه الحالة مكونة من : نفى + فعل مبنى للمجهول + جار ومجرور + نائب فاعل، مثل هذا النموذج :

- لا يُنقــع له غُلَّــة

ولا يُشفى له صـدى

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

والغريب أن النمـط التقليدى الذى وضعه النحـاة ؛ وهو : نفى + فعل + فاعل + مفعــول به + شبه جملة ، لم يستعمله طه حسين مطـلقًا فى روايته ، وإنما شبه الجملة عنده يتقدم نائب الفاعل ، أو المفعول به .

٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة :

وردت الجمل الاسمية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى روايته فى سبعة أنماط نحوية هى :

أ - النمط الأول : مبتدأ + خبر (مفرد) + شبه جملة أو نعت :

- فالحرب محتملة دائمًا
والشر متوقع أبدًا

{ أحلام شهر زاد ١١٧ }

- كل شىء هامد خامد
وكل شىء جامد راكد

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ }

- هذا أكثر مما كنت أرجو
هذا أكثر مما كانت أنتظر
هذا أكثر مما كنت أظن

{ أحلام شهر زاد ١١٤ - ١١٥ }

- فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد
وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماد القرب

{ أحلام شهر زاد ٨٥ }

- أنت مشوق إلى أن تسمع منها وإلا قتلتها
وهى مشوقة إلى أن تتحدث إليك وإلا قتلتك

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

- أنت ضيق بغموض شهر زاد لا تستطيع له احتمالا

هى أيضًا ضيقة بوضوحك لا تستطيع له استقبالا

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

- أنت مشوق إلى قصص شهر زاد لا تستطيع عنه صبراً

هى مشوقة إلى هذا القصص لا تستطيع عنه إعراضًا

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

- أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم

وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت

وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت

وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة

وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ونلاحظ أن طه حسين لم يبن هذا النمط من مبتدأ وخبر فحسب وإنما أضاف للخبر مكملات يتم بها المعنى ويتحقق بها التوازن الموسيقى ؛ وهذا النمط ورد عنده كثيراً .

ب - النمط الثانى : مبتدأ + خبر { جملة فعلية }

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر

وهذا يقدم إليه أقاليم البر

وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- هـــم يحبونك ويتنافسون فيك

وأنت تزدريهم وترفعين عنهم

{ أحلام شهر زاد ٥٩ }

- فـــأنا أراك الآن رأى العـين

وأنا أعرفك الآن حق المعرفة

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

- أنت تريد أن تلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث

وهي أيضًا تريد أن تلهو عن وضوحـك بما تقص عليك مـن أخبـار

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

جـ - النمط الثالث : مبتدأ + خبر (شبه جملة)

- هـم فى حاجة دائمًا إلى أن يشكو

فهم فى حاجة دائمًا إلى أن يجدوا مصدرًا للشكوى

{ أحلام شهر زاد ٢٥ }

ولم يرد من هـذا النمط غير هذا الـنموذج ؛ الذى يؤكد أن طـه حسين لم يستعمله بكثرة .

د - النمط الرابع : خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

- ومنهـــا الخيـــر

ومنهـــا الشـــر

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيهـــا شيء من حسرة

وفيهـــا شيء من يـأس

وفيهـــا شيء من حـزن

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيها كثير من العطف

وفيها كثير من القسوة

وفيها كثير من الإغراء الذى يثير الطمع

وفيها كثير من الإباء الذى يملأ النفس يأسًا وقنوطًا

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- أين نحن الآن من النهـار

وأين نحن الآن من شئون الملك

وأين نحن الآن من شئون أنفسنا

{ أحلام شهر زاد ٥٢ }

- وفي قلوبنا - نحن الرجال - قسوة

وفي أكبادنا غلظ

وفي طبائعنا شدة وعنف

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- منها ما يقبل
ومنها ما يدبر
ومنها ما ييامن
ومنها ما يشائم

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- ومنهن الراضية كل الرضا
ومنهن الساخطة كل السخط

{ أحلام شهر زاد ١٠٥ }

- أنَّى لنا هذا الزورق
وأنَّى لنا هذا النهر الذى ننحدر فيه
وأنَّى لنا هذه البحيرة التى تقبل عليها

{ أحلام شهر زاد ١٠٦ }

- وفى نفوسهم مثل ما فى نفوسنا من الحزن
وفى قلوبهم مثل ما فى قلوبنا من الأسى

{ أحلام شهر زاد ١٣١ }

- وما سبيله على النوم
وما سلطانه على الأطياف

{ أحلام شهر زاد ١٣٣ }

ونلاحظ على هذا النمط أن طه حسين استعمله بكثرة ؛ وتراوح هذا النمط

بين الطول والقصر ؛ وفى كلتا الحالتين تحقق التوازن النحوى بين الجمل ؛ كما نلاحظ أن تقديم الخبر على المبتدأ جاء فى صورتين : الخبر شبه الجملة ، والمبتدأ المعرفة أو النكرة ، الخبر الذى جاء فى صورة اسم استفهام ؛ والمعروف لدى النحاة أن أسماء الاستفهام لها الصدارة ؛ وتعرب : خبر مقدم، والاسم الواقع بعدها : مبتدأ مؤخر .

هـ - النمط الخامس : مبتدأ + شبه جملة + خبر

- فأنا له زوج
وملكى لملكه تبع

[أحلام شهر زاد ٣٥]

ولم يرد من هذا النمط إلا هذا النموذج ، الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله إلا قليلاً .

و - النمط السادس : مبتدأ [محذوف] + خبر [نكرة] + ظرف أو صفة

- نافرة دائما
جامحة دائما

[أحلام شهر زاد ١٧]

- بحر مضطرب مصطخب
ورياح متناوحة متصايحة
وسحاب متراكم متراكب

[أحلام شهر زاد ١١٨]

ولم يرد هذا النمط عند طه حسين إلا مرتين فى هذين النموذجين

السابقين ؛ ولم يرق هذا النمط له لأنه قائم على الحذف والإيجاز وهو ما يخالف طبيعة طه حسين نفسه التى تميل إلى الإسهاب والإطناب .

ز - النمط السابع : إذا الفجائية + مبتدأ + خبر

- فإذا الأرض تميد

وإذا الجو يكفهرّ

{ أحلام شهر زاد ٩٢ }

- وإذا الملك يستوى جالسًا

وإذا الملك ينهض قائمًا

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

ويبدو أن استعمال إذا الفجائية قد صارت من أدوات الربط الجاهزة عنده ؛ فيقول كذلك : وإذا الملك يسعى خطوات قصارًا ... وإذا العاشقان يلتقيان ... وإذا الزورق ينساب بهما فى نهر ضيق هادئ .

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

٤ - أنماط الجمل المنسوخة :

وردت الجمل المنسوخة عنده فى الرواية تحمل عدة أنماط نحوية هى على الوجه التالى :

أ - النمط الأول : فعل ناسخ + اسمه + خبره + مكملات

- فقد كان الملك يائسًا أشد اليأس من شهر زاد

وكان ضيقًا أشد الضيق بشهر زاد

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء
كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمة والحب وفى كثير من الإكبار والإجلال.

[أحلام شهر زاد ٩٣]

- فلست فى عالم الليل والنهار
ولست فى عالم النوم واليقظة
ولست فى عالم الحلم والعلم

[أحلام شهر زاد ١٢٩]

- ليس هـذا حقًا
وليس هذا عدلاً

[أحلام شهر زاد ٦٠]

ومن الملاحظ أن الجملـة فى هذا النمط تراوحت بين الطـول كما فى المثال الثانى والـقصر كما فى المـثال الرابع ؛ كما نلاحـظ أن الجملتين المتـوازيتين فى المثال الثانى ليس بينهما توازن تام ؛ فقد زادت بعض الكلمات فى الجملة الثانية ولا نظير لـها فى الجملة الأولى مـثل : الحب ، الإجلال ، كما نـلاحظ كثرة حروف الجـر فى هـذا المثـال : إلى ، فى ، مـن ، فى ، مـن ؛ وكثـرة هذه الحروف وما يستتبعها من أسماء بعدها تُجر بـها هى التى تبين لنا السبب الحقيقى فى طول الجملة عند طه حسين ؛ ولذا يمـكن القول إن طول الجملة عنده راجع إلى كثرة حروف الجر فيها كما فى قوله :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء .
كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمـة والحب وفى كثـير من الإكبار والإجلال .

ب - النمط الثانى : فعل ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره

- فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لهـا محبـًا أشد الحـب

[أحلام شهر زاد ٢٤]

- فأصبح الشذوذ لنا طبيعة

واصبح الجموح لنا فطرة

[أحلام شهر زاد ٦١]

ومن الملاحظ أن شبه الجملة عند طه حسين لايستقر فى موضعه الذى قرره لها النحاة ؛ وإنما هو يقدمه هنا على خبر الناسخ وفى مواضع أخرى قد يقدمه على الفاعل ، وعلى المفعول ؛ ويبدو أن شبه الجملة [الجار والمجرور على وجه الخصوص] هو الأداة الطيعة التى يحقق بها طه حسين التوازى بين الجمل .

جـ - النمط الثالث : فعل ناسخ + خبره [مقدم] + اسمه [مؤخر]

- فقد يكون من بينهم من هو خليق بالإعجاب

وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخرية

[أحلام شهر زاد ١١٦]

ولم يستعمل طه حسين هذا النمط إلا مرة واحدة .

د - النمط الرابع : نفى + فعل ناسخ + اسمه + خبره [جملة]

- فلم يكن شىء يستغلق عليها

ولم يكن حكيم يثبت لحديثها

[أحلام شهر زاد ١٦]

- لا يكـــاد يعقل شيئًا

بل لايكاد يأتى حركة

[أحلام شهر زاد ٨٦]

والمثال الثانى الفعل الناسخ فيه من أفعال المقاربة .

هـ - النمط الخامس : حرف ناسخ + اسمه + خبره

- إنهـــا بائسة

إنهـــا يائسة

[أحلام شهر زاد ١١٠]

- إنها شـــاكية

إنها بـاكيـــة

[أحلام شهر زاد ١١٠]

- وإن الظنون تكذب

وإن الآمال تخيب

[أحلام شهر زاد ٦٣]

- كأنها الحياة تسعى إلى الجسم الهامد

او كأنها اليقظة تسعى إلى النائم المغرق فى النوم

[أحلام شهر زاد ٨٠]

- فإن الحرب لايقتلها إلا الحرب
وإن الكيد لايفسده إلا الكيد
وإن الحديد لايفله إلا الحديد

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

- كأن شيئًا لم يتغير من حولها
وكأن حدثًا لم يحدث ....

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- أنى سأظهرك من الأمر على ما لم تكن تقدر أنك ستظهر عليه
وأنى سأطلعك فى قصرك على ما لم تكن تظن أن قصرك يحتويه

{ أحلام شهر زاد ٧٩ }

ومن الملاحظ فى المثالين الأول والثانى حرص طه حسين على تحقيق أكثر من إيقاع موسيقى ؛ ففيهما التوازى بين كل جملتين ؛ وفيهما السجع أيضًا ؛ وفيهما الجناس الناقص ، ونلاحظ فى المثال الأخير طول الجملتين رغم تحقق التوازى بينهما ؛ ويرجع السبب فى طول الجملة كثرة حرف الجر وما يتعلق به؛ ففى الجملة ثلاثة أحرف : من الأمر ، على ما ، عليه . كما نلاحظ تنوع الخبر للحرف الناسخ بين كونه مفردًا وكونه جملة .

و - النمط السادس : حرف ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره .

- ان أبًا من الآباء لم يحبب قط ابنته كما أحببتك
أن فتاة من الفتيات لم تحبب قط أباها كما أحببتنى

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

ولم يرد من هذا النمط إلا هذا المثال ؛ الذي طالت فيه الجملة ليس لتعدد حروف الجر فحسب وإنما لميل طه حسين إلى الإسهاب ، فالكلام عنده لايؤدى بأوجز عبارة ، وإنما يبسطه بسطًا ليحمل أداء موسيقيًا يضاف إلى أداء الأفكار والمعانى .

٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية :

وردت جملة الشرط والاستفهام والتعجب فى عدة أنماط نحوية هى :

أ - النمط الأول : أداة شرط + فعل الشرط + جواب الشرط

- فأينا ثبت حتى يستسلم خصمه فهو المنتصر

وأينا سئم قبل أن يسأم عدوه فهو المهزوم

{ أحلام شهر زاد ١١٦ }

- فأيكم أراد أن يتخذها لنفسه زوجًا فليخطبها إلى نفسها

وأيكم ظفر منها بالرضا فله ملك أبيها مهرًا

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

نلاحظ طول جملة الشرط ؛ كما نلاحظ عدم التوازى التام بين كل جملتين ؛ فقد فلت زمامه منه لكثرة ما احتشد فى ذهنه من معانٍ وألفاظ .

ب - النمط الثانى : جواب الشرط + أداة الشرط + فعل الشرط

- لا تثبت القلوب للحظاتها إذا نظرت

ولا تثبت النفوس لصوتها إذا تكلمت

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- كانت تتحرق شوقًا إليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل
وتتحرق شوقًا إليه إذا أقبل النهار

{ أحلام شهر زاد ٢٢ }

ورغم أن هذا النمط خارج عن مألوف اللغة وما قرره النحاة فإن طه حسين لم يستعمله بكثرة .

جـ - النمط الثالث : اسم استفهام + جملة فعلية

- كيف انتهى إليها ؟
كيف حُمل عليها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- ماذا رأى فيها ؟
وماذا عرف منها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- كيف يكون إفناء القوة ؟

وكيف يكون دحر الأعداء ؟

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

ونلاحظ أن هذا النمط لم يستعمل بكثرة عند طه حسين لأن طبيعته الاستطرادية تقتضي التقرير والإخبار لا تقتضي الإنشاء .

د - النمط الرابع : همزة استفهام + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر + أم + معطوف

- أنائم هو أم يقظان ؟
أحالم هو أم عالم ؟

أعاقل هو أم مجنون ؟

[أحلام شهر زاد ١٢٨]

أقام طه حسين هذا التوازى بين الجمل على التضاد بين كل كلمتين ، ورغم سهولة هذا النمط فى تحقيق التوازى فإنه لم يستعمله بكثرة .

هـ - النمط الخامس : ما التعجبية + فعل التعجب + التعجب منه

- ما أعـذب هـذا الصوت
وما أجمل هـذا الغنـاء

[أحلام شهر زاد ١٠٠]

- فما أكثر ما قـال الملك بعينيه لشهر زاد
وما أكثر ما قالت شهر زاد بعينيها للملك

[أحلام شهر زاد ١٠١]

لم يكثر طه حسين من هذا النمط المألوف الذى لايجد من الخروج عليه مفرًا ؛ والذى لايتيح له فرصة التنويع فى الأداء .

٦ - أنماط أجزاء الجمل :

نعنى بأجزاء الجمل أن طه حسين كان يأتى إلى جزء من الجملة ثم يعطف عليه جزءًا موازيًا له ، أو قد يعيده بلفظه مرة ثانية ، أو قد يعيده بمعناه دون لفظه ؛ فمثلاً يقول : وهذه التضحية الآثمة بالنفوس التى أمر الله أن تُعصم
والدمـاء التى أمر الله أن تحقن
والحرمات التى أمر الله أن ترعى

فهو فى هذا المثال لم يواز بين جملتين وإنما أخذ شبه الجملة والاسم الموصول وجملة الصلة ثم عطف عليها ما يوازيها فى البناء النحوى ؛ وهكذا يفعل فى أجزاء الجمل .

وهذا التوازى الذى يحدثه طه حسين بين أجزاء الجمل هو أكثر الأنماط استعمالاً عنده ، وهذه الأنماط هى :

أ - النمط الأول : جار ومجرور + اسم موصول { نعت } + جملة الصلة

- بهذا الضوء الرقيق الذى يترقرق بينهما
وبهذه الأصوات الرشيقة التى تبلغه من حين إلى حين

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- عن هذه الابتسامة التى كانوا ينتظرونها
وعن هذا الأمل الذى كانوا يداعبونه

{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- على هذا النحو الذى لم يعتده الملوك
وعلى هذا النحو الذى لم يألفه المحبون

{ أحلام شهر زاد ٤٩ }

- تلقاه بهذا العطف الذى لم يتعوده
وبهذا الحنان الذى لم يألفه

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة لوجود الجار والمجرور ثم جملة الصلة التى يمكنه أن يحقق من خلالها التعادل الموسيقى المنشود .

ب - النمط الثانى : خبر لناسخ + جار ومجرور + مضاف إليه

- كان أبوها معجباً بهذا الكبرياء
فخوراً بهذا الإباء

محـــبًا لهـذا الامتنـاع

[أحلام شهر زاد ١٧]

- يصبح جـــزءًا من أجــزائها

وعنصرًا من عناصرها

[أحلام شهر زاد ٤١]

- كانت شهر زاد رفيقة به إلى أقصى غايات الرفق

محبة له إلى أبعـد آمـــاد الحب

[أحلام شهر زاد ٥٥]

- فإن الجيوش وسيلة لاتقاء الحرب لا لابتغائها

وأداة لدفع الشـر لا لاجتلابه

[أحلام شهر زاد ١١٧]

جـ - النمط الثالث : اسم مجرور + نعت

- إنما تحسب بالقــرون المتتابعـة

والأحقاب المتلاحقة

[أحلام شهر زاد ١٨]

- بيدهـــا الرخـصة الناعمة

وصوتها العـــذب الجميل

ووجهها المشـــرق الوضاء

[أحلام شهر زاد ٢٧]

- سائلاً عن إرادته أين نــدّت

وعن قوتـه أين شردت

[أحلام شهر زاد ٥٦]

د - النمط الرابع : اسم موصول + جملة صلة + جار ومجرور

- بما يضطرب فى نفس الملك من قلق

وما يملأ قلبه من حزن

{ أحلام شهر زاد ٢٣ }

- ألقوا بكل ما أعـدوا من عدة

وما حشدوا من جند

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

هـ - النمط الخامس : جار ومجرور + مضاف إليه

- ولو استطعت لمضيت فى تشجيعك على هذا الامتناع

وإغرائك بهـذا الإبـاء

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

- كان يسأل نفسه عن مصدر هذه الحيرة

وعن علة هذا السهاد

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

و - النمط السادس : حال + لا العاطفة + معطوف

- أن ينصبوا لى الحرب مؤتلفين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين

{ أحلام شهر زاد ٣١ }

ز - النمط السابع : أن المصدرية + فعل مضارع + فاعل + معطوف

- كان يريدهم على أن يصطنعوا الدقة كما يصطنعها

ويمعنوا فى التفكير كما يمعن فيه

[أحلام شهر زاد ٣٧]

- نحن قد ألفنا أن نأمر ولا نأتمر

وأن ننهى ولا ننتهى

وأن نطاع ولا نطيع

[أحلام شهر زاد ٦١]

- ولم يستطيعوا مع ذلك أن يجهروا بما أضمروا

أو أن يعلنوا بما أسروا

[أحلام شهر زاد ١٣٤]

ح - النمط الثامن : تمييز (ملحوظ) + جار ومجرور

- ازدادت حسنًا إلى حسن

وجمالاً إلى جمال

وفتنة إلى فتنة

[أحلام شهر زاد ١٨]

ط - النمط التاسع : خبر المبتدأ + جار ومجرور + مضاف إليه

- إنما هو ناصع كضـوء الشمس

رقيق كضـوء القمـر

حلـو كابتسامة العـذراء

{ أحلام شهر زاد ٨٤ }

ى - النـمط العاشـر : حال { مفـردة } + حال { جملـة } + جار ومجرور

- أقبل الملك وَجِـلاً يخفى وجله فى كثير من الجهد

ومذعوراً يُسِـرُّ ذعره فى كثير من العناء

{ أحلام شهر زاد ٨٦ }

ك - النمط الحادى عشر : فاعل + حال { جملة }

- وتمضى على ذلك الأيـام تتلوها الأيـام

والليالى تتبعهـا الليالـى

{ أحلام شهر زاد ١٢٠ }

ل - النمط الثانى عشر : مبتدأ مؤخر + نعت

- فهنـاك أوامـر يجب أن تصدر

وجنود يجب أن تعبـأ

وأمور يجب أن تهيـأ

{ أحلام شهر زاد ٨٧ }

- ولها أحيانًا هفيف كهفيف الأغصان

واحيانًا اخرى فحيح كفحيح الحيات

- واحيانًا اخرى صفير مخيف

وأحيانًا أخرى زئير مزعج

[أحلام شهر زاد ٩٥]

م - النمط الثالث عشر : مضاف إليه + نعت

- والتمس عند القائلين ما أحببت من وصف

الجنات الرائعة

و الرياض البارعة

والحدائق الملتفة

والغابات المتكاثفة

والأزهار المنسقة

والغدران المصفقة

[أحلام شهر زاد ١٠١]

ن - النمط الرابع عشر : مفعول به + نعت او مضاف إليه أو جار ومجرور

- ذلك خليق أن يرد نفسك إلى الراحة

وقلبك إلى الاطمئنان

[أحلام شهر زاد ٣٢]

- فالتمس لى إذًا فرجـــًا من هذا الحرج
ومخرجًا من هذا المأزق

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

- ستجد عند الملك أمنـا من هذا الخوف
ووزرًا من هذا الفــزع

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- يعرفــون جمالهـا الرائع
وحسنها البارع

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

س - النمط الخامس عشر : اسم تفضيل + مضاف إليه + تمييز

- إنما تريد أن تقترن بأقوى ملوك الجن قوة
وأشدهـم أيـدًا
وأعظمهم باسًا
وأبعدهم صوتًا

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

ع - النمط السـادس عشر : حال + شبه جملة + اسـم تفضيل + مضاف إليه

- وتتلقى ضوء الشمس مبتهجة به أعظم الابتهاج
نشيطة له أشـد النشـاط

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

ف - النمط السابع عشر : اسم موصول { مفعول به } + جملة صلة + جار ومجرور

- أريد ما تريده الأم لابنها

وما تريده الأخت لأخيها

وما تريده البنت لأبيها

وما تريده الزوج لزوجها الوفي

وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ص - النمط الثامن عشر : خبر لناسخ + نعت { جملة }

- فقد استقر في نفسه أن صاحبته

بحر لايسبر غوره

وليل لاتنجلي ظلمه

ولغز لا تحل مشكلاته

{ أحلام شهر زاد ٥٤ - ٥٥ }

ق - النمط التاسع عشر : جار ومجرور + حرف عطف + معطوف

- بما تحمله عليه من الرضا والسخط

ومن اللذة والألم

ومن النعيم والبؤس

ومن الظفر والحرمان

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

ثانيا: الجمل المتوازية والبناء النحوى:

ساق طه حسين لنا الجمل المتوازية فى نسقين هامين : تكرار النسق النحوى فقط ؛ ونعنى به تطابق جملة مع أخرى على مستوى البناء النحوى مع الاختلاف فى المعنى ؛ فالجملة الثانية تتوازى مع الأولى فى تركيبها توازيًا تامًا؛ مثل قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع
واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن
واعمل ما تستطيع أن تعمل من خير
وتجرعً ما تستطيع أن تتجرعً من ندم

فهذه الجمل الأربع متوازية فى البناء النحوى توازيا تامًا ، ولكن لكل جملة منها معنى يخالف المعنى الموجود فى الجمل الأخرى ، فإننا لو حلَّلنا نحويًا هذه الجمل لوجدناها تتكون من حرف العطف الفاء فى الأولى ، والواو فى بقية الجمل ثم فعل الأمر : اذرف ، احمل ، اعمل ، تجرَّع ، والفاعل الضمير المستتر أنت ؛ ثم المفعول به وهو الاسم الموصول ما ، ثم جملة الصلة؛ وهى الفعل : تستطيع والفاعل الذى جاء فى صورة ضمير مستتر تقديره أنت؛ ثم المصدر المؤول المكون من أن والفعل ، وهذا المصدر المؤول فى محل نصب مفعول به ، وتقدير الكلام : واحمل ما تستطيع حمله من حزن ، ثم أخيرًا شبه الجملة الجار والمجرور المتعلق بالفعل قبله .

وكذلك قوله : منها ما يقبل

ومنها ما يدبر

ومنها ما يامن

ومنها ما يشائم

فالملاحظ على هذه الجمل الأربع أنها متفقة تمامًا فى بنائها النحوى ، حيث تتكون من حرف الجر : من ، والضمير المجرور : هـا ، وشبه الجملة خبر مقدم ، والاسم الموصول : ما هو المبتدأ المؤخر ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب ، والفعل فى جملة الصلة مضارع يبدأ بالياء ثم هو من أصل رباعى : أقبل ، أدبر ، يامن ، شائم ، والملاحظ أن الأول والثانى مزيدان بالهمزة ، والثالث والرابع مزيدان بالألف .

ورغم تطابق البناء النحوى بين هذه الجمل فإنها تختلف فى دلالتها ؛ فلكل جملة معنى يختلف عن غيره .

ويقول أيضًا :

أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم

وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت

وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت

وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة

وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة

هذه الجمل الخمس بنيت بناءً نحويًا متوازيًا ؛ فالمبتدأ : أنا ، ثم الخبر : أم، أخت ، ابنة ، زوج ، خليلة ، ثم كاف الخطاب فى محل جر مضاف إليه، ثم ظرف الزمان : حين ، ثم جملة الصلة : تحتاج ، والفاعل مستتر تقديره أنت ، ثم حرف الجر : إلى ثم المجرور بهذا الحرف ، وأخيرًا المضاف إليه ، ورغم اتفاق هذه الجمل فى بنائها النحوى اتفاقًا تامًا فإن المعنى مختلف .

أما النسق الثانى فهو النسق النحوى الدلالى ؛ ونعنى به توازى جملتين أو أكثر واتفاقهما فى البناء النحوى وأيضًا فى الدلالة .

فالنسق الأول متفق فى بناء الألفاظ فقط دون المعنى ، والنسق الثانى متفق فى بناء الألفاظ والمعنى ، ولذا فالأول بناء نحوى فقط ، والثانى بناء نحوى دلالى ، مثل قوله :

- يتبع هواه الجامح
ويركب شهوته المندفعة

فهاتان الجملتان متفقتان فى البناء النحوى حيث إن كلاً منهما يتكون من الفعل المضارع ، والفاعل المستتر : هو ، والمفعول به ؛ والضمير الهاء مضاف إليه ، ثم النعت المصاغ على اسم فاعل . وهما كذلك متفقتان فى الدلالة ، فالهوى الجامح يعنى أيضًا الشهوة المندفعة .

ومثل قوله :

يستعدون لكل حادثة
ويتأهبون لكل كارثة

فالجملتان مبنيتان بناء نحويًا واحدًا ؛ فكل منهما تشتمل على الفعل المضارع المرفوع بثبوت النون ، وواو الجماعة الفاعل وشبه الجملة الجار والمجرور : لكل ، ثم المضاف إليه فى نهاية الجمل المصاغ على وزن فاعل .

وإلى جانب الاتفاق فى البناء النحوى فهناك نوع من الموسيقى مصدرها الجناس بين : حادثة ، وكارثة ، والسجع كذلك ؛ ونلاحظ من خلال هاتين الجملتين أن طه حسين وزَّع الحروف بين الجملتين المتوازيتين توزيعًا عادلاً ، وكأنه يمسك بكفتى ميزان ؛ فكلما وضع حرفًا فى إحداهما وضع نظيره فى الكفة الأخرى .

ثم جاء المعنى متفقًا بين الجملتين ، فصارت الجملتان ملفوفتين تأخذ كل منهما برقبة الأخرى فى جرس موسيقى بديع ومعنى جلى .

وقوله أيضًا :

- اقترفتَ من الإثم مثل ما اقترفوا
واجترحتَ من الذنب مثل ما اجترحوا

فالجملتان متفقتان فى البناء النحوى ؛ فكل منهما يتركب من الفعل الخماسى المزيد بالهمزة والتاء ثم تاء الفاعل ، ثم الجار والمجرور ثم المفعول به : مثل ، ثم الاسم الموصول : ما مضاف إليه ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل ؛ ولا محل لها من الإعراب .

والجملتان كذلك متفقتان فى الدلالة ؛ فالفعل اقترف يرادفه اجترح ، والإثم هو أيضًا الذنب .

وبذلك تأكد لدينا أن طه حسين ينشئ جملاً متوازنة على مستوى البنية النحوية ، ومتوازنة كذلك على مستوى الدلالة .

ولكنه فى بعض الأحيان لايجعل التوازى بين الجملتين توازيًا تامًا ؛ فقد يتخلى عن ذلك حرصًا منه على أن ينقل إلينا كل ما يختلج فى عقله وقلبه من خواطر ومشاعر ، فليس الجمال الصوتى عنده هدفًا فى حد ذاته وإنما هو وسيلة يتوسل بها لينقل للمتلقى ما يتدفق على ذهنه من معانٍ وأفكار .

فهو يقول : - قد غيرت من رأيها
وعدلت عن سيرتها الأولى

فإضافته كلمة : الأولى بعد : سيرتها أخل بالتوازن ، ولكنه لم يشأ أن يحقق التوازن على حساب المعنى ؛ فقوله : عدلت عن سيرتها فقط يعنى أنها لم تكن تسير إلا سيرة واحدة ؛ أما إضافة كلمة : الأولى فأشعرت المتلقى أن الملكة سارت سيرة ثم عدلت عنها إلى سيرة أخرى ، ثم عادت مرة ثانية إلى ما سارت عليه أولاً .

- وقوله : إنا ندفعها إلى الموت حين نحارب

ونندفعهـا إلى البؤس والشقاء حين نسالم

نلاحظ أن مجئ كلمة : الشقاء بعد كلمة : البؤس أخل بالتوازن بين الجملتين ؛ ولكنه أراد أن يوصل للمتلقى معنى زائداً عما هو موجود فى كلمة: البؤس ، ليؤكد أن حالة السلم لهؤلاء الملوك لا تقل عذابًا عن حالة الحرب .

وقد يحدث الخلل فى التوازى بين الجمل لا بسبب دفقة الفكر والشعور المندفعة من عقل وقلب طه حسين فحسب وإنما لسبب آخر يتمثل فى الحرص على تحقيق السلامة اللغوية

- مثل قوله : لا تدنيـــه إلا لتقصيه

ولا تلطف به إلا لتعنف عليه

فقد اختل التوازن بين الجملتين لاختلاف الفعل فيهما ؛ فالفعل : أدنى متعدٍ لمفعول واحد ، والفعل : لطف لازم وكذلك الفعل : أقصى متعد ، والفعل : عنف لازم ومن هنا جاء اختلال التوازن .

وهذا يؤكد لنا أن حرص طه حسين على سلامة اللغة كان أشد من حرصه على تحقيق الإيقاع الموسيقى .

- وقـوله : لم تقـص عليه شيئًا

ولم تتحدث إليه بشىء

فقد اختل التوازن بين الجملتين لا لشىء إلا لعلم طه حسين أن الفعل : قصَّ متعدٍّ ، والفعل : تحدَّث لازم .

- وقوله : لم تمنح واحداً منهم ابتسامة

ولم تهد إلى واحد منهم نظرة

لقد كان بإمكان طه حسين أن يقول فى الجملة الثانية : ولم تهد واحداً منهم نظرة ؛ ولو أنه قال ذلك لتحقق التوازن الموسيقى ؛ ولكن على حساب صحة اللغة وسلامتها ؛ ولذا فقد آثر هذه على تلك واختل التوازن بين الجملتين واكتمل المعنى وسلمت اللغة .

نخلص من ذلك إلى أن طه حسين قدم لنا نسقين من أنساق الجمل المتوازية: نسق يتطابق فى البناء اللغوى فقط ، ونسق يتطابق فى البناء النحوى والدلالة؛ وإذا اختل هذا التوازن بين الجمل فذلك راجع إلى سببين هامين : حرصه على أن يقدم لنا كل ما يختلج فى عقله وقلبه من خواطر ومشاعر ، وحرصه أيضاً على تحقيق السلامة اللغوية .

ثالثا : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتضاد الدلالى :

نعنى بالتضاد هنا كل كلمتين تختلفان فى اللفظ وتتناقضان فى المعنى ، كالأبيض والأسود ، والحى والميت ، ولا نعنى به اللفظة الواحدة التى تحمل معنيين متناقضين كإطلاق المولى على السيد والعبد .

هناك علاقة وثيقة بين التضاد والجمل المتوازية عند طه حسين ، فهو يلجأ إلى التضاد ليستعين به على بناء الجمل بناء متوازيًا ، فطه حسين جعل التضاد فى خدمة الجمل المتوازية ، وليس العكس ؛ لأننا سنرى من خلال الأمثلة جملاً قائمة على التضاد دون حاجة إلى ذلك إلا الإيقاع الموسيقى فحسب .

فهو يقول : - بما تحمله عليه من الرضا والسخط

ومن اللذة والألم

ومن النعيم والبؤس

ومن الظفر والحرمان ص ٥٥

فهو من خلال الكلمة وضدها صنع توازيا بين أشباه الجمل الأربع ؛ ولا اظن أن المعنى كان فى حاجة إلى كل هذه الثنائيات المتضادة ؛ والمرجح أنه لجأ إلى ذلك لتحقيق مأربه الذى ما فتئ يلح عليه بين الفينة والفينة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .

ويقول أيضًا :

- أنائم هو أم يقظان
أحالم هو أم عالم
أعاقل هو أم مجنون ص ١٢٨

هذا الولع بالثنائيات المتضادة متفش فى كلام طه حسين لايكاد يحيط به الحصر ؛ وهو يكون فى الأسماء والأفعال والصفات .

ويقول أيضًا :

- فلست فى عالم الليل والنهار
ولست فى عالم النوم واليقظة
ولست فى عالم الحلم والعلم ص ١٢٩

فالجمل الثلاث السابقة تتكرر ألفاظها كما هى باستثناء الكلمة وضدها : الليل × النهار ، النوم × اليقظة ، الحلم × العلم .

- ويقول أيضًا :

- أن ننعم وهم بائسون
وأن نقوى وهم ضعفاء
وأن نثرى وهم فقراء ص ٦٠

فكل كلمة فى الجمل الثلاث تتكرر ما عدا التضاد الذى أحدثه بين الأفعال والأسماء : ننعم × بائسون ، نقوى × ضعفاء ، نثرى × فقراء .

ويعكس طه حسين التضاد الذى أحدثه بين الأفعال والأسماء فيجعله فى هذه المرة بين الأسماء والأسماء مع تقديم وتأخير ؛ فيقول :

- نستمد من بؤسهم نعيمًا

ومن ضعفهم قوة

ومن فقرهم ثراء ص ٦٠

والحرص على هذه الثنائيات المتضادة بهذا الشكل يجعلنا نعلن صراحة أن طه حسين فى كثير من الأحيان يسوق أساليب محفوظة بذاتها يبنى عليها معانيه ويصوغ عليها أفكاره ؛ وصارت هذه الألفاظ الجاهزة والجمل المحفوظة تجر إليها المعانى وتشدها شدًا . ونسوق جملةً من هذه الثنائيات ليتأكد لنا ذلك : يقول :

- ندفعها إلى الموت حين نحارب

وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم ص ٦٣

ويقول : - يمسها جناح من لين

أو يصيبها عارض من شدة ص ٥٨

ويقول : - فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لها محبًا أشد الحب ص ٢٤

ويقول : - فيرى نورًا لايشبه النور

وظلمة لا تشبه الظلمة ص ١٢٨

ويقول : - لننعم كما كنا ننعم

وناسى كما كنا ناسى ص ١٣٢

ويقول : - الا يتقدم إلا ليتاخر

الا يمضى إلا ليقف ص ٤٢

ويقول : - وهم إلى السخط أقرب منهم إلى الرضا

وإلى المعصية أدنى منهم إلى الطاعة ص ١١٨

ويقول : - أفق يا مولاى من نومك إن كنت نائمًا

ومن يقظتك إن كنت مستيقظًا ص ١٢٩

ويقول : - لا تدنيه إلا لتقصيه

ولا تلطف به إلا لتعنف عليه ص ٥٤

ويقول : - ينصبوا لى الحرب مؤتلفين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين ص ٣١

ويقول :- فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد

وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماد القرب ص ٨٥

هذا الولع بالثنائيات المتضادة لم ينشأ لدى طه حسين من فراغ ، فقد كانت له جذوره العميقة فى مكنون عقله وحسه ، وارتبط هذا الضرب من التوازن المتعارض بواقع حياته التى كانت مزيجًا من هذه المتضادات المتوازنة .

وعلى هذا النمط من التوازى يسوق طه حسين جمله ، وإن الإنسان ليخيل إليه كأنما سُخِّرت له ألفاظ اللغة تسخيراً ، فهو يختار منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء .

وهذا التوازى هو الذى يتيح لطه حسين هذه المعادلات الصوتية التى تجعل الجمل تتعادل هذا التعادل الموسيقى البديع ، وكأنما قد فصلت تفصيلاً وقسمت تقسيمًا ؛ فإذا الفكرة لا تؤدى فى جملة واحدة ، ولكن فى عدة جمل ، لا لسبب إلا لأن طه حسين يريد لها أداءً موسيقيًا بجانب أدائها المعنوى .

رابعًا: الجمل المتوازية وعلاقتها بالتجنيس:

التجنيس الذى نعنيه هنا هو اتفاق بين كلمتين فى عدد من الحروف ؛ وهو ما يعرف عند البلاغيين بالجناس الناقص ؛ فإن اتفقت الكلمتان فى جميع الحروف وترتيبها وضبطها فهو الجناس التام[1] ؛ والذى وجدناه عند طه حسين هو الجناس الناقص وليس التام .

وقد جانس طه حسين بين الألفاظ ليحقق لجمله إلى جانب التوازى جرسًا موسيقيًا عاليًا .

وقد صار هذا التجنيس ركيزة من ركائزه الكلامية التى يكثر دورانها فى كلامه .

ويأتى التجنيس عنده على ضربين :

الضرب الأول : أن يشتق من الكلمة القابلة للاشتقاق صفة ؛ بمعنى أن الحروف الأساسية الموجودة فى الكلمة تعود فتظهر فى الصفة ؛ فيحدث بين الكلمة والصفة المشتقة منها جناس موسيقى جميل ، فيتخذ من كلمة : جهد صفة وهى جهيد . ومن كلمة : رقة صفة وهى : رقيقة ، وهكذا يصنع جناسًا لايكاد يشركه فيه أحد من القدامى أو المحدثين ، وهو يصنع ذلك بحس بالغ الرهافة إلى الموصوفات التى تقبل أن تشتق منها صفة :

(١) حل مصطلح الجناس فى البلاغة انظر : البديع لابن المعتز ، ط المستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، والجامع الكبير لابن الأثير ، ط المجمع العلمى العراقى ، والإيضاح للقزوينى .

فيقول : - مشقـــة شـــاقة

وعســـر عسير

ويقول : - البيـــان المبـــين

ويقول : - رقـــة رقيقـــة

ولـــين ليِّـــن

ويقول : - جـهد جهيـــد

ومشقـة شـاقة

ويقول : - ثم عادت إلى ظلمتها المظلمة

وهذا الاشتقـاق نجد صداه فى القرآن الـكريم لاينتبه لـه إلا ذو أذن واعية كطه حسين ؛ نجـده فى قـوله تعالى : ﴿ وكنت نسيًا منسيًا ﴾ ، وفى قوله : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .

وأما الضرب الثانى من ضروب التجنيس عنده فهو أن يجاور بين كلمتين أو أكثر تشتركان فى عدد من الحروف ؛ يصنع من خلالهما التوازى بين الجمل إلى جانب الموسيقى الداخلية النابعة من هذا الجناس .

فيقول مثلاً : - رفيـــق رقيـــق

- فرحـــة مرحـــة

- أن ينصبوا لى الحرب مؤتلفـــين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين

- بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

- قـــدَّرت له أحلام صاحبته تقديراً

وقطَّرت له أحاديثها تقطيراً

- لم يتعود أن يجدها فى خرير الغدير
- وقد ثاب إليه حزمه وعزمه

وعاد إليه حــدّه وجدّه

- الجنــات الرائعة ، والرياض البارعة
- والحدائق الملتفة ، والغابات المتكاثفة
- والأزهار المنسقة ، والغدران المصفقة
- كل شىء هامد خامد

وكل شــىء جامـد راكــد

- إنهـا بائـسـة ، إنهـا يائسة
- إنها شــاكية ، إنهـا باكـية
- بحر مضطرب مصطخـب
- ورياح متناوحــة متصايحة
- وسحاب متراكم متراكـب
- يعرفــون فتنتــها وفطنتــها
- أحالــم هـــو أم عالــم
- الماهرة الماكرة
- يبلغ أذن الملك صوت شهر زاد رقيقًا رشيقًا
- هذا الجو الفرح المرح

هذا الأسلوب المتمــوج الزاخر بالنغم يؤكد إيمان صـاحبه بأن الأدب الجديد بهذا الاسم هو الذى يروع السمع كما يروع القلب فى آن واحد .

وهو لذلك يوفر لصوته كل جمال ممكن ، فقد أصبح هذا الأسلوب جزءاً من نفسه وعقله ، فهو لايملى ولا يحاضر إلا به ، وكثيراً ما تجد فيه الألفاظ المتجانسة ، وهو يعمد إلى ذلك عمداً حتى يستتم ما يريد من إيقاعات وأنغام ينفذ بها إلى وجدان سامعه وقارئه .

خامساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالإطناب :

الإطناب لغةً : مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطوّل ذيوله ، واصطلاحًا : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ؛ فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو[1] . وللإطناب عند طه حسين صور ثلاث ؛ هى التكرار ؛

كقوله : - إنما تمضى وتمضى فى ارتفاعها

وتمضى وتمضى فى اتساعها

- وإذا هى تهبط ثم تهبط

وتضيق ثم تضيق

والصورة الثانية للإطناب عنده هى الترادف ؛ ويكون على مستوى الكلمة أو الجملة أو عدة جمل .

ومثال الترادف عنده قوله :

- وجِلاً يخفى وجله فى كثير من الجهد

ومذعوراً يُسرُّ ذعره فى كثير من العناء

(١) حول مصطلح الإطناب فى البلاغة انظر : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، وعلوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى .

فالوجل يرادفه الذعر ، والفعل : يخفى يرادف الفعل : يسرّ ، والجهد يرادف العناء . ولذا فالجملتان بينهما إطناب عن طريق الترادف .

والصورة الثالثة من صور الإطناب عنده هي التفصيل بعد الإجمال ، أو التوضيح بعد الغموض ؛ كقوله عن شهريار :

وثارت فى نفسه عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ،

فيها شيء من حسرة

وفيها شيء من يأس

وفيها شيء من حزن على عهد قد انقضى

فالإجمال فى قوله : عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ، والتفصيل بعد ذلك .

والإطناب عند طه حسين ظاهرة طبيعية ، لفقده حاسة الرؤيا ؛ وإذا كان تشتيت الانتباه يخلط أو يطمس من العقل السياق الذى برزت منه المادة التى تُقرأ فمن الممكن استعادة السياق بإرجاع البصر سريعًا عبر النص على نحو انتقائى ، ويختلف الموقف عند طه حسين ، فليس ثمة شيء يستدبره خارج العقل ، لأن المنطوق الشفاهي عنده يكون قد تلاشى بمجرد أن ينطق به ، ومن ثم يكون على العقل أن يتحرك إلى الأمام بشكل أكثر بطئًا محتفظًا قريبًا من بؤرة الانتباه بالكثير مما قد تناوله من قبل ، فيلجأ إلى الإطناب لأن الإطناب يجعل كلا من المتكلم والسامع على الخط نفسه بشكل مؤكد .

ومما يدعو أيضًا إلى الإطناب حاجة من يلقى على جمهور إلى الاستمرارية، لأن التردد فى الإلقاء الشفاهى علامة على القصور ، ومن هنا كانت إعادة الكلام بشكل فنى فى صورة ترادف أو تكرار أو توضيح أفضل من التوقف عن الكلام جريا وراء الفكرة التالية .

ومن ثم كان للإطناب عند طه حسين وظيفة مزدوجة تتعلق به كما تتعلق بالجمهور المستمع إليه ، حيث يسمح له بأن يظل على ذكر مما قال ، كما يتيح له فرصة التفكير فيما سيقول ؛ وحيث يتيح للجمهور المتابعة فلا يند عنه شيء.

كل هذا يؤكد أن الإطناب عنده كان ضرورة تفرضها طبيعة الخطاب الشفاهى ، ثم صار عادة عنده حتى عندما يملى ، ولكنه استطاع أن يجعل منه موضوعًا جماليًا ، يملأ الأسماع عندما يُتلقى سماعًا ، ويثير التأمل عندما يُقرأ على الورق .

وقد استعان طه حسين بالإطناب فى صوره الثلاث ليحقق التوازن بين الجمل ؛ فمن الجمل المتوازية التى تحققت عن طريق الإطناب بالتكرار :

- انعقد لسان شهريار

وانعقد لسان شهر زاد

فقد تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق تكرار : الفعل : انعقد ، والفاعل : لسان ، ولم يتغير سوى المضاف إليه .

- تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا أخرى

فقد تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق التكرار لكل كلمات الجملتين ما عدا : الرقود فى مقابل الأيقاظ ، وإضافة كلمة : أخرى فى نهاية الجملة الثانية :

- يمد يده عن يمين

ويمد يده عن شمال

تحقق فى هاتين الجملتين التوازى التام ؛ وكان الإطناب بالتكرار هو العامل

الأساسي في تحقيق ذلك ؛ ولم يتغير في الجملتين إلا آخر كلمة في كل منهما: يمين ، وشمال .

- فـراى فيها ما رأى

وسمع فيها ما سمع

تحقق أيضًا التوازى بين الجملتين عن طريق الإطناب بالتكرار ؛ فكل جملة تكرر فيها الـفعل مرة أخرى ؛ رأى ، سمع ؛ إلى جانب تكـرار شبه الجملة : فيها .

وهناك الكثير مـن الجمل المتوازية التى تحققت عن طـريق التكرار لا مجال لحصرها لكثرتها .

أما الجمل التى تحقق فيها التوازى عن طريق الإطناب بالترادف فهى :

- فالحرب محتملة دائمًا

والشـر متوقـع أبـدًا

نلاحظ أن الجملـة الثانية مرادفة للأولـى ؛ وإنما ساقها طه حسين لـتحقيق التوازن الموسيقى بينهما ، فالحرب هى الشر ، والمتوقع يرادف المحتمل ، ودائمًا تحل محل أبدًا .

- كل شىء هامد خـامد

وكل شىء جامد راكد

تحقق الـتوازى بين الجمـلتين عن طـريق الإطناب بـالتكرار : كـل شىء ، والإطناب بـالترادف : هامـد وجامد ، وخامـد وراكد ، وإلى جانـب التوازى هناك موسيقى داخلية نابعة من التجنيس بين هامد ، وخامد ، وجامد وراكد ، ونابعة كذلك من السجع الذى حدث بين الجملتين .

- هذا أكثر مما كنت أرجو
هذا أكثر مما كنت أنتظر
هذا أكثر مما كنت أظن

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتكرار : هذا أكثر مما كنت ؛ وكذلك عن طريق الإطناب بالترادف بين : أرجو ، أنتظر ، أظن ، وبذلك أصبح الإطناب أداة طيعة فى يد طه حسين حقق من خلاله التوازى بين الجمل ، وكذلك قوله :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر
وهذا يقدم إليه أقاليم البر
وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

حقق طه حسين التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق التكرار لكل وحدات الجملة ما عدا الوحدة الأخيرة : البحر ، البر ، الجو ، ولو كانت هناك كلمة أخرى تدل على اتجاه رابع غير هذه الاتجاهات الثلاثة لجعل الجمل المتوازية أربعًا لا ثلاثًا .

- فأصبح الشذوذ لنا طبيعة
وأصبح الجموح لنا فطرة

تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق الإطناب بالتكرار لكلمة : أصبح ، لنا ؛ والإطناب بالترادف : الشذوذ والجموح ، طبيعة وفطرة .

- فإن الحرب لا يقتلها إلا الحرب .
وإن الكيد لا يفسده إلا الكيد .
وإن الحديد لا يفلّه إلا الحديد .

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتكرار لكلمة :

إن ، لا ، إلا ، والإطناب بالترادف بين : الحرب ، الكيد ، الحديد .

أما التوازى بين الجمل الذى تحقق عن طريق التفصيل بعد الإجمال فنماذجه قليلة بالقياس إلى الإطناب عن طريق التكرار ، أو الإطناب عن طريق الترادف ، وعلة ذلك أن التفصيل بعد الإجمال يحتاج إلى نظرة شمولية للفكرة ؛ وقد كان طه حسين يعرض فكرته بشكل جزئى ؛ ويبرزها فى جزئيات متعددة حتى يصل إلى الفكرة الكلية بعد خطوات وئيدة لأنه كان يعتمد على الخطاب الشفاهى الذى يتحسس اللفظ قبل صدوره ، على عكس من يكتب فإنه لايحتاج كثيراً إلى تكرار أو ترادف أو تفصيل ، وإنما يقفز إلى فكرته بصورة كلية شاملة .

وقد استعان طه حسين بالتفصيل بعد الإجمال ليحقق به التوازى بين الجمل؛ ومن نماذجه :

يقول : - ولكن الحرب ستبلغهم هم :

- ستعرض شبابهم للموت
وستعرض أطفالهم لليتم
وستعرض أموالهم للفناء ص ٥٨

فالإجمال جاء فى قوله : ولكن الحرب ستبلغهم هم . والتفصيل ما جاء بعده .

ويقول : - وتسارعوا إلى أبيها يحكمونه فيما يخضع لهم من الممالك والأقاليم :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر
وهذا يقدم إليه أقاليم البر
وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

فالإجمال فى قـوله : يخضع لهم من المـمالك والأقاليم ؛ والتفـصيل بعد ذلك .

ويقول : - وهذه الرياح تتناوح :

- منهـا ما يقبـل

ومنها ما يـدبر

ومنها ما ييامـن

ومنها ما يشائم

ومن الواضـح أن هذا النوع من الإطـناب [التفصـيل بعد الإجمـال] يبدأ بتقرير حقيقة مـا ، ولكن هذا التقرير فيه إجمال يتوقع معـه المتكلم أن المستمع سيوجه إليه السؤال : وكيف ؟ فيشرع المتكلم عندئذ فى التفصيل .

ويرجع السبب فى وجود هذا اللون من الإطـناب عند طه حسين إلى طبيعة المعلم فيه ، فبنية التفصيل بعد الإجمال بنية تعليمية من الطراز الأول[1] .

سادسا : الجمل المتوازية وعلاقتها بحروف الجر :

لحروف الجر دور هام عنـد طه حسين فى تحقيق التوازى بـين الجمل ، فهو من خلال حرف الجر والاسم المجرور به أو ما يعـرف فى اصطلاح النحاة بشبه الجملة يمكنه أن يتحرك فى حرية تامة لتحقيق الإيقاع الموسيقى الذى ينشده .

فهو يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفاعل ليحقق هذا التوازى؛ كما فى قوله :

- تندى له الجباه

ويتصبب له العرق

(١) د. عز الدين إسماعيل : أنا المتكلم طه حسين ، ص ٢٠ ، مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان الأول والثانى ، أكتوبر ١٩٩٠م .

وفى قوله : - قد ثاب إليه حزمه وعزمه
وعــاد إليه حـده وجده

وفى قوله : - قد ثاب إليه الأمــن
وعادت إليه الطمأنينة

وفى قوله : - يختلط فيه هذا كله
ويشتبه فيه هذا كله

وفى قوله : - وقد جاشت فى نفسه عواطفه الثائرة
واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء

- ويقدم شبه الجملة الجار والمجرور على المفعول به ؛ كما فى قوله :

- يثيــر فى نفسك القلــق
ويبعث فى قلبك الخوف

وفى قوله : - أصف لك ما لا يوصف
وأصور لك ما لا سبيل إلى تصويره

وفى قوله : - فـرأى فيها ما رأى
وسمع فيها ما سمع

وفى قوله : - فتبعث من أفواهها أصواتًا قصيرة حلوة
وتبعث فى أجنحتها خفقات يسيرة

وفى قوله : - اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا
واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

وفى قوله : - فلن أعصى لك أمرًا
ولن أرد عليك قولاً

وفى قوله : - لا احب منهم احداً

ولا ابغض منهم احداً

ولن أتزوج منهم أحداً

- وقد يأتى بالجملة الاسمية التى خبرها شبه جملة (جار ومجرور) ، فيقدم الجار والمجرور على المبتدأ ؛ فى حالة جواز تقديمه أو عدم تقديمه ؛ كما فى قوله :

- منها الخير

ومنها الشر

وفى قوله : - ومنهن الراضية كل الرضا

ومنهن الساخطة كل السخط

- وإذا كانت الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة فإننا نجده يقدم شبه الجملة على خبر المبتدأ ؛ كما فى قوله :

- فأنا له زوج

وملكى لملكه تبع

- وإذا كانت الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة منسوخة بفعل ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ ؛ كما فى قوله :

- فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لها محبًا أشد الحب

وكما فى قوله : - فأصبح الشذوذ لنا طبيعة

وأصبح الجموح لنا فطرة

وإذا كان خبر الفعل الناسخ شبه جملة (جار ومجرور) فإنه يقدمه على اسمه ؛ كما في قوله :

- فقد يكون من بينهم من هو خليق بالإعجاب

وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخرية

وإذا كانت الجملة الفعلية مكونة من فعل وفاعل وشبه جملة ؛ فإنه في مواضع عديدة يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفعل والفاعل ؛ كما في قوله :

- ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفًا

ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

كل هذه النماذج تؤكد لنا أن شبه الجملة (الجار والمجرور) يمثل ركنًا أساسيًا في بناء الجملة بشكل عام عند طه حسين وفي بناء الجمل المتوازية بشكل خاص عنده ؛ فهو يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل ، ويقدمه على الفاعل والمفعول به ، ويقدمه على المفعول به فقط ؛ وإذا كانت الجملة اسمية فإنه يقدم شبه الجملة (الجار والمجرور) على الخبر ؛ وإذا كانت هذه الجملة منسوخة بفعل ناسخ أو بحرف ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ.

وهذا التقديم - في رأيي - لا يقتضيه إلا أمر واحد هو الموسيقى أو التوازن بين الجمل الذي يحرص عليه طه حسين أشد الحرص .

وهناك ظاهرة أخرى تتعلق بشبه الجملة (الجار والمجرور) ؛ وهي عدم خلو الجملة التي يبنيها طه حسين منه ؛ أي جملة سواء أكانت جملة فعلية أم اسمية فقلما نجد جملة عنده خالية من حرف الجر والاسم المجرور به ؛ ولو

ذهبنا نحصر ذلك لصعب لكثرة ؛ ولكنّا نسوق بعض النماذج :

كما فى قوله : - شقى فيه وسعد

ونعم فيه وابتأس

وكما فى قوله : - يتسع من ضيق

وينفرج من تقارب

وكما فى قوله : - يستعدون لكل حادثة

ويتأهبون لكل كارثة

وكما فى قوله : - قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها

وكما فى قوله : - قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفت على جلية أمره

وكما فى قوله : تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا

بل وأكثر من ذلك قد يكون فى الجملة أكثر من حرف جر ؛ أى أكثر من شبه جملة (جار ومجرور) ؛ كما فى قوله :

- لتستمع باليقظة كما استمتعت بالنوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

وكما فى قوله : - فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لايستطيع تحريكها إلى التفكير

وأحس جسمه ثقيلاً عليه لايستطيع دفعه إلى النشاط

وكما فى قوله : - سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتهـا

تسحره عن نفسه وعما حوله بقصصها

ففى هذا المثـال الأخير ثلاثة أحرف للجـر بمعنى أن فى الجملة ثـلاثة أشباه للجمل (جار ومجرور) ؛ الأمر الذى يؤكد أن شبه الجملة (الجار والمجرور) يمثل مكونًـا أساسيًا من مكونات الجملـة عند طه حسين بصفـة عامة ، ومكونًا أساسيًا من مكونات الجمل المتوازية عنده بصفة خاصة .

وقد يكون فى الجملة المتوازية أكثر من ثلاثة أحرف للجر ؛ بمعنى أن يكون فيها أكثر من ثلاثة أشباه للجمل (جار ومجرور) ؛ كما فى :

- انت تريد أن تـلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث

وهى أيضًا تريد أن تلهو عن وضوحك بما تقص عليك من أخبار .

ففى هاتين الجملـتين المتوازيتين أربعة أشباه للجـمل : عن وضوحك ، بما تقص ، عليك ، من أخبار .

وقد يكون فى الجملة خمسة أشباه للجمل (جار ومجرور) كما فى :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء

كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمـة والحب وفى كثـير من الإكبار والإجلال

كـل هـذه النماذج التى سقتها تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن شبه الجملة [الجار والمجرور] كان لـه دور هام فى تحقيق الـتوازن الموسيقى بـين الجمل ؛ ولـم يكن يأتى بـه طه حسين اعتباطًا وإنما لهدف أساسى مـن أهدافه فى الكلام عامة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .

الخاتمة

نستطيع فى هذه الخاتمة أن نرصد أهم النتائج التى وصلت إليها هذه الدراسة ؛ وهى متمثلة فى الآتى :

١ - كان لثقافة طه حسين ووعيه بالتراث العربى وتمثّله له أثر كبير فى تحقيق التوازن الموسيقى بين الجمل ؛ فها هو قد استمع إلى الشعراء والأدباء فى عصور العربية المختلفة ، وتذوق أنماط الجمل العربية ؛ ولذا نجده يستمد كثيرًا من آيات القرآن فى بنائه لجملته ؛ كما فى قوله : - تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا ، كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا أخرى » ؛ لهذا التضاد بين الرقود والأيقاظ مستقى من قوله تعالى : ﴿ **وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود** ﴾ .

- وكما فى قوله : « قد غيرت فى رأيها ، وعدلت عن سيرتها الأولى » . مستمد من قوله تعالى : ﴿ **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾ .

- وكما فى قوله : « يرونه قصيرًا ، وأراه طويلاً » مستمد من قوله تعالى : ﴿ **إنهم يرونه بعيدًا ، ونراه قريبًا** ﴾ .

- وكما فى قوله : « اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا ، واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا » ، مستمد من قوله تعالى : ﴿ **وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ ؛ ومن قوله تعالى : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

- وكما فى قوله : « يمسها جناح من لين ، أو يصيبها عارض من شدة » ؛ مستقى من قوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ .

- وكما فى قوله : « فلن أعصى لك أمرًا ، ولن أرد عليك قولاً » . مستمد

من قوله تعالى : ﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ﴾ .

- وكما فى قوله : « فأنا أراك الآن رأى العين ، وأنا أعرفك الآن حق المعرفة » . مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ .

ولو ذهبنا نستقصى رافد القرآن فى جُمل طه حسين لطال بنا الأمر ولكن المحقق أن النبع الأول الذى استقى منه طه حسين بناءه لجمله كان هو القرآن الكريم ؛ وهناك علم من أعلام العربية تأثر طه حسين بأسلوبه وهو الجاحظ ؛ وكذلك تأثر بأبى حيان التوحيدى ، والغريب أنه رغم اتفاقه مع أبى العلاء فى كثير من الأمور ورغم أنه كتب عن أبى العلاء كثيراً فإنه لم يأخذ أسلوبه وإنما أخذ جانبًا من فكره ونظرته للأمور والحياة .

٢ - تنوعت الأنماط الشكلية للجمل المتوازية عند طه حسين ؛ ما بين أنماط مألوفة وضعها النحاة مراعين رتبة الفعل والفاعل والمفعول به فى الجملة ؛ وأنماط أخرى خرج فيها عن قواعد النحاة وترتيبهم لبناء الجملة ؛ فجاءت الجمل فى نمطين : نمط مألوف يراعى الرتبة ؛ ونمط غير مألوف لا يراعى الرتبة . وكان أكثر الأنماط التى استعملها طه حسين هو ذلك النمط المألوف لدى النحاة المكون من : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة .

٣ - كان للإطناب دوره عند طه حسين فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ بصوره الثلاث : التكرار ، والترادف ؛ والتفصيل بعد الإجمال ؛ وإن كان الإطناب بالترادف هو أكثرهم عنده ، يليه الإطناب بالتكرار ، ثم يأتى فى المؤخرة الإطناب عن طريق التفصيل بعد الإجمال .

٤ - أدى الجناس الناقص دوراً هامًا فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ وفى تحقيق إيقاع موسيقى للجمل أكثر علواً ؛ فأضاف للجمل المتوازية موسيقى

داخلية تضاف إلى الموسيقى الخارجية المتمثلة فى هذا التوازى .

٥ - لم يكن التضاد الدلالى بين الكلمات عند طه حسين يستدعيه المعنى ؛ وإنما كان يقحمه فى بعض الأحيان لا لشىء إلا لتحقيق التوازى الموسيقى من ناحية ؛ أو لأنه كان يملى أو يلقى على جمهور ؛ فكان التضاد بين الكلمات وسيلة يتخذها لاستحضار الفكرة ونطق الجمل التى تتلو الجمل وعدم التوقف عن الكلام من ناحية أخرى ؛ فهو قد يلجأ إلى التضاد كوسيلة يشغل بها المتلقى لحين استقبال الفكرة التالية ؛ فنجده يقول مثلاً :

- ولم يدر أنائم هو أم يقظان

أحالم هو أم عالم

أعاقل هو أم مجنون

مثل هذا التضاد المتكرر ليس له إلا هدفان : تحقيق التوازى بين الجمل ، وإعطاء العقل فرصة لاستحضار الفكرة وترتيب الكلام .

٦ - هناك علاقة قوية بين الأداء اللغوى المنطوق والجمل المتوازية عند طه حسين ؛ فالأداء اللغوى المنطوق يميل إلى أن يكون إيقاعيًا بشكل ملحوظ، لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوجية يساعد على التذكر ؛ ولا تكون الكلمات إلا أصواتًا ؛ ولايؤدى ذلك إلى التحكم فى أنماط التعبير فقط ، بل إلى التحكم فى العمليات الفكرية أيضًا ، ولكى يحل طه حسين مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظيا ، واستعادته على نحو فعَّال قام بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر ، صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهى ، ومن هنا جاءت الجمل متوازية لتكون قابلة للحفظ والتذكر السهل .

ويحكى كل من تتلمذ على يد طه حسين أنه كانت له طريقة فى الكلام اعتادها طلابه ، فإن ندَّ عنهم تقييد لفظ كلامه فى موضع لم يعجزهم

استحضار الوجه الذى كان من الممكن أن يكون عليه نص هذا الكلام ، وذلك لكثرة ما اعتادوا سماعه منه ، ونتيجة لما ألفوه من معجمه وتراكيبه ؛ ومن أشهر هؤلاء التلاميذ العالم الجليل شوقى ضيف الذى ما برح يردد بين الفينة والفينة فى كتبه جملة طه حسين العذبة : « ومهما يكن من شىء » .

٧ - كان لأدوات الربط المتمثلة فى حروف الجر ، وحروف العطف دور هام فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ فحرف الجر والاسم الداخل عليه يكونان شبه جملة [جار ومجرور] ؛ من خلال هذه الوحدة اللغوية حقق طه حسين التوازى المنشود ؛ فقد كان يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل معًا ؛ وكان يقدمه على الفاعل فقط ، وكان يقدمه على المفعول به فقط ، وكان يقدمه على المبتدأ ، وكان يقدمه على الخبر ؛ وهذا يعنى أنه كان يحرك شبه الجملة بحرية تامة ويضعه فى المكان الذى يحقق له فيه التوازى بين الجمل .

كما أنه حقق بحروف العطف التوازى أيضًا ؛ فهو يأتى بالجملة فى شكلها البنيوى الذى قرره النحاة ثم يعطف عليها جملة أخرى مساوية لها فى المقدار وموازية لها فى البناء النحوى ؛ فهو يقول مثلاً : يجد سعادته فى هذا الضيق.

هو هنا يريد أن يحدث توازيًا فلا يسعفه إلا حرف العطف الذى يعطف له جملة على هذه الجملة تطابقها فى البناء النحوى ؛ وهى :

ولذته فى هذا الألم ؛ فتصير الجملتان :

- يجد سعادته فى هذا الضيق

ولذته فى هذا الألم

وبذلك تحقق لها التوازى الذى ينشده عن طريق حرف العطف ، والمعطوف.

المصادر والمراجع

١ - أبو حيان التوحيدى :

- الإشارات الإلهيـة ، تحقيق د. وداد القاضى ، دار الـثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٢ - أبو هلال العسكرى :

- كتـاب الصناعـتين الكتـابة والشـعر ، تحقيـق على البـجاوى ومحمـــد أبو الـفضـل إبراهـيم ، مطبعـة البابى الحـلبى ، ١٩٥٢ م.

٣ - أحمد مصطفى المراغى :

- علوم البلاغة : البيان والمعانى والبديع ، القاهرة ، د.ت .

٤ - الجاحـــظ :

- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

- كتاب الحيـوان ، تحقيق عبد الـسلام هارون ، مطبعـة البابى الحلبى ، القاهرة ، د.ت .

٥ - سيبـويه :

- الكـتاب ، تحقيـق عبد الـسلام هارون ، مـطبعة الخـانجى ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

٦ - طه حسين :

- من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف ، القاهرة .

- على هامش السيرة ، ٣ أجزاء ، دار المعارف .

- أحلام شهر زاد ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ . العدد الأول.

٧ - عز الدين إسماعيل :

- أنا المتكلم طه حسين ، مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان ، الأول والثانى ، أكتوبر ١٩٩٠ م .

٨ - محمود السعران :

- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٢ م .